

الثقافة الجديدة



ح
H A F E Z

عدد خاص

في ذكرى شاعر العراق الكبير معروف الرصافي



مجلة شهرية ثقافية عامة

آذار ونيسان ١٩٥٩

المحتويات

العدد الثامن * السنة السابعة * آذار ونيسان ١٩٥٩

صحيفة

- ١ - ذكرى الرصافي الثقافة الجديدة ١
- ٢ - الرصافي شاعر الكادحين الدكتور صلاح خالص ٢
- ٣ - الرصافي - مذهبه الاجتماعي الدكتورة وديعة طه النجم ١٢
- ٤ - الرصافي بين المحافظة والتجديد « الجانب اللغوي » ٢٤
- ٥ - الرصافي والابداع الفني الدكتور ابراهيم السامرائي ٣١
- ٦ - ثورة الرصافي الدكتور يوسف عز الدين ٤٠
- ٧ - الرصافي المصور الثائر مزيد عبدالعزيز الطاهر ٤٧
- ٨ - أربعينية الرصافي (شعر) محمد صالح بحر العلوم ٥٥
- ٩ - الى الرصافي الثائر (شعر) علي الحسيني ٥٧
- ١٠ - أبو زيد السروجي (شعر) عبدالوهاب البياتي ٥٩
- ١١ - انطونيو پيريز من غواتيمالا (شعر) سعدى يوسف ٦١
- ١٢ - النفق الطويل (قصة) مهدي عيسى الصقر ٦٣
- ١٣ - آراء ومناقشات . يعرب محمود السعيدى وسلمان الجبورى ٧٧
- ١٤ - كتب نقدمها للقارئ
- ٨١ - قضايا عربية وكتب أخرى عدنان الحافظ
- ٩٠ - ثورة العراق عدنان الحميرى
- ٩٤ - فى مكتبة الثقافة الجديدة « ابو سحر »
- ٩٧ - وثائق ومذكرات

مركز الدراسات والبحوث

الطبعة الأولى ١٩٥٩

الثقافة الجديدة

مجلة شهرية ثقافية عامة

رئيس التحرير
الأستاذ صلاح ماضي

مناصب الأمانة
عبد الرحمن شريف الحاي

العدد الثامن * السنة السابعة * آذار ونيسان ١٩٥٩

ذِكْرُ الرِّصَافِي

يسر الثقافة الجديدة أن تسهم في احياء ذكرى شاعر العراق الكبير معروف الرصافي ، الاديب الذي وقف حياته وادبه على خدمة شعبه ، فلم يرهبه الظلم ولم تغره المغريات ، بل سار في طريق النضال الشاؤك على الرأس متين العزم شديد الثقة بنفسه وبالشعب الذي يعمل من أجله فاستطاع أن يضرب مثلاً عالياً في الاخلاص ، في الصلابة من أجل الحق ، في الارتفاع بالادب وبالشعر خصوصاً عن مستوى المدح الرخيص والتكسب المبتذل ، وجعله أداة كفاح ونضال من أجل الحرية والعدالة والحقيقة والمساواة .

ففي هذه الايام التاريخية الحاسمة وفي ظلال جمهوريتنا العظيمة ، نحتفل بذكراك الغالية يا شاعرنا الكبير ، يا طليعة حامل مشعل الحرية الوضاء ومنير طريق الحقيقة أمام الاجيال ، ونحييك من اعماق قلوبنا العامرة بالايمان ، الفياضة بالامل ، المليئة بالعزم ، ونعاهدك على السير برسالتك النبيلة السامية قدما الى الامام .

الثقافة الجديدة

الرَّصَافِي سِرِّهِ

الدكتور صلاح خالص

« من اتحاد الادباء العراقيين »

لا تفتح عينيك استغرابا ايها القارئ الكريم ، ولا تهز رأسك استنكارا ، لا اعتقادك أنني اقحمت الرصافي اقحاما فيما لم يكن يفهمه ويدركه ، أو فيما لم يكن يقصده ويرمى اليه . فالمعركة التي خاضها الرصافي لم تكن معركة الكادحين ضد مستغليهم ، وانما كانت معركة الشعب كله ، معركة المجتمع باجمعه من أجل أهداف مشتركة وأمان عامة كان يسعى اليها الكادحون وغير الكادحين . . . أقول لا تستغرب أيها القارئ العزيز ولا تستنكر ، قبل أن اعرض لك هذا الجانب المهم من جوانب تفكير الرصافي وأدبه ، قبل أن أريك موقف شاعرنا الكبير في المعركة الاجتماعية والسياسية التي خاضها الشعب كله . أو ان شئت فجله ، من أجل الحرية والمعرفة والعدالة والرفاه . . . ولك بعد ذلك أن تستغرب ما شاء لك الاستغراب ، وأن تستنكر ما شاء لك الاستنكار . . .

ان لكل فنان أو أديب دورا في معركة الحياة ، في معركة الشعب من أجل آماله وأمانيه ، في معركة الشعب ضد اعدائه ومستغليه ، سواء أراد الفنان ذلك ام لم يردده ، فان أشد المواقف سلبية تجاه موقف من المواقف هو في الواقع قوة لجانب وضعف لجانب آخر ، بله المواقف الايجابية .

فما هو موقف الرصافي في المعركة الاجتماعية التي كانت قائمة في زمانه ؟ . . . لكي نتبين ذلك لابد لنا أن نعرف طبيعة المعركة التي كانت قائمة آنذاك والعناصر التي شاركت فيها ودور كل منها .
عندما ازدهرت الصناعة والتجارة في اوربا بعد الثورة الصناعية ، نمت وازدهرت طبقة جعلت مما تملكه من مال وسيلة لتطوير الصناعة

والتجارة ووضعها تحت اشرافها وتصرفها ، وقد اطلق على هذه الطبقة اسم الطبقة البرجوازية أو الوسطى . ولكن نفوذها ما كاد يتعاضد بتعاضد الحركة التجارية والصناعية ، حتى اصطدم بنفوذ الطبقة الارستقراطية المسيطرة على المجتمع والقابضة على زمام الحكم فيه . فبينما كانت الارستقراطية الحاكمة تتشبث بمكانتها المتميزة وامتيازاتها الخاصة وسيطرتها على المجتمع ، كانت الطبقة الوسطى أو البرجوازية تدعو الى محو هذه الامتيازات وتحقيق العدالة والمساواة بين جميع أفراد المجتمع دون تمييز . وقد حرصت البرجوازية منذ نشوئها على مكافحة النظام الاقطاعي وتوحيد البلاد وذلك بنفخ الروح القومية وتطويرها ودعمها ، مستهدفة من ذلك كما قلنا تحقيق الوحدة القومية والقضاء على مناطق نفوذ الاقطاعيين أولا ، والدفاع عن مصالح الصناعة والتجارة القوميتين ثانيا ، وفرض هذه المصالح على مناطق أخرى في العالم ثالثا .

ومن الطبيعي أن يسير الكادحون ، وهم أولئك الذين يستخدمون قوتهم على العمل لاجل الحصول على العيش في مجالات الحياة الجديدة التي خلقتها الثورة الصناعية ، أقول من الطبيعي أن يسير الكادحون الى جانب الطبقة الوسطى للقضاء على الامتيازات الطبقية وتحقيق العدالة والمساواة بين أفراد المجتمع ، من جهة ، ولتحقيق الوحدة القومية والقضاء على الاقطاع من الجهة الاخرى . وكانت الثورة الفرنسية كما هو معلوم ، من أهم مظاهر هذه الحركة وأوضح مثال على طبيعة القوى المساهمة فيها وموقف كل منها . وهكذا شهد القرنان الثامن عشر والتاسع عشر كفاح الجماهير بقيادة البرجوازية أو الطبقة الوسطى من أجل الحرية والمساواة والوحدة القومية . وقد انعكس هذا الكفاح في ميداني الفكر والفن وبلغ ذروته في القرن التاسع عشر . لقد حمل المفكرون والفنانون بما فيهم البرجوازيون لواء الدفاع عن الكرامة الانسانية ، عن العدالة الاجتماعية ، عن الحرية الفردية وعن الوحدة القومية . وفي احضان المجتمع البرجوازي نمت الطبقة العاملة وتطورت وابتدأت فلسفتها تأخذ شكلا متميزا ينسجم ومصالحها ، أو بعبارة أخرى ، ومصالح الاكثرية الساحقة من ابناء المجتمع من العمال والفلاحين . في هذا المجتمع ابتدأ الكادحون يشعرون بأن الحرية التي دافعوا عنها وضحوا من اجلها أخذت تحتضر تحت سيطرة رأس المال ومصالح الشركات الاحتكارية ، أخذت تتطور الى حرية الاستغلال ، وحرية امتصاص دماء الكادحين ، أو حرية الموت جوعا والاكتفاء بسد الرمق ... أما العدالة والمساواة

فقد سحقتهم الفروق الطبقية الهائلة بين الرأسمالي والعامل ، بين المالك والاجير . ولم تجد المساواة النظرية أمام القانون فى تحقيق مساواة فعلية فى الحياة . كما أن الروح القومية نفسها التى كان الغرض منها تقوية الدولة وربط أجزاء الوطن وزيادة دخله القومى ، انقلبت فى كثير من الاحيان الى عنصرية مقيتة ووسيلة استغلال للقوميات الاخرى ، فتطور الاستعمار واتسع نطاقه . وهكذا ابتداء مفهوم الحرية ، ومفهوم المساواة والعدالة الاجتماعية ، بل ومفهوم القومية ايضا ، ابتدأت هذه المفاهيم تنحرف كلها عن غرضها الاصيل وغدت وسائل تستخدمها الطبقة المسيطرة لتشديد قبضتها على المجتمع والامعان فى توسيع نفوذها السياسى والاقتصادى . هذا من جهة ، أما من الجهة الاخرى فقد ابتدأت الطبقة المسيطرة ، أى البرجوازية ، تحس أن هذه الحرية وان كانت نظرية ، وهذه المساواة وان كانت ليست فعلية ، ابتدأتا تهددان مركزها وتضعفان نفوذها ، فشنت عليهما حربا شعواء وسحقتهم تحت الاقدام ، والقت رايتهما أرضا فالتقطتها الطبقة العاملة وانصارها وسارت بها خفاقة فى طريق الكفاح لتقود الانسانية كلها الى السعادة والرفاه .

وهكذا انفصلت وحدة الكفاح بين البرجوازية الحاكمة المستغلة (بكسر الغين) والطبقة العاملة المحكومة المستغلة (بفتح الغين) . وابتداء صراع مرير حملت فيه الطبقة العاملة وحلفاؤها من الفلاحين وابناء الطبقة الوسطى الذين ربطوا مصيرهم بمصيرها ، راية الحرية والمساواة والعدالة والقومية ضد العبودية والاستغلال والظلم والعنصرية والاستعمار

هذا ما نراه اليوم فى مختلف أنحاء العالم ، ولدينا عليه الف دليل ودليل .

★ ★ ★

بعد هذه المقدمة العامة السريعة عن طبيعة المعركة الاجتماعية والسياسية التى قامت فى أنحاء العالم المتمدن ولاسيما فى اوربا ، والتى كان لابد من الاشارة اليها لتفهم طبيعة المعركة التى خاضها شاعرنا الكبير والعناصر المسهمة فيها .

نشأ الرصافى والمجتمع العربى عموما ومنه العراقى ، وابتداء يستوعب المثل العليا التى كافحت من أجلها الجماهير فى اوربا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، واعنى بها المثل العليا التى رفعت رايتهما فى الثورة الفرنسية ، البرجوازية الاوربية وسارت خلفها الجماهير كلها ، فسحق الاقطاع وسحق الحكم الارستقراطى وابتداء الاحساس بكرامة الانسان وأهمية الفرد يزداد ويتضح ، كما وجدت الافكار القومية

مرتعا خصبا لها فى بلاد العرب ، فقد كانت استجابة لحاجة ماسة وضرورة لابد منها . ولا شك أن ظهور حزب الاتحاد والترقى وانتشار فروعه فى كافة نواحي الامبراطورية العثمانية يعتبر نتيجة طبيعية لتغلغل الشعارات الجديدة : الحرية ، الاخاء ، المساواة ، الدستور ، وما صاحب ذلك من خلع السلطان عبدالحميد فى عام ١٩٠٨ و اعلان الدستور . أقول كل ذلك كان نتيجة طبيعية للتطور الفكرى والاجتماعى الجديد الذى كان بفعل عاملين رئيسين : أولهما ، تنامى الطبقة الوسطى فى الشرق الاوسط فى المدن وتزايد احساسها بالظلم تجاه حكم الاسر الاقطاعية والامتيازات الطبقية .

وثانيهما ، تأثير الافكار الاوربية التى ازدهرت فى أواخر القرن الثامن عشر وبعده فى القرن التاسع عشر والتى تبنتها الثورة الفرنسية ، وانعكست بعدها فى الفكر الاوربى وفى الفن الاوربى فى هذه الفترة ، وهى الافكار التى تشيد بالحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية وتنفع الروح القومية ، والتى وجدت فى المجتمع الشرقى آنذاك ، ومنه العربى استجابة قوية وقبولا حسنا وصدورا مفتوحة . . . لقد كانت هذه الافكار تتجاوب تماما مع حاجات المجتمع الشرقى التى سبق ذكرها فى النقطة الاولى .

وهكذا كانت المعركة الاجتماعية والسياسية والفكرية تجرى بين الحاكمين من كبار الملاكين والاقطاعيين ومن يعيش فى ظلهم من جهة ، وبين جماهير الشعب من ابناء الطبقة الوسطى ومن العمال والفلاحين من الجهة الاخرى . وبينما كان الفريق الاول يتشبث بالوضع القائم ويدافع عن الامتيازات الطبقية ويحارب كل تبديل أو تجديد ، كان الفريق الثانى يحمل لواء التقدم ، لواء الثورة على الوضع القائم لواء التجديد والتغيير ، لواء القومية . . . وكان شاعرنا الكبير فى طلائع هذا الفريق ، فى طلائع دعاة الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية ، فى طلائع دعاة القومية . . . ولهذا السبب ذاته كان الرصافى فى طليعة المجددين . .

واذا كان الرصافى لم يستطع قلب القوالب الشعرية القديمة رأسا على عقب أو تغييرها تغييرا جذريا ، فانه استطاع أن يخطو خطوات واسعة فى تجديد موضوعاتها وافكارها ، استطاع أن يضع فى هذه القوالب التقليدية تفكير الجيل الجديد ومثله العليا . . فبعد أن كان الشعر فى ظل حكم الاسر الغنية وكبار الاقطاعيين والملاكين ، يشيد بماثر هذا الامير ويندب موت ذلك الوجيه ، ويصف مجلس انس هؤلاء المترفين

ويتغنى بمشاعرهم وعواطفهم ويعبر عن مشاغلهم واتجاهاتهم . ولا غرابة في ذلك فقد كانوا هم رعاة الادب وحماته ، أو ان شئت فقل هم جمهوره ، يقدم اليهم فيجيزون هذا ويعرضون عن ذاك . . أقول بعد أن كان الشعر وموضوعاته وافكاره كذلك ، توجه به الرصافي الى جمهور جديد ، الى الشعب ، الى اكثريته الساحقة ، متغنيا باسم هذه الاكثرية ، بآمالها ومطامحها وامانيها ، بمشاغلها في الحياة ، بكفاحها من أجل العيش ، بآلامها وشقائها وتعاستها ، بمثلها العليا . . وسبب هذا التجديد واضح بين ، فهو انعكاس للتبدل في التركيب الاجتماعي في المجتمع الشرقي وتطور الافكار فيه ولوقوف الرصافي في المعركة الاجتماعية ، في الصراع الطبقي ، في الكفاح من أجل مستقبل المجتمع ومصالح اكثرية ابنائه :

تركنت من الشعر المديح لاهله
وانشدته يجلو الحقيقة بالنهي
وارسلته عفوا فجاء كما ترى
وقد وصف الرصافي نفسه
الشعر مفتقر مني لمبتكر
دعوت نمر القوافي وهي شاردة
وسلمتني عن طوع مقادتها

ونزهت شعري أن يكون قذاعا
ويكشف عن وجه الصواب قناعا
قوافي تجتاب البلاد سراعا
ولست للشعر في حال بمفتقر
فاقبلت وهي تمشي مشى معتذر
فرحت فيهن أجرى جرى مقتدر

الى أن يقول

سقيتهن المعاني فارتوين بها
كم تشرب لها الاسماع مصغية
طابقت لفظي بالمعنى مطابقه
اني لانتزع المعنى الصحيح على
واجود الشعر ما يكسوه قائله
لا يحسن الشعر الا وهو مبتكر
ومن يكن قال شعرا عن مفاخرة
وانما هي انفاس مصعدة
وهن ان شئت مني أدمع غزر

وكن فيها مكان الماء في الثمر
اذا تنوشدن بين البدو والحضر
خلوا من الحشو مملوءا من العبر
عري فاكسوه لفظا قد من درر
بوشي ذا العصر لا الخالي من العصر
واي حسن لشعر غير مبتكر
فلست والله في شعر بمفتخر
ترمي بها حسراتي طائر الشرر
أبكي بهن على أيامنا الفرر

هذا هو منهج الرصافي في نظم الشعر . . قل فيه ما تشاء . . قل انه فكر دون عاطفة . . قل ان منطق النثر غلب عليه . . قل انه ضحي بالشكل الشعري في سبيل المعاني والافكار . . الصق ما تشاء من العيوب بشعر الرصافي . . ولكنك لن تستطيع أن تنكر على شاعرنا العظيم

أنه جدد فى موضوعات الشعر وافكاره ، وأكسبه غنى وثروة لاحد لهما ، وانطلق به الى صفوف الشعب ، الى صفوف الجماهير يتجاوب معها وينفعل بها ، يستلهم منها ويؤثر فيها . . لن تستطيع أن تنكر أن شاعرنا الكبير فتح آفاقا جديدة واسعة لم يكن الشعر يجرؤ على الدخول اليها ، آفاقا جديدة انطلق فيها الشعراء بعده فابدعوا حيناً وتعشروا فى كثير من الاحيان . . لن تستطيع أن تنكر أن الرصافى وجه الى التزويق اللفظى والصنعة الكلامية والزخرفة البيانية التى انحطت بالشعر فى الفترة التى سبقت مجيئه ، أقول لن تستطيع أن تنكر أنه وجه الى كل ذلك طعنة فى الصميم ، وجعل للمعنى المنزلة الاولى ولللفظ المنزلة الثانية . وسواء اتفقنا معه فى ذلك أم لم نتفق ، فانه رسم الطريق دون شك لأولئك الذين جعلوا من اللفظ والمعنى أو من الشكل والمضمون وحدة متداخلة يعنى بها الشاعر ويستهدفها . .

وأخيرا لن تستطيع أن تنكر أيها العاتب على الرصافى أنه وضع قاعدة الالتزام الحديث فى الادب ، وجعل له رسالة نبيلة سامية ، هى رسالة الاكثرية الساحقة من ابناء الشعب ، وحتم على الاديب أن يضع نفسه فى خدمة المجتمع ويستوعب آلامه وآماله وأهدافه . يقول الرصافى :

إذا أنا قصدت القصيد فليس لى	به غير تبيان الحقيقة مقصد
نشدت بشعرى مطلباً عز نيله	وان هان عند الشعر ما كنت أنشد
فللنجم بعد دون ما أنا ناشد	وللدر قدر دون ما أنا منشد
وكم جنبتنى عزة النفس منهلا	يطيب به لكن من الدل مورد
وما أنا الا شاعر ذو لبانة	أنوح بها حيناً وحيناً اغرد

ولنعد الى موقف الرصافى فى الصراع الاجتماعى ، فقد قلنا انه أخذ جانب الشعب ، جانب أكثريته الساحقة ، جانب التقدم ، جانب العدالة الاجتماعية جانب الحرية والمساواة ، جانب القومية . وقد بدا ذلك كله واضحاً فى شعره بشكل لا يقبل الجدل . ونظرة سريعة على ديوانه تقدم لنا أكثر من دليل . استمع اليه فى قصيدته « تنبيه النيام » :

أما آن أن يغشى البلاد سعودها	ويذهب عن هذى النيام هجودها
متى يتأتى فى القلوب انتباهها	فينجاب عنها رينها وجمودها
أما أسد يحمى البلاد غضنفر	فقد عاث فيها بالمظالم سيدها
برئت الى الاحرار من شر أمة	أسيرة حكام ثقال قيودها
سقى الله أرضاً أمحلت فى أمانها	وقد كان رواد الامان ترودها

فضاقت على الاحرار ذرعا حدودها
يسوسهم بالموبقات عميدها
وأموالها منهم ومنهم جنودها
وساد على القوم السراة مسودها
يرد مهاناً عن سبيل يريدها
وعاب لبيداً في النشيد بليدها
يعز على أهل الحفاظ جمودها

جری الجور منها فی بلاد وسیعة
عجبت لقوم يخضعون لدولة
وأعجب من ذا أنهم يرهبونها
إذا ولّيت أمر العباد طغاتها
وأصبح حر النفس في كل وجهة
وصارت لئام الناس تغلو كرامها
فما أنت الا أيها الموت نعمة

★ ★ ★
منى كل نفس وصلها ووفودها
وتبدو المعالي حيث أتلع جيدها
أناساً تمنى الموت لولا وعودها
فما ضرها والهفتا لو تعودها

★ ★ ★
ألا انما حرية العيش غادة
يضىء دجنات الحياة جبينها
لقد واصلت قوما وخلت وراءها
وقد مرضت ارواحنا في انتظارها

★ ★ ★
على نوب أعيا الحصاة عديدها
إذا حملته الراسيات يثودها
على حين يزرى بالرجال قعودها
وهذه قصيدته التي نظمها بعد اعلان الدستور العثماني ، ألا تعبر
عن مبلغ تعلقه بالحرية ، بالمساواة ، يقول فيها :
وغنت لنا الدنيا تهنئنا عزفا
فاهلا بما زفت وشكرا لمن زفا
وقد كان قبل اليوم لايشكر السيفا
ببعض هتافا يصعق الظلم والحيفا
أماطت لنا الاحرار عن وجهها السجفا

★ ★ ★
بنى وطني مالى أراكم صبرتم
أما أدكم حمل الهوان فانه
قعدتم عن السعى المؤدى الى العلى
وهذه قصيدته التي نظمها بعد اعلان الدستور العثماني ، ألا تعبر
عن مبلغ تعلقه بالحرية ، مبلغ تعلقه بالديمقراطية ، بالمساواة ، يقول فيها :
سقتنا المعالي من سلافتها صرفا
وزفت لنا الدستور أحرار جيشنا
فاصبح هذا الشعب للسيف شاكرا
ورحنا نشارى العز يهتف بعضنا
ولاحت لنا حرية العيش عندما
الى آخر القصيدة .

واستمع اليه قبل ذلك فى زمن السلطان عبد الحميد نفسه وهو
يصرخ ويستغيث ، وكأن الشعب العراقى ، بل جميع الشعوب الخاضعة
للسلطنة العثمانية تصرخ وتستغيث شاكية باكية باحثة فى ثنايا الظلام
المحقق بها عن اشعة الامل ، اشعة الحرية والعدالة .

يقول الشاعر فى مخمسته التى مطلعها
الى كم أنت تهتف بالنشيد وقد اعياك ايقاظ الرقود
فلست وان شددت عرى القصيد بمجد فى نشيدك أو مفيد
لان القوم فى غي بعيد

يقول فيها :

اليك اليك يا بغداد عني فاني لست منك ولست مني
ولكني وان كبر التجنى يعز علي يا بغداد أني
أراك على شفا هول شديد
تتابع الخطوب عليك تترى وبدل منك حلو العيش مرًا
فهل تنجبين فتى أغرا أراك عقميت لا تلدين حرا
وكنيت لمثله أزكى ولود

الى أن يقول :

حكومة شعبنا جارت وصارت علينا تستبد بما اشارت
فلا أحد دعتة ولا استشارت وكل حكومة ظلمت وجارت
فبشرها بتمزيق الحدود
حكومتنا تميل لباخسيها بجانب طريق مؤسسيها
فلا يغررك لين ملابسيها فهم كالنار تحرق لامسيها
وتحسن للنواظر من بعيد
أيا حرية الصحف ارحمينا فانا لم نزل لك عاشقين
متى تصلين كيما تطلقينا عدينا في وصالك وماطينا
فانا منك نقنع بالوعود

واستمع اليه يسخر ويتهكم :

أقول وليس بعض القول جدا لسلطان تجبر واستبدا
تعدي في الامور وما استعدا إلا يا أيها الملك المفدى
ومن لولاه لم تك في الوجود
أنم عن أن تسوس الملك طرفا أقم ما تشتهي زمراً وعزفا
أطل نكر الرعية خل عرفا سم البلدان مهما شئت خسفا
وارسل من تشاء الى اللحد
فدتك الناس من ملك مطاع أبن ما شئت من طرق ابتداع
ولا تخش الاله ولا تراع فهل هذه البلاد سوى ضياع
ملكك أو العباد سوى عبيد

وهذا كله واضح بين ، فالرصافي مناضل مكافح وهب نفسه لخدمة الشعب وخدمة أغراضه والعمل لتحقيق أهدافه وانقاذه من ظلمات العبودية والفقر والاستغلال الى فجر الحرية والعدالة والاستقلال . فهو اذن في الجبهة التقدمية التي كانت تقودها البرجوازية آنذاك ، والتي سبقت الاشارة اليها في مقدمة هذا الحديث والتي تمثلت في أوائل هذا

القرن في حركة حزب الاتحاد والترقي التي حاربت السلطان عبد الحميد في أوائل هذا القرن والتي أيدها الرصافي واسندها ، كما تشير الى ذلك جميع الاخبار ، واجبرته على اعلان الدستور ، ثم خلعتة حين تنكر لوعوده . . أقول كل ذلك واضح بين ، ولكني أريد أن أقول أكثر من ذلك . فهذه الجبهة التقدمية كانت تضم آنذاك الى جانب البرجوازية المثقفة ، الطبقات الاخرى الكادحة التي تستخدم قوتها على العمل لكسب العيش ، والتي وان لم تكن واعية مدركة تماما فانها كانت بطبيعة رغباتها وحاجاتها تؤيد هذه الجبهة وتسندها لانها تحقق هذه الرغبات وتسد تلك الحاجات .

وكما هو المؤلف دائما ، لا تكاد البرجوازية تحقق أهدافها ومطالبها ، بمساعدة طبقات الشعب الكادحة الاخرى وتقض على جهاز الحكم حتى تستأثر بالسلطان وتنكر للمبادئ التي نادت بها وتقلب ظهر المجن للطبقات الاخرى التي اسندتها وايدتها ورفعتها الى كراسي الحكم . وهذا ما حدث فعلا في السلطنة العثمانية ، اذ ما كاد حزب الاتحاد والترقي يأخذ بيديه زمام الحكم حتى تنكر للطبقات الاخرى ، بل وللقوميات الاخرى التي اسندته ، وسار في سياسة استغلال وقمع لم تختلف الا قليلا عما سبق . على أن قصر الفترة التي مضت بين اعلان الدستور في سنة ١٩٠٨ وبين الحرب العالمية الاولى كانت قصيرة بحيث لا تسمح لنا بابداء آراء تفصيلية حول طبيعة موقف الكتل الاجتماعية ولا سيما في العراق الذي كان يسوده جو من الفوضى والجهل والاضطراب .

على أن ما اريد أن أصل اليه من كل ما مر ، أن موقف شاعرنا الرصافي كان متميزا وواضحا في هذه الجبهة . ان نظرة فاحصة على قصائده وما يشيع بها من انسانية عميقة تدل بوضوح أن صوته كان صوت طبقة معينة من الطبقات المساهمة فيها ، صوت الكادحين والفقراء ، صوت أولئك المظلومين الذين لا يملكون شيئا في الحياة ، فهو في كل شعره يتحدث عنهم ويعبر عن مشاعرهم ويصف أحاسيسهم .

لا أقول انه كان يفعل ذلك - ولا سيما في مطلع هذا القرن نتيجة وعي طبقي وموقف متميز مدروس ، ولكنه كان بطبيعته ، بفطرته التي خلقتها عوامل عديدة ، ونتيجة لظروفه الخاصة مندفعاً في هذا الاتجاه ومعبرا عنه ، فهذه قصائده « اليتيم في العيد » و « الارملة المرضعة » و « ايقاظ الرقود » و « الفقر والسقام » و « دار اليتام » و « المطلقة » الخ . . كلها أمثلة واضحة على ذلك . استمع اليه يقول :

أرى كل ذي فقر لدى كل ذي غنى ولم يعطه الا اليسير وانما
ويعطيه من تذليله العز ضافيا يشد الغنى أزر الفتى في حياته
أجيرا له مستخدما في عقاره على كده قامت صروح يساره
وبنظره شزرا بعين احتقاره وما الفقر الا مكسر في فقاره

واستمع اليه أيضا في قوله متحدثا من مستغلي المجتمع :
تركوا السعى والتكسب في الدنيا وعاشوا على الرعية عالة
يأكلون اللباب من كد قوم اعوزتهم سخيقة من نخاله
يتجلى النعيم فيهم فتبكي اعين السعى من نعيم البطاله
ليس هذا في مذهب الاشتراكية الا من الامور المحاله
ويقول في قصيدة أخرى :

وما مدنية الاقوام الا تعاونهم على غر المساعي
ولم يصلح فساد الناس الا بمال من مكاسبهم مشاع
تشاد به الملاجيء لليتامى وتختار المطاعم للجياع

لا أظن أننا بحاجة لنأتى باوضح مما مر من شعر الرصافي للبرهنة
على موقفه في المعركة الاجتماعية التي كانت قائمة في المجتمع العربي
آنذاك ، هذا الموقف الذي يكاد يبدو في جميع قصائده أو في جلها .
انه موقف جميع الكادحين ، جميع أولئك الذين يطالبون باخلاص
بالحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية ، والذين لن تصطدم مصالحهم مطلقا
مع هذه المثل العليا . انه موقف الاكثرية الساحقة من أبناء الشعب .

الدكتور صلاح خالص

بغداد ٢٠-٣-١٩٥٩

« ان التطور يفرض نفسه واننا سنستمر في طريق الحرية
مهما وضعت أمامنا من عراقيل ، ومن واجبنا ان نساعد هذا التطور
وان نندمج معه » .

للرغم عبد الكريم قاسم

الرصاص في مذهب الأجماع

الركن
وديعه طه النجم

« من اتحاد الادباء العراقيين »

مقدمة :

لقد حاولت بادئ الامر أن ابحث مذهب الرصافي الاجتماعي وان استعين بما كتب عنه أو ما قيل فيه فلم أجد في ذلك ما يخرجني مخرجاً ذا بال ، وربما أخطأت التقدير . فرأيت بعدئذ أن يسير البحث محاذياً الشعر مستمداً منه اصوله وربما استعنت بما كتب الرصافي نفسه في نفس ما طرقه في شعره .

والرصافي يفصل آراءه تفصيلاً دقيقاً في كتاباته وأبحاثه حتى انه لا يدع سؤالاً للباحث الا اجاب عليه . فالمطلع في ثنايا أبحاثه يستطيع ان يخرج بأبحاث طويلة في تفصيل آرائه السياسية أو الاجتماعية ، التشريعية أو الاقتصادية . الخ . وهو وان طرق في شعره كل موضوع يكاد يخطر على بال شاعر ، الا انه في كتاباته أكثر توسعاً منه في الشعر . لذا فقد وجدت ان احدد مجال عملي واقصره على الشعر والشاعر ، وان استعين على الشعر بما كتبه الرصافي ، استعانةً فقط . اما ما استعصى على الفهم من الشعر ، فهو قليل الوقوع في شعر الرصافي . ولست اظن أن الرجل أخفى شيئاً مما يعتقد ، اللهم الا ان يخفي البعض ما يشاؤون مما قاله خشيةً وحذراً كأنهم يمسون شخصه في التصريح ، على حين هم قد يغمطونه حقاً له ، افليس هو القائل مخلصاً ؟ :

أحب صراحتي قولاً وفعلاً	واكره أن أميل الى الرياء
فما خادعت من أحدٍ بأمرٍ	ولا أضمرت حسواً في ارتقاء
ولست من الذين يرون خيراً	بابقاء الحقيقة في الخفاء (١)

(١) قصيدة (حقيقتي السلبية) - الديوان : ص ٢٠١ (مطبعة دار المعرض سنة ١٩٣١).

وهو القائل :

وجردت شعري من ثياب ريبائه فلم أكسه إلا معانيه الغرا
وارسلته نظماً يروق انسجامه فيحسبه المصغى لانشاده نثرا
فجاء مضيئاً ليله كنهاره وإن كان بعض القوم يزعمه كفرا
اضمنه معنى الحقيقة عازياً فيحسبه جهالها منطقاً هجراً (١)

فشاعرنا مخلص لعقيدته معتر بحريته في كل مجال وهو ما يزال
مردداً (من نفس القصيدة) :

أحرיתי اني اتخذتك قبلة أوجه وجهي كل يوم لها عشرا
وأمسك منها الركن مستلماً له وفي ركنها استبدلت بالحجر الحجرا

هذا المعنى تجده دائماً لا تكاد تخلو قصيدة منه .

ولكن هناك أمراً لا بد من الإشارة إليه ، هو ان الرصافي لم يكن
في شعره كله كما كان في كل نثره . وليس لنا الا أن نسأله جادين :
لماذا ترى تنازل بعض الشعر عما لم يتنازل عنده النثر ولم يخفض له
جناح الذل ابداً . ولا نستطيع الا أن نسأل شاعرنا : هل هذا الشعر
الذي يزخر به ديوانه - واعني به شعر المجاملات والمدائح خاصة - كله
شعر يعبر به عن عقيدته وإيمانه صراحة ، وهل ما قاله هو من ذلك
الشعر عنه حين قال : « اضمه معنى الحقيقة عازياً » ؟!

إذا تتبعنا حياة شاعرنا منذ بدئها ، لم نجده مستقراً لامرٍ أو
لناحية بالذات في مطلع هذه الحياة بل نجده ما يزال متنقلاً بشعره بين
الاغراض والاهداف ، كما تنقلت حياته بين البلاد نفسها . فعلى حين
كانت نفثات ألمه التي خرجت من ضميم الشعب والتي كان يكابدها
الشعب حقاً تطلع علينا بقصائد « اليتيم في العيد » (٢) و « السجن في
بغداد » (٣) و « من ويلات الحرب » (٤) ، كان مجرد بعده عن موطنها يفسد
له حتى شعره - ولست أقول طبيعته . ولقد أحس الرصافي نفسه بهذا ،
فقد قال عن ذلك : « ... كانت مشاهد البؤس من أشد الدواعي عندي
الى نظم الشعر ... وهكذا بقيت أنسج على هذا المنوال حتى أعلن
الدستور العثماني فذهبت الى الاستانة وهي مركز سياسة الدولة اذ ذاك
فاجترفتني امواجها المتلاطمة وحالت في الاكثر بيني وبين تلك المواضيع

(١) قصيدة (في سبيل حرية الفكر) - الديوان : ص ٦٧ .

(٢) الديوان : ص ٧٤ .

(٣) الديوان : ص ٥٦ .

(٤) الديوان : ص ٢٢٣ .

السابقة ويا قاتل الله السياسة انها ما دخلت في أمر الا افسدته «(١) .
ونحن لا يسعنا الا ان نقول مع الشاعر : ويا قاتل الله المجاملات ،
انها ما دخلت شعرا الا افسدته .

ولست اعتقد - على أى حال - ان الرصافي قد عني بقوله هذا ذلك
الشعر الوطني الزاخر الذي وقف في وجه الظلم والاستبداد وحارب
المستعمرين وكان لسان الشعب نفسه ، فلو كان الرصافي يعنيه بذلك ،
لترك القول فيه بمجرد بعده عن موطن « السياسة » وفسادها . ان
السياسة في الحقيقة هنا ، هي ذلك القرب من « الباب العالي » وما جرت
من مناسبات ومجاملات ، ثم من شعر يدافع عن تلك السياسة ويقف
لها في بعض مواقفها(٢) .

نعم لقد افسدت عليه هذي الامور شعره العميق ، والا لما كان هذا
الشعر عرضة للابتلاء بما لا يغني عن أحد شيئا سوى السلطان من آل
عثمان(٣) . فليت الرصافي ظل للشعر وحده ، ونزه شعره عن المدائح
ومناسباتها التي جرفته بعض أمواجها . كتب الاستاذ مارون عبود في
احدى هذه المناسبات يقول :

« وهذا معروف الرصافي شاعر العراق وأحد أعضاء وفده ، كان
ينثر الشعر حيث يمر الوفد كأنما هو يبذر ترميماً وكرسنة ، قال أبياتا
كالشعر لا أشك في أنه نظمها مكرها وأنشدها مرغما والا عد عيا أو غير
مكثرث ، فلفق ما لفق حتى استقام الوزن واصطفقت القوافي وتزاحمت
الرواسم . وقال الرصافي شعرا صفق له الحاضرون حتى انتهى من انشاده
وقرظته الصحف لان قائله معروف . . »(٤)

وهكذا هو في معظم اشعار المجاملات ، ففي قصيدته (في زحله) (٥)
سنة ١٩٢٣ من المعاني المبتذلة المتكررة ما يوحي بأن الشاعر اضطر الى
قولها اضطرارا . ومن هذه القصائد قصيدته (الى ابناء الوطن) . ولست
اقول ان الشاعر دفع الى قولها دفعا ، فهو متحمس فيها لما يقول . ولعل

(١) من حديث للرصافي : مجلة الحرية عدد ١ تموز - ١٩٢٥ .
(٢) في مجلة العالم الاسلامي ص ٣١ - ٩ اكتوبر (سنة ١٩١٦) قصيدة للرصافي
في السياسة العثمانية وتعظيم محمد رشاد . ويلاحظ ان المجلة تابعة للدولة العثمانية
وتصدر في دار الخلافة .
(٣) في العدد التالي من نفس المجلة مقطوعة نظمها الخليفة محمد رشاد الخامس ،
وترجمها الى العربية شعرا الرصافي .
(٤) مارون عبود : على المحك - ص ٩٤ (دار العلم للملايين - مطبعة الكشاف) .
(٥) ديوان الرصافي : ص ٩٤ .

السبب في ذلك ان المناسبة التي قيلت فيها القصيدة ليست كبقية
المناسبات (١) . الا انها لا تخلو من التقليد أيضا اذ التزم فيها طريقة
المعري في (اللزوميات) ، كما ان معانيها ليست جديدة بل تكررت في
قصائد أخرى له ولغيره . واليك أمثلة على ذلك :

يقول الرصافي في القصيدة :

يا قوم قد هرم الزما ن من التماذي في انقلابه
فلذاك عند الهاجرا ت يسيل شيء من لعبه
ما زال من خرف به للناس يهذر في كذابه
وقال المعري من اللزوميات :

ان خرف الدهر فهو شيخ لم تبد في شخصه ضمانه (٢)
ويقول الرصافي في قصيدته :

آب المسافر للديار على اضطرار في اياه
الى ان يقول :

قد كان يمرح في التغر ب بالحفاوة من صحابه
لا تعجبن لخامل لبس النباهة في اغترابه
فالسيف احسن ما يكو ن اذا تجرد من قرابه
وقال المعري :

هجر العراق تطرباً وتغرباً ليفوز من سمط العلا بغرابه
وفيها يقول في معنى الرصافي نفسه :

والعضب لا يشفى امرأاً من ثاره الا بفقد نجاده وقرابه (٣)
وقد يقال ان هذا الالتزام والتقليد هو مجرد اختيار وصدفه ، الا ان
الرصافي نفسه يقر بهذا التقليد اذ يقول :

« وقد التزمت أنا في بعض قصائدي ما يلزم كقصيدة (صبح
الاماني) وكقصيدة (في ايلياء) وكقصيدة (الى القزويني) ، وانما فعلت
ذلك تقليدا لابي العلاء وتشبها به وقد قيل ان التشبه بالكرام حميد ،
لاني احبه حب احترام وتعظيم ، وان خالفته في بعض ما ذهب اليه من
أمر الحياة ... » (٤) .

(١) قالها بمناسبة عودته الى بغداد سنة ١٩٢٣ في حفلة اقيمت له . القصيدة في
الديوان ص ٨٨ . وقد نشرت كاملة في كتاب (ذكرى الرصافي) ص ١٥٩ (مطبعة بغداد) .

(٢) المعري : اللزوميات : ح ٢ ص ٣٥٦ (مطبعة التوفيق سنة ١٩٣٠) .

(٣) سقط الزند : ص ٥٩ (مطبعة المعارف) .

(٤) الرصافي : على باب سجن ابي العلاء : ص ٤٥ (منشورات دار الحكمة) .

اما قصيدته (الى الشبان) (١) فأترك الحكم فيها الى القارىء ، وأنا
انقل اليه افتتاحيتها حيث قال :

أدب العلم وعلم الادب شرف النفس ونفس الشرف
بهما يبلغ اعلى الرتب كل رامٍ منهما فى هدف (٢)

وفى قصيدة (الحياة الاجتماعية والتعاون) (٣) يبدو الشاعر وكأنه
يعرض لنا مذاهب اجتماعية لا شأن له فيها ، قد نظمها شعرا وجاء ليلقيها
فى حفلة تأسيس جمعية حماية الاطفال فى بغداد سنة ١٩٢٨ ، فهو خلو
من عواطف الشاعر ، تلك العواطف الملهبة التى بثها فى قصائده المنبعثة
عن شعوره الصادق .

وللرصافى يعود الفضل فى توجيه بعض هذه القصائد توجيهها يبعدها
عن الجمود الذى يحيط بها . وفى قصيدته التى سميت فى ديوانه « فى
سبيل الوطنية » (٤) سار سيرا جديدا ، ففيها نظرة اعم مما فى بقية
قصائد المديح ، هى الدعوة الى توجيه الصناعة الوطنية وانماؤها
وتشجيعها ، وان كان لابد لها ان تفتتح بالممدوح ، الذى افسد اسمه
ومشتقاته هذا البيت وايياتا أخرى من القصيدة :

فخرى الذى ابتكر المفاخر واغتنى منهن مفتخرأ بكل جديد (٥)

وهكذا الرصافى فى أكثر قصائد المجاملات ، لم يستطع ان ينطلق
من هذه القيود الاجتماعية ، قيود المديح والمجاملة . فلولا هذه لصح ان
يقول الرصافى دائما وفى كل قصيدة :

احب صراحتى قولا وفعلا واكره ان اميل الى الرياء

عقيدة الرصافى :

حين أصدر الرصافى كتابه « رسائل التعليقات » (٦) ، أثار الكتاب
ضجة لدى بعض رجال الدين ونسبوا الرصافى الى الكفر وقامت
المناقشات حادة بين مؤيديه ومكفريه . ولست ارى بأسا فى ان أنقل

(١) انشدت فى افتتاح المنتدى الادبى الذى اسسه شبان العرب فى الاستانة وقد
طلبوا الى الرصافى أن ينظم لهم قصيدة تنشد فى يوم الافتتاح المذكور .

(٢) الديوان : ص ٨٢ .

(٣) الديوان : ص ١٠ .

(٤) الديوان : ص ١٠٢ .

(٥) قيلت فى فخرى البارودى الذى الف شركة المنسوجات الوطنية فى دمشق وطلب
الى الرصافى ان يكتب قصيدة فيها .

(٦) هو فصول علق فيها الرصافى على بعض المؤلفات المختلفة ، بحث فيها قضايا
« وحدة الوجود » وفند فيها بعض ما ذكره زكى مبارك عن الصوفية ومصطلحاتهم . الخ .

اليكم طرفا من هذه المناقشات . فمن جملة الذين هاجموه كان محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، الذي قال فيه :

« نظرت في هذا الكتاب نظرة قصيرة ولكنها دقيقة وعميقة دلتني على حقيقة مقاصد مؤلفه وأنه لا يريد من كتابه هذا الا هدم دعائم الاديان عامة وأركان الاسلام خاصة . . . » وأخيرا يطلب الى الحكومة قائلاً :

« والرجاء الاكيد من حكومتنا الموقرة واولياء الامور سددهم الله طرد مؤلفه من العراق والحاقه ببلاد الكفر (كذا !) وجمع نسخ هذا الكتاب واتلافه كي لا يفسد عقائد الشباب العراقي النجيب » (٢) .

ولم تكتف مجلة الرسالة بمهاجمة الكتاب وعقيدة كاتبه بل هاجمت كتاب « الشخصية المحمدية » (٢) الذي كان ولا يزال مخطوطاً لم يطبع بعد .

وقد ظهرت ردود مختلفة من قبل كثير من الكتاب على هؤلاء المهاجمين كما كتب الرصافي نفسه في مجلة الرسالة ومجلة المكشوف البيروتية رداً على المهاجمين وتفنيداً لحججهم . وممن كتب أيضاً في الرد على هؤلاء ، الاستاذ فهمي المدرس فقال فيه انه :

« . . . لم يظهر في تعليقات الرصافي ما يمس كرامة الدين بل ظهر لنا انه قوى الايمان بالله ورسوله راسخ الاعتقاد بما جاء به القرآن . ومن كفر مسلماً فقد كفر » (٣) ، بعد أن فند الآراء المختلفة وأعطى عرضاً شاملاً لما يشمله الكتاب ويحويه .

ومهما اختلفت الآراء في عقيدة الرصافي فان عقيدته حقيقة يبسطها لنا شعره بسطاً وافياً نستطيع ان نفهم منه ما نتساءل فيه . ونفهم قبل كل شيء ان الرصافي لم يجد في الدين - في نضوجه - ما وجدته وهو لا يزال فتياً ، فقد قال عن نفسه :

لقنت في عصر الشباب حقائقاً في الدين يقصر دونها الافهام
حتى انقضى عصر الشباب وطيشه فاذا الحقائق كلها اوهاماً (٤)

(١) عن نعمان ماهر : الرصافي في أعوامه الاخيرة : ص ٤٢ .
(٢) هناك نسختان خطيتان لهذا الكتاب ، نسخة لدى الاستاذ كامل الجادرجي منقولة بخطه عن نسخة الرصافي ، ونسخة عند السيد مصطفى علي . ولدى المجمع العلمي في بغداد نسخة مصورة عن نسخة الجادرجي .
(٣) عن نعمان ماهر : نفس المصدر : ص ٤٠ .
(٤) ديوان الرصافي : ص ٤٦٨ .

ذلك لان مرحلة التسليم قد انقضت وبدأت مرحلة تفكير وتمحيص . فلم يعد الرصافي يرى في الدين ما كان يراه . أراد ان ينظر ويبحث فيه كي يجرده عن البدع والاهواء . فلم يعتنق ما يعتنقه البعض ظانا انه من صلب الدين وهو ليس منه بشيء ، فالرصافي لا يريد ان يكون ممن يرون من الدين ما ليس منه :

ولا ممن قد ارتبطوا بماضٍ فعاشوا ينظرون الى الوراء
ولا ممن اذا وبثوا استعاضوا بتمتمة الدعاء عن الوباء
ولا من معشرٍ صلّوا وصاموا لما وعدوه من حسن الجزاء
ولا ممن يرون الله يجزى عن الصلوات بالخور الوضاء (١)

اما البدع فيقول الرصافي فيها : « ولو كان الشرك بالله يضر الناس مضرة مادية لهلك اهل العراق الذين هم اعادوا الوثنية جذعة بعبادتهم اهل القبور التي في القبر المسماة عندهم بالعتبات المقدسة » (٢) . ونفهم سواء من الشعر أو مما يقوله الرصافي في بحوثه ، انه لا ينظر الى الدين نظرة تقليدية ، بل يبحث الحركة الاسلامية التي ظهرت في مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي والعقلي بحثا شاملا . وهو يرى ان التوحيد مرحلة من مراحل تطور المجتمع من الدور الذي يعبدون فيه آلهة متعددة الى دور موحد لاله واحد ، وان الكلمة التي جاء بها محمد (لا اله الا الله) أريد بها انتشالهم من عبودية آلهة متعددة . فدينه طور جديد من أطوار الحياة العقلية والاجتماعية . وجاء اصلاحه في تنظيم قوى الارباب التي سيطرت على المربوبين سواء من الوجهة المادية (البدنية وما يتبعها من سلاح وأعوان) أو الادبية (كالدين وما يتبعه من رؤساء وكهان) « فالمنفعة المترتبة على كلمة التوحيد هي للناس لا لله لانها تحررهم من العبودية لغير الله فنفعها لا يعود الا اليهم . . . » (٣) .

وتلاحظ في تفكير الرصافي في هذا الباب اصالة واستقلالا في البحث عن الحقيقة . فهو لا يرضى كل ما يقال على علته ، فهو يقول في ذلك أيضا :

« . . ثم اني في فهم الدين الاسلامي لم اتقيد من الاسلام الا بمبدئه الرفيع العام فلا أكون تابعا لغيري في فهم نصوصه بل اجتهد في فهمها بقدر ما آتاني الله من فهم وعقل . فاذا رأيت فيه ما لا يناله العقل ،

(١) ديوان الرصافي - ص ٢٠١ .

(٢) الرصافي : الشخصية المحمدية : ص ٨ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٤ - ص ٥ .

حاولت تأويله فان عجزت وقفت عنده متحيرة ليس الا « (١) .
والرصاصي يرى العلاقة وثيقة بين ما يسود من معتقدات بين الناس
وبين ما هم عليه من أحوال معيشية وأوضاع اجتماعية ، فالعقيدة عنده
تصدر عن ظروف تحيط بالناس انفسهم . وهو ينتقد عقيدة الناس
واتكالياتهم في الحياة قائلا :

« ولو علموا ان بؤسهم وشقاءهم في هذه الحياة انما هو متأت من
فساد نظامهم الاجتماعي والسياسي المتبع عندهم لما اتكلوا في زواله على
الآخرة بل سعوا الى اصلاحه بما يردع الظالم عن ظلمه ويخلص البائس
من بؤسه وينتشل الشقي من شقائه ويوزع مرافق الحياة على الناس
توزيعا عادلا بحسب كفايتهم وقدرتهم على العمل الصالح المفيد » (٢) .
ومن الطريف ان نذكر بهذه المناسبة ان الرصاصي سئل عن تلك
الضجة التي اثارتها « رسائل التعليقات » فقال : « لا خير في كتاب لا يثير
الجهلاء » (٣) .

قد يسأل الباحث السؤال : الى أي حد تأثر الرصاصي بأراء المعري
في هذا الباب ؟!

لقد درس الرصاصي آراء ابي العلاء والف فيها وهو معجب بأبي
العلاء في كثير من الامور ، الا انه لم يتفق معه في كل شيء . يقول
الرصاصي في مقدمة كتابه « آراء أبي العلاء » :

« . . . ولا يظنن القاري اني معه - أي ابي العلاء - في كل ما قال ،
بل في آرائه ما لا اوافقه عليه لا سيما رأيه في مسألة الحجاب . . . » (٤) .

والرصاصي حين يعرض لنا ما قيل في أبي العلاء ، وما انقسم الناس
فيه بين مكفر له ومدافع عنه يقول ان هذا التكفير لا يضير ابا العلاء شيئا
كما لا يزيده الدفاع عن عقيدته امرا . والرصاصي - في مكان آخر -
يصرح راداً على الذين دافعوا عن ابي العلاء في محاولته معارضة القرآن
قائلاً :

« . . . فان تمجيده لله احسن تمجيد لا ينافي معارضته للقرآن وذلك

(١) الرصاصي : « خواطر ونوادر » عن مصطفى علي : الرصاصي . شعره مؤلفاته :
ص ٤٨ (مطبعة الكتاب العربي) .

(٢) الرصاصي : الشخصية المحمدية : ص ٢٢٢ .

(٣) نعمان ماهر : الرصاصي في أحواله الاخيرة : ص ٢٧ .

(٤) « آراء أبي العلاء » مخطوط مؤلف من ثلاثة اجزاء بخط الرصاصي نفسه في مكتبة
المجمع العلمي العراقي : وقد نشرت مجلة الحرية سنة ١٩٢٤ فصولاً منه في « رأى ابي
العلاء في الروح والجسد » .

لان المعلوم من افكار ابي العلاء انه غسل قلبه من جميع العقائد الدينية سوى الايمان بالله . وهو الذى يقول فى لزومياته :
قد ترامت الى الفساد البرايا واستوت فى الضلالة الاديان (١)
ولا نكون بعيدين عن الحقيقة اذا طبقنا المنهج نفسه على الرصافى وعقيدته ، ولم نحاول ان نجد تاويلا لما يقوله هو صراحة . فهو لا يتبع النقل فى عقيدته قدر ما يتبع حكم العقل .

كان ابو العلاء يرى فى الاديان كلها تخالفا وتضاربا فتركها ولم يؤمن بواحد منها . وأياسه امر الناس فاعتزل الحياة . اما الرصافى فلم يكن رد الفعل فى نفسه كذلك . فقد قام فى الناس مصلحا ناقدا موجهها الناس توجيهها يراه أصلح لهم . فكان يعالج بدع الدين والمذهبية والطائفية والعنصرية ، فى شعره ، وما تجر على الناس من ويلات وآلام . فهو ينظر فى الامر نظرة بعيدة المدى ، فاذا أراد اصلاح الدين فانما يريد لتخليص الناس مما زيد عليه فأصبح تقليدا مقدسا لديهم وعادة يثابرون على اتباعها ، لذلك ارتبطت عقيدته الدينية بمذهبه الاجتماعى ارتباطا وثيقا .

من جملة المشاكل التى يعالجها الرصافى فى شعره ، والتى تعكس صورة عن عقلية أصحاب العصبية ، مشكلة التفرقة العنصرية والمذهبية التى كثيرا ما كانت تؤدى الى قيام المذابح والاضطهاد . والشاعر يتساءل : هل من رسالة الدين ان تقوم هذه التفرقة ، فيجيب :

فليس بدين كل ما يفعلونه ولكنّه جهل وسوء تفهّم
لئن ملأوا الارض الفضاء جرائمًا فهم أجرموا والدين ليس بمجرم (٢)

وللرصافى قصيدة فى هذا الشأن موجهة الى (اخواننا المسيحيين) :
علام التعادى لاختلاف ديانة وان التعادى فى الديانة عدوان
وما ضرّ لو كان التعاون ديناً فتعمر بلدان وتأمين قطّان
اذا جمعتنا وحدة وطنية فماذا علينا ان تعدّد أديان (٣)
ولقد أياس الرصافى حال البشر بما فيهم من ولوع بالمخاصمات المذهبية ، فقال وكان الامر افلت زمامه من يديه ، حتى نسب الشر الى طبيعة البشر ، وجعله متأصلا فيهم .

(١) الرصافى : على باب سجن ابي العلاء : تحت عنوان (الفصول والغايات) - ص ٨٦ (منشورات دار الحكمة) .

(٢) من قصيدة (أم اليتيم) - الديوان - ص ٥٥ .

(٣) الديوان - ص ١٥١ .

« .. ولعلك تقول لو لم تكن هذه الاديان وهذه المذاهب موجودة في الناس افتنظن انهم على عدم وجودها كانوا كلهم يعيشون اخوانا على سرر متقابلين لا شحناء بينهم ولا بغضاء ؟ كلا ثم كلا . فان الجبلية البشرية المجبولة على الشر هي وحدها الداء العضال وهي هي التي عمدت الى الاديان - وهي دواؤها - فجعلتها داءً ثانياً ناشباً فيها ولذا اقول :

هي الداء اعيا الاولين فهل له على عقمه في الآخرين طبيب (١) كأن انعدام الخلافات المذهبية أو الدينية ينفي وجود خلافات أخرى تنبع من هذا المجتمع الدائب الحركة بما فيها من عوامل التخالف المادي والطبقي ..

ومهما يكن من أمر ، فالدين عند الرصافي رسالة انسانية جاءت لتنظيم حياة البشر في مرحلة من مراحل تطورها . وان الغاية منه هي « الوصول الى شيء من السعادة في الحياة الدنيوية الاجتماعية ، والحياة الاخرية ، ما امكن الوصول اليه من ذلك بترك الشرور » (٢) . فتنظيم الحياة الاجتماعية هو من الغايات الرئيسية لحياة البشر ، ومتى انتظمت علاقات الافراد كان الوصول الى الاستقرار والسعادة الاجتماعية أسهل . ولم يكن يؤلم الرصافي في حياته أشد من ان يرى الفواجع تلم بمجتمعه ، فكان يردد :

ولست الذي آسى له فقد هالك
أرامل تستذري الدموع وحولها
ولكن ضياع المفجعات الكرائم
يتامى كأفراخ القطا والحمام (٣)
ويقول :

من ليس يبكيه من أبناء جلدته
ولا يقوم بعبء المجد مضطلعاً
بكاؤهم فهو من جنس التماسيح
من لا يقوم الى انهاض مفدوح
وما السعادة في الدنيا بخاصلة
الاّ باسعاد أطلاحٍ مرازيج (٤)
وهو حين يكتب وصيته لا ينسى ان يقول مخلصاً :

« .. كل ما كتبت من نظم ونثر لم أجعل هدفى منه منفعتي الشخصية وانما قصدت به منفعة المجتمع الذي عشت فيه والقوم الذين أنا منهم ونشأت بينهم فلذا لم اوفق الى شيء في حياتي يسمى الرفاهية والسعادة في الحياة .. » (٥)

(١) الرصافي : آراء ابي العلاء - ص ٣٥ (مخطوطة المجمع العلمي)

(٢) من وصية الرصافي عن : مصطفى علي : الرصافي - شعره ومؤلفاته - ص ٤٣ .

(٣) من قصيدة (بنى الارض) : الديوان : ص ٢٦ (المطبعة الاهلية)

(٤) من قصيدة (من ويلات الحرب) : الديوان : ص ٢٢٣ .

(٥) من وصية الرصافي عن مصطفى علي : الرصافي - شعره ومؤلفاته - ص ٤٣ .

العقيدة والمجتمع

يربط الرصافي بين العقيدة من جهة ، وما عليه الناس من أحوال اجتماعية ومادية من جهة أخرى ، فهو حين يعرض مشكلة ما لا ينسى ان يعرضها من وجهة نظر التقاليد وما تستحقه هذه الوجهة من تجديد واصلاح .

ومن أبرز المشاكل التي يعرض لها الرصافي في شعره وكتاباتة مشكلة ظل الشرق وما زال جزء كبير منه يعانيها ، تلك هي مشكلة المرأة ، وما يترتب على مركزها في المجتمع من علاقات اجتماعية ، بل وحتى سياسية . فقد شاع في الشرق الاسلامي الاعتقاد بأن الاسلام هو الذي حتم ان تكون المرأة على ما هي عليه من تأخر وكبت . . . والنخ . ويرد الرصافي هذا الادعاء في شعره فيقول :

وقالوا شرعة الاسلام تقضى	بتفضيل الذين على اللواتي
وقالوا ان معنى العلم شيء	تضييق به صدور الغايات
وقالوا : الجاهلات اعف نفساً	عن الفحشا من المتعلمات
وفيها يقول :	

لئن وأدوا البنات فقد قبرنا	جميع نساءنا قبل الممات
حجبناهن عن طلب المعالي	فعشن بجهلهن مهتكات (١)
وهو يقول في هذه المشكلة معرضاً بالشرقيين عامة :	

الم ترهم امسوا عبيداً لانهم	على الذل شبوا في حجور اماء
وهان عليهم حين هانت نساؤهم	تجمل جور الساسة الغرباء (٢)
ارأيت كيف تتصل الامور بعضها ببعض فتنشأ العبودية والذل من مهد الطفل وحجر الام . وكيف يذل مجتمع يترك عنصراً فعالاً من عناصره عرضة للتفسخ والانحلال ، أو للكبت والتضييق .	

والرصافي حين يعرض مشكلة الزواج انما يعرضها بقلبها الذي اوجده لها المجتمع الطبقي وصبغها بصبغته المتحللة ، وما شاع نتيجة ذلك من تهتك وفجور في البيوت الزوجية نفسها ، بما يمارس فيها من عادات . والرصافي من هذه الوجهة أقوى وأشد في بحوثه منه في شعره ، وان كان لا يغض النظر عنها حتى في الشعر . ومما يقوله عن هؤلاء المتزوجين :

« ان هؤلاء المتزوجين الذين احدثك عنهم كلهم من الطبقة الوسطى

(١) الديوان : ص ٣٢٩ .

(٢) الديوان : ص ٣٢١ .

أو العليا من الناس . وإذا تساهلت جاز لي ان استثنى واحدا في المائة منهم لا أكثر . اما الطبقة الدنيا وهم الفقراء ، فلا كلام لي فيهم لان هؤلاء يصحبهم العجز دائما وعدم الامكان ، ومع ذلك فلا يخلو متزوجوهم من فعل الزنا وان كانوا أقل بالنسبة الى الطبقتين الوسطى والعليا . (١) ويوجه الرصافي سؤاله الى الشرائع التي ترتأى الحصانة في الزواج ، فيقول :

فاذا كانت الحقيقة هي هذه ، فاین الحصانة من الزواج واین الزواج من الحصانة ؟!

وينسب الرصافي سبب هذا التفسخ الى أسباب منها عدم التماثل بين الطرفين والى سيطرة تقاليد بالية في أساليب الزواج . فمن قصيدته « حرية الزواج عندنا » يقول :

ظلموك ايتها الفتاة بجهلهم اذ أكرهوك على الزواج بأشييا
طمعوا بوفر المال منه فأخجلوا بفضول هاتيك المطامع اشعبا
ومنها يقول :

فاذا رفضت فما عليك برفضه عار وان هاج الولي وأغضبا
وأیضا :

ان الكريمة في الزواج حرة والحرّ يأبى ان يعيش مذبذبا (٢)
وهكذا تنتهي بيوت الزوجية المطوحة في الهواء بالتهدم والانحلال .
والرصافي يعرض لمشكلة الطلاق ، فيشكو الذين يغالون في أمره أيضا فيقول :

ألا قل في الطلاق لموقعيه بما في الشرع ليس له وجوب
غلوتم في ديانتكم غلواً يضيق ببعضه الشرع الرحيب
أراد الله تيسيراً وانتم من التعسير عندكم ضروب
وقد حلت بأمّكم كروب لكم فيهنّ لا لهم الذنوب
وهي جبل الزواج وركّ حتى يكاد اذا نفخت له يذوب (٣)
ويكفي ان تقرأ قصيدة كقصيدة (السجن في بغداد) مثلاً بكاملها ،
لترى ما كان عليه هذا المجتمع من تضيق وكبت وظلم . . . ولتعرف كثيراً
عن الرصافي ومعالجته للامور .

الدكتور وديعة طه النجم
كلية الآداب - بغداد

(١) الرصافي : الشخصية المحمدية : ص ٥٩٢ (المخطوط) .

(٢) الديوان : ص ٣٢١ .

(٣) من قصيدة (المطلقة) - الديوان : ص ٧٣ .

الدكتور إبراهيم الساراني

« من اتحاد الادباء العراقيين »

لا اريد أن أعرض لشعر الرصافي فابن للقارئ مواطن المحافظة والتجديد فيه ، فالنقاد المعنيون بالادب وتأريخه أحرص مني على استيفاء هذا الموضوع . وهم أحرى أن ينزلوا الشاعر منزلته التي استحقها دون أن يتأثروا بشيء من الأشياء .

وأنا اذ اترك هذا الموضوع للهواة والمختصين بهذا الفن ، ادع الشاعر نفسه يحدثنا عن شعره بقوله من قصيدة « سياسة لا حماسة » : الشعر مفتقر مني لمبتكر ولست للشعر في حال بمفتقر وحديث الرصافي عن شعره كثير ، يجده القارئ في قصائد شتى من ديوانه ، ولم يحظ هذا الشعر بمن قال فيه القول المنصف على كثرة المتعصبين له أو عليه . ولقد تهياً لشعر الرصافي أن يشيع بين الناس ، وفي ذلك ما فيه من الدلالة والفائدة ، فهو يقول :

وأرسلته عفواً فكان كما ترى قوافي تجتأب البلاد سراعاً ولا اريد الا أن اقف منه وقفة البعيد الذي ظل بمنجى من أن تصم سمعيه جلجلة النعوت والاسماء . على أني لا اقول مع من يقول « كل فتاة بأبيها معجبة » ، وان كان كل متشاعر في دنيا الناس هذه ، أو قل كل من شدا شيئاً في الادب ظن أنه قد امتلك من الشعر أفانيه .

ولا بد لي أن أخلص للجانب اللغوي في شعر الرصافي فاطلع القارئ على مواطن المحافظة والتجديد فيه . قلت قد تحدث الرصافي عن شعره كثيراً ، وفي هذا الحديث يعرض لمسألة اللفظ والمعنى ، وهي مسألة متوعدة المسلك ، شائكة السبيل ، ذلك أنها تجر الباحث الى شعاب لا توصل الى حقيقة اللغة ، ولا تتنكر للفكر الفلسفي . ولنسمعه يقول في قصيدة له عنوانها « خواطر شاعر » ،

وللنفس في أفق الشعور مخايل
وما كل مشعور به من شئونها
ففي النفس ما أعيا العبارة كشفه
ومن خاطرات النفس ما لم يقم به
ويا رب فكر حاك في صدر ناطق
ويا رب معنى دق حتى تخاوصت
أرى اللفظ معدوداً فكيف أسومه
وافق المعاني في التصور واسع
ولولا قصور في اللغا عن مرامنا
ولست أخص الشعر بالكلم التي
ويقف الشاعر من اللغة وقفة الحيران ، فاللغة عنده وسيلة لاداء
المعنى ، ولكن هذه الوسيلة على سعتها وقدرتها وتوافرها له قد قصرت
لديه ، فلن يستطيع ان يفرغ فيها معانيه المختلفة ، ولن يقدر ان يترجم
بها عن دقائق التصور وحركات الفكر . وهو بهذا ينهج منهجاً فلسفياً
في بحث اللفظ والمعنى ، فالمجاز عنده وهو وسيلة من وسائل انماء
اللغة ، دلالة على قصور هذه الادوات التي تكون مادة اللغة .

ولكن الشاعر لا يؤمن ايماناً قاطعاً بعجز اللغة عن ادراك هذه
الغاية ، وذلك أن الشاعر قد يؤتى من المهارة والبراعة ما يستطيع بهما
ان يدفع العجز عن اللغة بوسائل كثيرة ، ومن أجل هذا نجده يقول في
قصيدة أخرى :

طابقت لفظي بالمعنى فطابقه
اني لانتزع المعنى الصحيح على
واللغة عند الرصافي قديمة حتى يخيل اليك أنك تقرأ لشاعر من
شعراء العربية في عصورها المتقدمة فهي متينة صلبة تغرس أصولها في
الغريب من اللفظ الذي يعسر فهمه ويدق تناوله . ولنسمعه يقول في
قصيدته « أنا والشعر » :

وهل يخطر الشعر الركيك بخاطري
ولا أدري كيف جاز للشيوخ المغربي أن يقول في مقدمة الديوان :
« والرصافي في مزيتي السهولة ونعمة الديباجة ، شبيهه بالبحثري
فالكلمات في ابياتهما مختارة منتقاة رتبت بحسب ترتيب المعنى
وفصلت على قدره فلا تقديم ولا تأخير ولا حشو ولا تعقيد ولا استعارات
بعيدة ولا كنايات غامضة » .

والذى يقرأ الديوان ربما وجد أن هذه العبارات قد جانبت الصواب . ذلك أن الرصافى حين يغرب فى لفظه وحين يعرض عليك صوراً قديمة ، فيها كثير من الطبيعة العربية البدوية ، وفيها المنهج التقليدى لنظم القصيدة العربية ، انما يقابل هذا سهولة عجيبة فى القصيدة نفسها حتى كأنك تقرأ مقالة فى صحيفة يومية من صحف هذا الزمان . ولا نستطيع أن نقارب بين منهج الرصافى هذا ومنهج البحترى .

والرصافى بعد هذا لا يتعب نفسه بتخير الالفاظ ، ولا يهتم أن تكون اللفظة الى جوار صاحبها بحيث لا تبدو نافرة قلقة وفى هذا هدر للنغم الملحون ومجافاة للموسيقى التى حرص عليها أبو عبادة البحترى فى شعره .

ولعل « المحافظة » فى لغة الرصافى تظهر فى عرضه للصور القديمة كأن يقف على الاطلال ، أو يبكى الديار أو ان ينصرف الى همومه يستعين عليها بالشعر ، وفى كل ذلك يلتزم اللفظ العربى الاصيل الذى لا يأنف من الغريب . وطبيعى أن يتناسب هذا الثوب اللفظى مع طبيعة الاغراض . ويبدو التجديد فى سهولته ويسر تناوله للموضوعات بلفظ هو الصق بلغة الاخبار اليومية فى الصحف المحلية .

وهو فى « محافظته » يترسم خطى القدامى فيضمن اشعارهم ويلتزم منهجهم . ففي قصيدته « السجن فى بغداد » شئ من المنهج الجاهلى فى قصيدة طرفة بن العبد :

سكنّا ولم يسكن حراك التبدد	مواطن فيها اليوم ايمن من غد
عفا رسم معنى العز منها كما عفت	« لخولة اطلال ببرقة ثمهد »
بلاد أناخ الذل فيها بكل كل	على كل مفتول السبالين أصيد
الى أن يقول :	

بها كل مخطوم الخشام مذلل . متى قيد مجروراً الى الضيم ينقد
وهو يظل فى هذه القصيدة يترسم خطى القدامى حتى ليفجؤك
ببيت هو الى دريد بن الصمة أنسب ، وهو قوله :

وهل أنا الا من أولئك ان مشوا مشيت وان يقعد أولئك اقعد
فلا أظن أحداً يقرأ بيت الرصافى الا تذكر قول الحماسى :

وهل أنا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية أرشد
وهو يظل مع (طرفة) يستعير منه صوره ولفظة فيقول :

وجوه عليها للشحوب ملامح (تلوح كباقي الوشم فى ظاهر اليد)
وفى كثير من قصائده نجد اشارات واضحة الى اشعار جاهلية

ولنسمعه فى قصيدته « ام اليتيم » لنذكر مطلع معلقة عنتره (هل غادر الشعراء من متردم) :

واصبح قلبى وهو كالشعر لم تدع له شعراء القوم من (متردم)
وربما حلا للرصافى الشاعر أن يقف على الديار مشبهاً أو باكياً
مستبكياً ، فلنسمعه يقول فى مطلع قصيدته « الى القزوينى » :

قف بالديار الدارسات وحيها واقر السلام على جاذر حيها
وانشد هنالك للمتيم مهجة فنيت من الاهواء فى عذريها
وسل المنازل هل علمن باننى قد شف جثمانى الهوى بظبيها
وكقوله فى مطلع قصيدته « أم الطفل فى مشهد الحريق » :

ما للديار تراءى وهى اطلال هل خف بالقوم عنها اليوم ترحال

وطبيعى أن يلتزم شاعر يقف بالديار والاطلال لغة خاصة ترجع
أصولها للبيئة العربية البدوية ، ومعلوم أن بيئة الرصافى غير هذه
البيئة . وفى هذا مظهر من مظاهر الحفاظ على القديم من اوابد اللغة .

وفى قصيدته « العالم شعر » صور شعرية جميلة ولكنها كثيرة
الوقوع فى الشعر القديم ، ومن اجل هذا فقد التزم لها ثوباً لفظياً مما الفناه
كثيراً فى اشعار القدامى ، ولنسمعه يقول فى وصف الليل :

وليل غدا فى الجناحين بته اسامر فى ظلماته واقع النسر
وأقلع من سفن الخيال مراسياً فتجرى من الظلماء فى لجج خضر
ثم انه يقول فى القصيدة نفسها متغزلاً :

وببيضة خدر ان دعت نازح الهوى اجاب الالبىك يا بيضة الحذر

وجملة القصيدة شعر فخم متين للكلمة فيه نصيب كبير من القوة
والفخامة وهو يضافى على القصيدة متانة وجزالة . ولولا ان عينك تقع فيها
على لفظة (الفنغراف) مثلاً لحسبت ان ما تقرأه شعر للمتنبى أو لغيره
من الفحول :

رقى فى أعاليها الفنغراف منبراً محاطاً باصحاب غطارفة غر
وللرصافى أبيات تذكر قارئها بالشواهد النحوية واللغوية مما هو

محفوظ فى كتب النحو كقوله فى قصيدته « بعد النزوح » .

أنا ابن دجلة معروفاً بها ادبى وان يك الماء منها ليس يروينى
فهذا البيت يذكر بالشاهد المعروف للشاعر القديم :

« انا ابن دارة معروفاً بها حسبى » .

وللرصافى كلمات واستعمالات ورثتها العربية منذ أقدم الازمان
فهو يستعمل مثلاً « وكائن ترى » وكلمة « كائن » لغة فى « كم » كما

يقول أهل اللغة • على أن التركيب يذكرنا بقول زهير بن ابي سلمى :
وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته او نقصه في التكلم
ومما يدخل في هذا الباب استعماله الفعل « الاك » من الالوكة
وهي الرسالة في قصيدته « الكنى يا ضياء » :
ألكنى يا ضياء الى الدارارى رسالة مسهر فيها الجفونا
أى كن رسولى اليها وتحمل رسالتى اليها •
وفى القصيدة نفسها يستعمل الشاعر « أجذك » وهو استعمال
عربى أصيل ومعناه « أبجد منك » :
أجذك يا كواكب لا ترينا بياناً منك يخبرنا اليقيناً
وفى قصيدته « تجاه اللانهاية » وهى سهلة فى جملتها ، يستعمل
« مكوئداً » ويريد به « مضطرباً » فيقول :
يقف الفكر دونها مكوئداً مقشعراً وتأخذ العقل حيره
ويدخل فى هذا الباب أيضاً استعماله للمركب المنحوت « ويلمها »
وهى كلمة شائعة فى الادب القديم فهو يقول فى قصيدته من « ويلات
الحرب » :
ويلمها عيشة نكداء يابسة لم تبق من جسمها غير الالواح
ومن هذا أيضاً استعماله « هذائك » للدلالة على السرعة فى
قصيدته من « ضلال التاريخ » :
هذا ذيك لا تحفل مقال مؤرخ ولا يستفزك الكلام المشقق
وقد تضطره القافية الى ان يأتى بالغريب الذى لا يتسق وسهولته
المعروفة فى طائفة كبيرة من قصائده • وفى مطلع قصيدته « ضلال
التاريخ » يستعمل كلمة « اولق » ويريد بها الجنون ، ولا نرى انها من
مألف العربية وهذا من جنابة القافية فى الشعر العربى :
اقول وطرفى فى المحال محقق ابالدهر مس ام بأهليه أولق
وتضطره « الحاء » أن يأتى « بالمجاليح » لسنين القحط مثلاً فى
قصيدته « ويلات الحرب » والتى اشرنا اليها :
والحرب اغنت اناساً غنيةً عجباً وآخرون رمتهم بالمجاليح
والرصاصى لا يهتم لصعوبة القافية فهو يركب منها كل شرود كما

يقول . فقد التزم « الكاف » فى قصيدته من « مضحكات الدهر » ، اذ يقول فيها :

وما حادثات الدهر الا خوابط كعشواء تمشى مشية المترهوك
كأنا من الدنيا بيت تقامر حوى من سهام القمر كل مدملك
فما دارت الافلاك الا وقطبها بحكم الهوم حب الكعاب المفلّك

والتزام الكاف فى هذه القصيدة جعله يأتى بالمترهوك والمدملك والمفلّك ، فى حين أن سائر الفاظ القصيدة سهل ميسور الفهم .

وتضطره القافية أن يأتى بالمبتذل الذى يقرب من العامى وان كان معدوداً فى الفصيح . ومن هذا قوله فى قصيدته « ليلة نابغة » :

خاض الدجى وظلام الليل مختلط صوت به الوجد مثل السيف مختلط
كم قلت والليل جثل الشعر فاحمه شعراً به كاد فرع الليل ينمط

فقوله « ينمط » بمعنى ينشق من جور القافية عليه ، وتضطره القافية الى ان يأتى بـ (يستعظ) و (ينكشط) .

ومن جناية القافية أيضاً أن يأتى بالعامى المستكره على السمع ، فمن ذلك قوله فى قصيدته « وقفة على البسفور » :

وقفت على البسفور والريح عاصف وللدوح ظل دونه متقلص
ولكنه فى وده الثعلب الذى يروغ او الكلب الذى يتبصبص
تعاليت عن تبكيته اذ رأيتـه جهولاً على علاته يتعنقص

فقوله « يتعنقص » استعمال عامى ، وليس فى اللغة الا العنقص وهى المرأة البذية القليلة الحياء ، على أن الفعل الذى استعمله الرصافى قبيح مستكره .

ومن جناية القافية أيضاً أن يستعمل الشاعر « ترزيز » فى قصيدته « تموز الحرية »

واجعل الجوّ فى تموز امدحه طرساً اجادته كف النور ترزيزا
وقوله « رززت لك الامر » وطأته . والقصيدة سهلة ، يسرة الفهم لولا جناية القافية التى اضطرته الى ان يأتى « بالشيزى » و « سهريزا » و « مجنوزا » و « ارزيزا » و « تبريزا » .

والسهولة واضحة فى شعر الرصافى فى طائفة كبيرة من قصائده حتى لكانك تقرأ نشرأ وهو قادر على ان يؤدى المعنى باوجز عبارة ، الا ان هذه العبارة تتجاوز ميدان الشعر وما يقتضيه من عناصر فنية .
فقوله مثلاً :

جئت يا مستر كراين فانظر الشرق وعين
كلام أبعد ما يكون عن الفن .

وقصائده الاجتماعية والتي حفظتها الناشئة في المدارس واضحة
الدلالة على مذهبه في السهولة ، وربما كان في هذه السهولة شيء من
التجديد . فالرصافي ممن يسروا الادب لعامة الناس وهو من أولئك
الذين تحسسوا مكانة الجماهير ، ولذا كان أدبه اصدق ممّن عاصروه في
أعراب عن العواطف الشعبية ، وهو من أجل هذا قد البس أدبه هذا
ثوب السهل الجديد من اللفظ الذي يقرب من لغة الناس .

الدكتور ابراهيم السامرائي
كلية الآداب - بغداد

« يا شهر تموز » قد زينت رايتنا بالعدل توشية فيها وتطريزا
من لي بانجم هذا الافق أنظّمها قصائدًا فيك مدحًا أو أراجيزا
قمنا الى الملك الجبار نقرعه بالسيف منصلتًا والرمح مهزوزا
حتى تركناه في هيجاء معضلة القت ضرامًا على الطاغين مأزوزا »

« الرصافي »

در صناع والابداع الفني

محمد شزاره

« من اتحاد الادباء العراقيين »

اذا كان الابداع الفني ومضة تضييء ، أو ايماءة تشير ، أو دقة في اختيار الالوان وترتيبها ووضع كل لون في مكانه ، فقد يكون حظ الرصافي من ذلك متواضعا ، وقد يكون جواده في هذا الميدان لاهثا . فالابداع الفني عالم تحمل الكلمة فيه عالما كل حرف فيه طيف من طيوف الشمس ، أو منظر من مناظر الرياض المتنوعة أو ما أشبه ذلك من الاكوان التي تصبح فيها الكلمة أو النغمة أو اللون نافذة مطللة على الدنيا ، أو زجاجة تكشف الخفايا ، وتقرب النوائى ، وتكتشف النجوم المعسبة بوشاح من الظلمات .

في هذا العالم تصبح الكلمة ذات نكهة خاصة ، ورائحة خاصة لا يكفيها الفهم وحده ، ولا معرفة المعنى القاموسى ، وانما تحتاج فوق ذلك الى ذوق خاص ، وشم خاص ، تختلج امامه أرواح القواميس ، وتنحنى أعناقها !

قد يكون طاغور ، وناظم حكمت ، وبابلو نيرودا ، وماياكوفسكى ولوركا وأمثالهم أقل الناس تكليفا لقرائهم بمراجعة القواميس . ولكن الكلمة فى شعر هؤلاء - على تواضعهم - فيها زهو الطواويس ، وعطر الازاهير ، وشعاع النجوم وما شئت من العصير العجيب الذى تكفى قطرة واحدة منه لتبعث الحياة الى عالم النشوى .

الكلمة فى عالم الابداع لها وجه المرأة الجميلة بما فيه من عيون فاتنة ، وخطود أسيلة ، وفم يفيض بالسحر ، ولها قوامها الذى ينطق

بالإحسان . ولها فوق هذا وذاك رحيق الجاذبية الذي يفيض من ذلك كله وغير ذلك أيضا .

ولا ريب أن الشاعر الذي ينطلق من هذا العالم ، ويطل منه على الدنيا هو الكنز الذي تلتقى فيه أروع معادن الانسانية ، وأصفى جواهرها الخالدة . ولكن هل يعنى ذلك أن الانطلاق من هذا العالم وحده هو الذى ينصب الموازين ، ويعين القيم ؟ والجواب واضح - وهو لا طبعا - فالقيم لا تنبعث من هذا العالم وحده ، ولا من موازينه وحدها وان كانت موازينه فى منتهى الدقة ، وفى منتهى الجمال . واذا كان حظ الرصافى متواضعا فى عالم الابداع الفنى فانه كبير فى كثير من العوالم التى لا تقل أهمية عن عالم الابداع .

* * *

فى الوقت الذى ظهر الرصافى كأن الشعر العربى لا يزال يجتر الخيال القديم ، ويعيش على فتات الموائد الاولى . ولم يكن لقضايا المجتمع وشؤونه دور يذكر على المسرح الادبى . فلما ظهر الرصافى سمع الناس أنغاما جديدة عن « أم اليتيم » و « السجن فى بغداد » و « اليتيم فى العيد » و « دار اليتام » و « ايقاظ الرقود » و « اليتيم المخدوع » و « المرأة فى الشرق » و « التربية والامهات » و « المطلقة » وما أشبه ذلك من الموضوعات التى لم تكن تخطر ببال الشعراء الا بشكل مبعثر . وكل هذه القصائد خطيرة المحتوى بما تنطوى عليه من أفكار وخواطر تفتح العيون على صور كانت قبل ذلك اعتيادية أو كانت مظهرا من مظاهر القضاء والقدر . وقد تكون قصيدة « ايقاظ الرقود » أشدها خطرا . ففي هذه القصيدة وعى ، وفيها جرأة ، وفيها سخرية من أعظم قوة سياسية دينية . . . من السلطان عبد الحميد سلطان البرين وخاقان البحرين ظل الله على الارض ، وخليفته فى أمور الدين والدنيا . وكلما تغلغلنا فى فهم العصر ، وفى معرفة السلطة التى كان يتمتع بها عبد الحميد أدركنا مدى الجرأة عند الشاعر الذى يمس « سلطته بالنقد » فكيف اذا كان هذا النقد لاذعا يفيض بالسخرية ، ويرشح تهكما ؟!

القصيدة فى البداية روح يائسة من الاصطلاح ، تلوذ بالهزيمة ، وتنعى على الناس خمولهم واستغراقهم فى النوم . والادب العربى كله أو جلّه فى هذه المرحلة يشترك فى هذه الروح . انه أدب عجول يريد من الشعوب أن تنطلق بنفس السرعة التى ينطلق . . . يريد الشاعر أو

الكاتب من الشعب أن ينطلق بسرعة العاصفة في تحطيم الاوضاع وقلبها ، فاذا لم يفعل كان خاملا أو جامدا أو « في غيٍّ شديد » كما يقول الرصافي .

الشعراء والكتاب يتصورون أن الشعوب جنود معبأة في كتائب معدة للهجوم . وما شعرهم ونشرهم سوى صفارة الانذار ، فاذا تعالى دويها انطلقت الخيل في الهجوم ، ولعل الرصاص في الفضاء ، وانعقد الغبار في الجو ، ولا تمضي سوى ساعات حتى تنجلي المعركة عن ابادة النظام القديم بكل ما فيه . فاذا لم يكن شييء من ذلك أخذهم اليأس والتبرم ، وانقلبوا على الناس وراحوا يصفونهم بشتى الاوصاف .

والرصافي واحد من هؤلاء . انه يجب الشعب ، ويريد له الخير . وهو يتصور أن ارادة الخير كافية للاثارة والاندفاع ، وتحويل الشعب الى قوة تتضاءل عندها قوة القدر . فلما رأى تصويره شاحبا ، وتقديره خاطئا اتهم الشعب بأنه نائم مسرف في نومه ، جامد متصرف في جموده . بل ليس بجامد فحسب ، وانما هو والجماد في واد واحد . واذا كان فيه شييء من الحياة فانها لا تعدو حياة الاطفال الذين يأخذهم الهز الى وادي الكرى ، وتأخذهم الهدهد الى نوم هادئ لذيذ تمر به الطيوف المجنحة ! .

اسراف الشعب في النوم تهمة لا تعدو أن تكون مستمدة من خيال الشاعر ، أو مستمدة - على الاصح - من خلل المقياس في التقدير . فالشعب يمر في مراحل تاريخية ذات خصائص معينة . وكل مرحلة منها لها درجة خاصة من الوعي . فاذا خلط المفكرون - شعراء كانوا أو غير شعراء - بين مختلف المراحل ، ساقهم ذلك الخلط حتما الى الخلط في تقدير درجات الوعي . وذلك يؤدي بالطبع الى البلبلة في اصدار الاحكام .

قد يكون ذلك ناشئا عن ضعف المقاييس كما قلنا ، وقد يكون ناشئا عن الافراط في الحب الذي يؤدي بدوره الى الخروج عن المقاييس في وزن الامور . وشدة الحب كما تلجأ أحيانا الى تنزيه الحبيب ، ومسح العيوب عنه جملة وتفصيلا ، فانها تلجأ أحيانا أخرى الى تكبيرها فتجعل من الصغائر كبائر حتى تبعده عنها ، ولا تجعله يحوم حولها ، فيقترب عندئذ من المثل العليا التي تخلقها له .

ومهما قيل في هذه الطريقة وفي التماس الاعذار لها فان الاندفاع في تطبيقها لا يخلو من خطر . وأخطر ما فيه أن يقود لليأس . وقد قاد بالفعل معظم المفكرين من شعراء وكتاب الى نغمات حزينة تتغلغل في

روحها الكآبة ، وينسل الى قلبها الذبول ، وأقصد بالمفكرين هذا النوع الذى ينظر الى الكلمة الصادرة من فمه كما ينظر القائد الى كلمته التى يلقيها على الجندى . فاذا تأخر هذا فى تنفيذها كان جزاؤه لكمة على الوجه فى أحسن الظروف أو رصاصة فى الرأس على أسوأ الوجوه . ولذلك كثر التشاؤم فى عصر النهضة ، وازداد النواح ، وعم البكاء والنحيب فى أكثر القصائد التى أوحاها هذا العصر . !

ولم يشذ شاعرنا عن الرعيل ، فذهب يغنى على قيثارته ، ويعزف على أرغنه ، ويدق على نايه ، ويمضى فى الطريق الذى مضى فيه ولى الدين يكن ، وسامى البارودى ، وحافظ ابراهيم ، وجبران ونسيب عريضة وايليا أبو ماضى وميخائيل نعيمة ومي زيادة وغيرهم ممن سبقه أو تأخر عنه . ولكنهم كانوا جميعا يشربون من عين واحدة ، ويلتقون فى بحيرة واحدة على اختلاف الاساليب والينابيع الثقافية .

ان الاطار العام للحياة فى عصر الرصافى أصيب بالوهن ، وأخذ التصدع ، ولم يعد قادرا على سد الرغبات ، وتلبية المطالب . ومن هنا كان عليه أن يتوارى ويفسح المجال لاطار جديد . ولكنه ككل اطار اجتماعى لا يمكن أن يتوارى بالرغبات المجردة ، والامانى ، بل لابد له من معول أو معاول تلعب فى وجوده هدمًا واحراقًا .

وكان الرصافى أحد الشعاعين بهذه الضرورة أحد الشعاعين بأن الاطار القديم مستعصى على التطور ، وليس بمستعصى فقط وإنما هو كالصخرة الواقفة أمام النهر فلا تدعه يسير ليسقى الارض ولا هى تستفيد منه . ولذلك يتحتم على الشعاعين بجنايتها مساعدة النهر على ازاحتها من الطريق .

وبما أن السلطان أكبر حماة هذا الاطار ، وأكبر العاملين على صيانتة فلا بد من تسليط النار عليه . ولكن السلطان محاط بسياس من القوانين والانظمة تجعله فوق الناس ، والنار التى تفتح عليه يجب أن ترتد باللحظة نفسها على فاتحيها ، وترميهم فى اللهب .

يروى أن السيد جمال الدين الافغانى كان فى مجلس من مجالس عبد الحميد ، وكان بيده سبحة ، وكان يلعب بحباتها وهو بين يدي السلطان . فلما خرج قال له رئيس التشريفات - على ما أظن - : « تلعب أمام السلطان بحبات السبحة !؟ أفلا تخاف ؟ » ولما أجابه السيد : « ان السلطان يلعب بأرواح الملايين من البشر ولا يخاف وأنت تستكثر على اللعب بحبات سبحتي أمامه » أخذ الدوار ، وراح يلتفت فيما حوله

— وليس حوله سوى الجدران — وهو يخشى الحجارة ، ويخشى أن تكون لها آذان • !

فإذا كان هذا هو السلطان ، وهذه مكانته فكيف يمكن جعله هدفا للنار • وإذا كان يستكثر على رجل كالسيد جمال الدين الافغانى أن يلعب أمامه بسببخته فكيف يكون النظر لشاعر يتجراً على نقده ؟ ولكن مكانة السلطان الشامخة محاطة بهذه التهاويل لا وجود لها — على ما يظهر — الا فى نفس رئيس التشريفات ، ونفوس أمثاله الهررة الذين يحكون انتفاخا صور الاسود ، وليسوا هم فى واقع الامر سوى ققط • ! أما الآخرون الذين يخترقون الظواهر المزخرفة فيضحكون من رئيس التشريفات ، ومن أمثاله عباد الشهوات • • وكان الرصافى واحدا من هؤلاء الذين يسخرون من سياج التهاويل ، ويضحكون على عباده • ولذلك كان السلطان من جملة الاهداف التى تعرضت لإنيران الشاعر :

وهذه هى قدرة الذين يجتازون الظواهر ، ويتغلغلون فى الاعماق • انهم يدركون ميول الجماعات التى تتراءى فى الاشارة واللمحة ، أو فيما يشبه الوميض الخاطف ، فيلتقطونها ويجمعون بعضها الى بعض ، ثم يجدونها حتى تتراءى لمعظم العيون ، وعندئذ تشترك العيون كلها أو معظمها فى الرؤية التى كانت وقفا فى البداية على النوابع أو العباقرة •

لما اتهم ديمتروف بحرق الرايخشتاغ ، كانت النازية فى رفرها الرفيع ، وكانت شمسها فى الضحى العالى • وبالرغم من الهالة الظاهرة التى كانت تحيط بها ، فقد وقف القائد العظيم وقفته المشهورة ، وحكم على النازية — وهو فى قفص الاتهام — بالاعدام ، وأرى العالم مصيرها الاسود ، وقبرها الذى يتثاب • ! ولم تمض على النازية سنوات معدودات بعد تلك الوقفة حتى كانت رؤيا ديمتروف تتبلور وتصبح تجسيدا مشاعا بين العيون •

فإذا أدرك الرصافى أن الاطار الاجتماعى الذى يحميه السلطان ، أخذ بالانهيار • وإذا أدرك أن السلطان نفسه لم يعد سوى شبح سائر الى الذوبان ، فلا يعود كبيرا عليه أن يسخر من السلطان ، ومن اطاره الذى يحميه •

ولذلك ولدت تلك القصيدة الساخرة التى عدّها الناس فى وقتها أعجوبة فى الجراءة على المقام المقدس ، والدار العامية ، والهيكل المعبود • والقصيدة — كما أشرنا — تبدأ متدمرة شاكية من نوم الشعب ، واستغراقه فى لذة الكرى على رغم اللسعات الكثيرة التى توقظ

الصخور فضلا عن الاحياء . وتستعرض في الاثناء عظمة الماضي ، وحضارة بغداد ، وثقافة العرب ، والانوار التي انطلقت منها ، واخرقت ظلمات الدنيا ، ثم تقارن بين الماضي السعيد ، والحاضر التعيس . وتنتقل من ذلك الى القاء نظرة على العالم وما فيه من مدهشات تشبه المعجزة لتجتازها الى نظرة أخرى تلقيها على حياتنا الحاضرة . واذا الفروق بيننا وبين العالم كبيرة ، واذا عيشتنا تشبه « عيش القروء » اذا قيست بعيش العالم الراقى .

واذا كانت هذه هي الحالة فمن المسؤول عنها ، ومن الذى أوصلنا الى هذا الدرك ؟ هي الحكومة طبعا . وهي حكومة جائرة مستبدة ظالمة لا تؤمن بالاستشارة ، ولا تقييم وزنا للرأى :

وكل حكومة ظلمت وجارت فبشرها بتمزيق الحدود والبشارة عادة فى الاشياء السارة ، و « تمزيق الحدود » لم يكن ولن يكون منها . والشاعر لا يجهل بالتأكيد هذا المعنى . ولكنه يستعمل التبشير ، ويصر على استعماله سخرية وتهكما بالحكومة الظالمة الجائرة .

ان البشارة فى الواقع ، وفى حقيقة الامر هنا هي فرح المظلوم ، وشعوره بالتخلص من ظالمين فاذا أنبأ بتمزيق الحدود كان بشارة لنفسه . وقد تشع فى وجهه حتى يبدو وكأنه يبشر عدوه بما امتلأت نفسه من الافراح . وفى هذا المظهر الفرح شماتة بالعدو تبدو بشكل بشارة . وقد وفق الشاعر كثيرا فى اختيار الكلمة للتعبير .

وبعدئذ تحدث عن مثل من أمثلة الجور . . . عن ارسال الجنود من بغداد الى ابن الرشيد ليستعين بها على محاربة خصمه ابن سعود . ثم وصف الجنود الذاهبين الى حرب لا مصلحة لهم فيها .

انهم يتحركون ، ولكن الحركة - لبطئها - تبدو وكأنها ستكون . ويتحرك الوصف الى النواحي الأخرى واذا « رثة الحال » و « ترك الحلائل » والموت المقبل من الجوع لا من الحرب ، صور متلاحقة مترابطة ، تتبعها صور أخرى من التعاسة والبؤس ، تتخللها فى الاثناء صور الوداع للأم والزوجة والاطفال مصحوبة بالدموع والشكوى والخوف من المصير . وتكاد تعرف نهاية هؤلاء المساكين من البداية . ولكن الشاعر لا يوكلك للخيال ، ولا يترك لك لذة الاستنتاج بل يبقى معك ويده بيدك حتى يوصلك الى النهاية ، ويوقفك على قبور الجنود ، ويسكب عليها الدموع حزنا ورثاء .

فاذا رأيت الكارثة ، ورأيت ما صنعتها الحرب بأولئك الشبان الذين تركوا أمهاتهم وأزواجهن وأطفالهم ، قال لك : « هذه صناعة عبد الحميد ! » وهذه نتائج توليته على الأمة .

ثم يستغيث بالصحف الحرة ، ويطلب منها الرحمة والمساعدة في كشف الجرائم التي يرتكبها السلطان ولا يقف عند الاستغاثة ، ويلقى العيب على غيره . بل يهز قلمه ويتناول السلطان به . وإذا السلطان نائم عن الملك ، قائم بين الزمر والعزف ، يسوم البلدان ما يشاء من العسف ، ويرسل من يشاء الى اللحد ، يعيش في القصور المترفة لا يدري عاش الناس أو ماتوا :

وهب أن الممالك في دمار أليس بناء « يلدز » بالمشيد ؟

هذه القصيدة وحدها . . . وفي ذلك العصر خاصة ، وبمثل هذا التناول على رجل يستمد سلطته من الله كافية لان تلقى حول الشاعر هالة من الشعاع .

كان عبد الحميد يعيش في دوامة من الفزع . وكلما ازداد فزعه ازداد ظلمه حتى كان الرجال يودعون زوجاتهم وأطفالهم اذا خرجوا من بيوتهم لاعمالهم ، لانهم لا يدرون فيما اذا كانوا يعودون أم تأخذهم الزبانية . وكان في بعض الاخيان يقتل الشخص ، ويوعز الى الصحافة أن تنشر بأنه قتل غيلة ، وأن الحكومة جادة في البحث والتحقيق عن القتلة . ثم يبعث لأهله من يعزيهم بوفاته .

وكثيرا ما كان يثير المذابح الطائفية بين المسلمين والارمن . فاذا هبت الرياح عليه من دول الغرب الذين كانت تروقه المذابح سرا وان احتجوا عليه علنا ، دفع الرياح عنه بقتل القائد الذي أشرف على المذبحة وان كان اشرافه بأمره !!

في مثل هذا الجو كان يعيش ذلك السفاح . وكان مكروها - بالطبع - من أكثر الناس . ولكن من يجروء على اعلان كرهه ويبقى رأسه على جسده ؟ واذا وقف شاعر كالرصافي وقال له :

فدتك الناس من ملك مطاع ابن ما شئت من طرق ابتداع
ولا تخش الاله ، ولا تراع فهل هذى البلاد سوى ضياع
ملكك أو العباد سوى عبيد ؟!

فماذا أبقى له من الهيبة ؟ وأي تاج بقى على رأسه بعد هذه الصفحة ؟! والذي لا ريب فيه أن قيمة الرصافي في اقتحام هذه المعصية

عالية عالية .. أما قيمته من الناحية الفنية فتبقى - مهما كانت - أقل من قيمته في حرية الفكر ، وحرية التعبير ..
الكلمة في عالم الابداع الفني لها نكهة خاصة كما قلنا في صدر البحث ، ولها قدرة على أن تعطي بالايماء دنيا من المعاني يلد بعضها بعضا . وإذا كانت للرصافي أنفاس في هذه العوالم فانها أنفاس قصيرة .. ويتضح ذلك اذا قورنت بعض قصائده بقصائد مماثلة لها في الموضوع ذاته .

فمن ذلك على سبيل المثل قصيدته بوصف « الغروب » :
نزلت تجر الى الغروب ذيولا صفراء تشبه عاشقا متبولا
تهتز بين يد المغيب كأنها صب تملل في الفراش عليلا
فالشمس فيها صفرا تشبه عاشقا مريضا ألح عليه المرض ، أو تشبه عرارة عطشى - وهي صورة بدیعة - :
غربت فأبقت كالشواظ عقيبها شفقا بحاشية السماء طويلا
وإذا رجعت الى الوراء مئات السنين سمعت ابن الرومي يقول في الموضوع نفسه :

وقد رنقت شمس الاصيل ونفضت على الافق الغربي درسا مزعزا
وودعت الدنيا لتقضى نحبها وشول باقي عمرها فتشعشعا
ولاحظت النوار ، وهي مريضة وقد وضعت خدا الى الارض أضرا
كما لاحظت عواده عين مدنف توجع من أوصابه ، ما توجعا

وإذا قورنت القصيدتان - على بعد الزمن - تبينت الفروق بين الشاعرين . فدقة الملاحظة التي يتمتع بها ابن الرومي في التصوير لا تجد لها سوى ظلال ذابلة في قصيدة الرصافي .
فابن الرومي يذوب في الجو ، وينقله لك نقلا فنياً تلمس فيه عمق الكتابة ، ورهبة الوحشة وتشعر وأنت تقرأ قصيدته أنك تسمع رنيناً يشبه رنين الناقوس الذي يعلن المناحة على الكون والحياة . وما الورس المزعزع ، وقضاء النحب ، وتوديع الدنيا سوى الايماءات الحية التي تشير الى ما وراءها من صور متحركة وحياة نابضة . ولا تكاد تلمس شيئاً من هذه الصور المتحركة في قصيدة الرصافي لولا « العرارة العطشى » التي خلقت جواً فيه شيء من الظم المتحرك .
هذا في الوصف . أما في السياسة فيمتاز شاعرنا بجرأته أيضاً أكثر مما يمتاز بفنه . وإذا سمعت قوله :

بالله يا وزراءنا ما بالكم
أفتعنون من الحكومة باسمها
هذى كراسى الوزارة تحتكم
أنتم عليها والاجانب فوقكم
ان نحن جادلناكم لم تنصفوا
ويفوتكم فى الامر أن تنصرفوا
كادت لفرط حياؤها تنقص
كل سلطته عليكم مشرف
خيل اليك أنك تسمع حكاية ، لا تقرأ شعرا • واذا قارنت هذا
المعنى بقول الجواهري :

وممثلين تصنعنا ووراءهم
خلف الستار ملقن متوار
ظهر لك الفرق الهائل • فالمرح الذى خلقه الجواهري ، وما يرافقه
من حركة ، والممثلون الذين يشبهون الببغاوات ، والملقنون وراء الستار ،
وكلمة « التصنع » التى زادت فى تحقير الممثلين ، عبرت عن حياة كاملة
بكلمات قليلة • وكل كلمة تجر وراءها من تداعى الافكار والخواطر
صورا متنوعة • وهذه الصور تحمل فى كل لحظة منها حقارة الممثلين ،
وتفاهتهم وهذه هى القدرة الفنية • بينما الصورة التى يرسمها الرصافي
- وان كانت واقعية - باهتة تكاد تكون مخطوفة الالوان • ولكن عظمة
الشاعر كما تكون فى الفن تكون فى الجرأة والفكرة • والرصافي غنى
بهذه الناحية غنى كبير ، وغنى أيضا فى تفكيره الاجتماعى والانسانى •
وقلما يجاريه شاعر عربى بذلك اذا أخذ العصر بعين الاعتبار • وفى هذه
الثروة الانسانية والفكرية مجد للأدب العربى • يضاف الى أمجاده
الكثيرة •

محمد شراره

« لابد من يوم يطول عليكم فيه الحساب كما يطول الموقف
فهنا لكم لم يغن شيئا عنكم لسن تقول ، ولا عيون تذرف
الشعب فى جزع فلا تستبعدوا يوما تشور به الجيوش وتزحف »

« الرصافي »

ثورة الرّصافي

الدكتور يوسف عز الدين

في كل عصر من عصور الادب وفي كل أمة من الامم نجد الشائرين على التقاليد القديمة انصار التجديد . ومن هؤلاء من يملك الجرأة والاقدام فيهدم كل السدود القديمة التي تقف حائلا أمام البناء والتجديد والابداع . فيخلد تاريخ الادب ذكرهم .

كان المذهب الاتباعي أو المدرسي Classicism مسيطرا سيطرة فعالة على الادب الاوربي ولا يقدر أديب ان يخرج على ما رسمه لهم من قواعد واسس فقد كان الادباء سواء كانوا في ايطاليا أو فرنسا أو انكلترا يكتبون باللغة اللاتينية أدبا تقليديا لا يخرج عن مفهوم الادب الذي رسمه لهم ارسطو في كتابيه الشعر والنثر . لذلك نجده قد استحال الى نوع من أنواع التمرين يثبت بها الاديب قدرته على المهارة في العبارة بعيدا كل البعد عن العواطف والمشاعر . غير ان (كولرج) Coleridge (ووردز ورث) Wordsworth ثارا على هذا التقليد في الديوان المشترك الذي نشره باسم (قصائد غنائية) Lyrical Ballads فكانت هذه الثورة مولد (الشعر الابتداعي) Romanticism ، ثورة على كل التقاليد القديمة لتحرر الشعر من سيطرة التقليد الثقيل الذي ارهق كاهل الادباء وافكارهم ونفسياتهم فكان من جراء ذلك ظهور حركات تحريرية أخذت وجهات نظر متعددة (كالواقعية) Realism (والمثالية) Idealism (والرمزية) Symbolism والوجودية Existentialism ، وغير ذلك من المذاهب التي كان أهم باعث لها التخلص من التقليد وترك النفس تعبر عن رغباتها حسب ما تشتهي وما تريد (١) .

وكما ظهرت ثورات في الآداب الاوربية حفل تاريخ الادب العربي بكثير منها . فاذا اشتهر شاتوبريان واندريه شنيه ولامرتين وكيّس

(١) يعد الكاتب مقالا عن التجديد في الادب ، والمقال جزء من كتاب (الثورة والادب العراقي المعاصر) .

وبايرون وسارتر والبير كامو ففي الادب العرب عناصر قوية في التجديد في مختلف عصوره كابي نواس وبشار بن برد وابن الرومي ... ومطران وشوقي وحافظ ...

ويختلف اثر كل ثورة باختلاف مفاهيم الشعوب وباختلاف الحياة التي تحياها ومقدار رقيها وحضارتها . فقد انتقلت الآداب الاوربية من تقليد للادب اليوناني والروماني - عندما تغيرت طبيعة الحياة التي كانت تحياها تلك الشعوب - فعندما انتقلت من حياة الزراعة الساذجة البسيطة الى حياة الصناعة المعقدة المتنوعة المطالب ، بدأ الاوربي يحس ان الادب لم يعد يلائم حياته الجديدة وما فيها من تعقيد وما استجد من مطالب عليها . وعندما وجد الفرنسيون انفسهم قد خسروا حروب نابليون أو فقدوا المجد الحربي الذي كانوا يتباهون به انتقلوا الى حياة أخرى والى مطالب من الحياة جديدة واحتاجوا الى العزاء والسلوى مما أصابهم فثاروا على ما كانوا يعيشون عليه من أدب وانصرفوا الى أدب جديد يدخل السلوى الى قلوبهم .

ولما انتشرت العلوم وحلت التجربة محل الخيال تفتحت أمام الادباء آفاق جديدة لم يكونوا يتصورونها من قبل وقد كانت حلما من احلامهم . لذلك فالهزات العلمية ، والانتصارات السياسية ، ومشاكل الحياة الجديدة دعت الاوربي الى ان يثور على أدبه وان يجدد فيه تجديدا يلائم الحياة الجديدة ، فالعلم قتل فكرة الاعتقاد بالالهة المتعددة والوثوق بمقدرة الشياطين والمردة على السيطرة على الانس ، تلك الافكار التي كانت تلائم عقلية المزارع الساكن في كوخه ينتظر أوان الحصاد وقد ترك كل أمله للطبيعة لترعاه وتزوده بالمطر لانبات زرع . واندحار نابليون اثار في نفوس الشباب الفرنسي اللوعة وصدمهم بواقع الحياة التي لم يكونوا يتوقعونها فاضطروا الى الانصراف الى الاحاسيس الخاصة ليعبروا عن أحزانهم فانطلقوا من عقال القديم ليجدوا العزاء والسلوى فيما ينظمون وما يكتبون .

وقد كانت أكثر البلاد العربية تعيش حياة البداوة والزراعة حياة تسير على وتيرة واحدة ساذجة محدودة المطالب . لكن هذه الحياة تطورت لعوامل كثيرة أهمها الطلائع المتحررة الوافدة في الفكر والعقيدة والتفاعل الشعبي فلم يعد الادب بأساليبه القديمة ومثله الجامدة يستوعب مطالب الحياة الجديدة لذلك ثار على (عرار نجد) و (النقا) و (منيرج اللوى) والوقوف على الديار والطلول . لانه بعيد كل البعد

عن كل هذه الالفاظ فى حياته الجديدة ومتطلباتها فترك اللفظ والكلمات الموسيقية ذات اللحن والجرس لانه اخذ يفتش عن معان تتلائم وحياته .
كان الرصافى من أوائل الطليعة الواعية المتحررة التى تفاعلت مع الآراء الجديدة فترك قديم الالفاظ وعنى عناية خاصة بالمعنى وبالفكرة وبالرأى تاركاً وراءه احتذاء قصائد البحترى وأبى تمام والمتنبى غير مكترث بالقواعد والاساليب المتحجرة التى لم تكن تخرج عن أغراض معينة واصطلاحات محدودة (١) . حقاً انه نشأ فى المسجد وعلى ثقافته فى العلوم العقلية والنقلية ولكن جيله اختلف اختلافاً كبيراً بتياراته السياسية وحاجاته الاجتماعية واتجاهاته الفكرية فأخذ يتخلص من ردىء الشعر ومن النظم الذى لا روح فيه وهرب من تلك القواعد المدرسية التى كان يطبقها شعراء القرن التاسع عشر فى البيان والبديع . . . وترك لحسه ولمشاعره ولذوقه وفكره التعبير . فتدفق ينبوع الادب من جموده وخرج للحياة يتلمس منها موضوعاته . فلم يعد الشاعر نديماً للوالى يطيب مجالسه بالنكات والطرائف والملح . . . انما أصبح الشاعر معبراً عن رغبات شعبه بالمطالبة بالاصلاح وهدم الفساد .

وقد أرادت قوى القديم الابقاء على نفوذها وسيطرتها كما أرادت الكنيسة من قبل فى اوربا السيطرة على الادباء واقسارهم على اتخاذ اللغة اللاتينية ، لغة الادب والاحتذاء بالآداب اليونانية والرومانية ، غير ان هذه القوى فشلت فى الشرق كما فشلت فى الغرب لان ركب الحياة ثورة وتجديد وتطور ولا قدرة لسلطان على الوقوف ضدها وكان من نتيجة الثورة على سيطرة الكنيسة فى اوربا ان دخلت روح جديدة متطورة على الاساليب الادبية ، هذه الروح الثائرة تلائم روح الحياة الصناعية الجديدة التى اجتاحت اوربا وقد كان أهم دعائمها التجربة والمشاهدة التى وجهت الادب الغربى نحو الاتجاه العلمى . فكتب ايسن H. Ibsen النرويجى رواية أظهر اثر الوراثة الفعال فى الآباء والابناء فطبق علم الحيوان فى روايته . والثورة الصناعية الجديدة هى التى دعت ماركس الى الكتابة عن الاشتراكية بعد ان رأى حياة الزراعة البدائية لم تعد تصلح لمجتمع صناعى متطور بمثلها وتقاليدها . ولم يقف هذا السيل فى الغرب فبعد ان قلب مفاهيم الادب الغربى ، انساب الى الشرق فوجد فيه تربة خصبة . كان من بوادرها الثورة على استبداد السلطان وحكمه الفردى المطلق وكرامية كل قديم . وقد وقف الشعراء من الثورة على استبداد السلطان عبد الحميد موافق

(١) لاحظ كتاب (الشعر العراقى فى القرن التاسع عشر) بشأن الامثلة والتفصيل .

مختلفة ، فمنهم من كان قويا عنيفا ومنهم من كان الهادئ البطيء ولكن الثورة على القديم والرغبة في الجديد كانت شعارا اتخذته كل الشعراء وخاصة بعد الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ .

وأول عنصر من عناصر التجديد في العمل الشعري كانت تمثل التجربة الذاتية . فقد سيطر الشاعر على تجربته سيطرة ناجحة فعبّر عما يعتلج في نفسه فظهرت التجربة التي يعيش فيها الشاعر . فلام بينها وبين محيطه وأحداثه . وقد كانت تجارب الرصافي من التجارب الناجحة في أكثر شعره الذي نظمه رغم ما في بعض شعره من مسحة القديم فنجد في (الساعة) و (تجاه الريحاني) و (سفر في اتومبيل) و (التلغراف) و (في القطار) شاعرا ناجحا رغم رجرجة بعض الكلمات التي هي من مصطلح العلم الحديث فقد غطى بأسلوبه وببراعة وصفه عليها ورسم تجربته في أكثر الموضوعات رسما واضحا جميلا .

وثاني عنصر من عناصر التجديد في العمل الشعري كان يظهر في السبك العام للقصيدة وملاءمة الموضوع لها . ويحوى عنصر السبك وحدة الموضوع وجمال الموسيقى والصياغة السليمة وقد افلح الرصافي في هذا العنصر في كثير من قصائد ديوانه .

كان الرصافي شاعرا ثائرا مجددا وقد مهد لثورة شعرية رائعة لا تزال بعض آثارها قائمة . أراد أن يهدم القديم بكل ما أوتي من قوة ولكنه لم يتوصل إلى ما توصل إليه غيره من الثائرين لأنه لم يكن له مذهب خاص في البناء فقد تار ولكنه بقي محافظا على الأصول القديمة ثم جاء من بعده شعراء شطوا واشتطوا في فهم التجديد . إذ لم توضع للادب في العراق الأسس التي وضعت في أوربا سواء للعمل الشعري أو الموضوعات كما وضع الأدباء في أوربا خطة واضحة المعالم في الإصلاح سواء في العمل الشعري أو في الموضوعات التي يتناولها هذا العمل فقد أوضح ووردز ورث ويولوج في (القصائد الغنائية) الأسس العامة للشعر واتخذ أبسون طريقة علمية في روايته وسار كارل ماركس في نظام واضح المعالم فيما يريد . ولم يكن هذا الأمر مقصورا على الأوربيين فقد كان للعقاد والمازني وشكري مذهب في التجديد رسموه وأرادوا من الشعراء أن يسيروا عليه وعلى أساسه هاجموا شوقي .

أما الرصافي فقد بذر بذرة كبيرة في الثورة على الأدب التقليدي دون أن تكون أسسه واضحة المعالم ولكن رغم ذلك يمكننا أن نستخلص من تجديده شيئين مهمين الأول أخذ الشعر من قصور الولاة والسلاطين

وابراجهم العاجية الى دنيا الشعب ومشكلاته وآلامه والثاني التحول من اللفظ الى المعنى .

والتحول من اللفظ الى المعنى ثورة الشعر العراقي الحديث وهي نقطة تحول قلبت مفهوم الشعر القديم ومن هؤلاء الشعراء من حافظ علي وقار التركيب ورصانة الاسلوب كالرصافي والشبيبي والشرقي والجواهري ، واسف بعضهم كالزهاوي .

وقد كان الرصافي يستقي ثورته على القديم من مصدرين ، المصدر الداخلي وهو التطور السريع الذي طرأ على المجتمع العربي والشعور بحاجاته الجديدة من حرية واخاء ومساواة واصلاح اجتماعي شامل . ومصدر خارجي هو الفلسفات الجديدة من اشتراكية وديمقراطية فقد كان يقرأ الآراء الجديدة في العلم والمعرفة في المقتطف والهلل والمقتبس وغير ذلك من جرائد مصر التي كانت تنشر لدارون وبركسون وديكارت وكارل ماركس وغيرهم فازدادت ثقافته وتوسع افق خياله فهو الى جانب ما كان يحمل من ثقافة دينية وعربية أصيلة ، اختلطت في ذهنه طرف من هذه الثقافات الجديدة . وقد كان في الرصافي استعداد للثورة وكان فيه ذكاء دعاه للمقارنة بين وضع الشعب السيئ المتردى وما قرأ من آراء . فثار يهدم هذا البناء القديم الذي يقف أمام رغبات أمتة وشعبه . وقد قرأ مما قرأ الاشتراكية وما فيها من منافع جليلة للشعب ووجد السلطان يتحكم هو واسرته في رقاب الناس ويعيش على كدهم وكدهم دون ان يقدم خيراً لهذا الشعب فنظم قصيدته (آل السلطنة) التي يقول فيها :

تركوا السعي والتكسب في الدنيا وغاشوا على الرعية عالة
يتجلى النعيم فيهم فتبكي اعين السعي من نعيم البطالة
فكان الانام يسقون كدا كي تنال النعيم تلك السلالة
ولا يرضى ان ينعم هؤلاء في خيرات الشعوب ويعيشوا في بحبوحة
من النعيم ويعيش الشعب في جوع وآلام وحرمان لان مثل هذه الحالة
تؤلم الضمير وتحز القلوب .

تلك والله حالة يقشعر الحق منها ، وتشمئز العدالة
هي منهم دناءة وشنار وهي منا حماقة وضلالة
ليس هذا في مذهب الاشتراكية الا من الامور المحالة
وهي في الملة الحنيفة البية ضاء كفر برربنا ذي الجلالة

والملاحظ ان دعوته الى الاشتراكية كانت ملازمة للدعوة الى التمسك بتعاليم الدين الاسلامي لان المجتمع الذي ولد ونشأ فيه كان

مجتمعا دينيا لذلك عندما كان يدعو الى اصلاح اجتماعي أو سياسي كانت الآراء الاسلامية البحتة تظهر في شعره ولكنه لم يكن شاعرا جامدا انما كان شاعرا ثائرا حرا وهذا ما دعا بعض رجال الدين الى اتهمه بالمروق وبالكفر حتى في أواخر أيامه لان الرصافي ينظر الى الدين من زاوية لا ينظر منها بعض رجال الدين الجامدين .

كان الرصافي شاعرا مصلحا ثائرا على تقاليد المجتمع لذلك نجده صدى صادقا لرغبات المجتمع . انتقد الحياة التي يحيها الشعب سواء من الرجال أو النساء وثار على أسلوب هذه الحياة فنظم (أم اليتيم) و (دار الايتام) و (اليتيم في العيد) و (المطلقة) و (الفقر والسقام) و (المدارس ونهجها) و (في المدرسة) و (الفنون الجميلة) و (في المعهد العلمي) و (المرأة في الشرق) و (نساؤنا) و (المرأة المسلمة) و (حرية الزواج عندنا) .

اما ثورة الرصافي على اللفظ والعناية بالمعنى فله سبب آخر يتعلق بالرصافي الشاعر . فقد نشأ الرصافي في بغداد وسافر الى الاستانة ولم تكن بغداد آنذاك الا قرية من قرى الامبراطورية العثمانية وكانت آراؤه الاولى آراء البدوي الزراعي الساذجة المحدودة وهناك أصبح عضوا في جمعية الاتحاد والترقي وكانت مبادئ هذه الجمعية متأثرة تأثيرا كبيرا بالآراء الاوربية ولاسيما الثورة الفرنسية وقد كان شعار الجمعية (العدالة ، والمساواة ، والحرية) فأمتلأت أسماع الامبراطورية من ترديد هذا الشعار وأخذ يقرأ في الاناشيد ويعاد في الشعر والاغاني . ولما وصل الرصافي الاستانة وأراد ان يلائم نفسه مع هذه الآراء الجديدة وحياة العاصمة الكبرى المتحضرة وجد بضاعة البدوي الزراعي التي يحملها معه لا تقدر على مسايرة حياة المدنية الزاخرة وما فيها من حضارة وترف وما في جنباتها من تبدل وثورة وقد أراد هذا الشاعر الشاب الثائر ان يعبر عن آرائه وعن تجاربه الجديدة في هذه الحياة فلم يسعفه أسلوب التقليد القديم الذي نشأ عليه والذي كان يحفل باللفظ دون المعنى . لان الرصافي يحتاج الى معان جديدة ليبر عن أشياء جديدة رآها . ولا يهمنا ان كانت الاستانة هي التي الجأت الى العناية بالمعنى أكثر من عنايته باللفظ أو بغداد ولكن المهم ان الرصافي ضاق ذرعا بالقديم الذي لم يمكنه من التعبير عن أحاسيسه .

وديان الرصافي نقلة كبيرة من القرن التاسع عشر الى القرن العشرين ومع صعوبة وضع حدود فاصلة للتيارات الادبية لادب الامم الا

اننا نقدر ان نقول ان شعر الرصافي كان حدا فاصلا للتجديد في الشعر
العراقي الحديث كما اعتبر نظم (القصائد الغنائية) Lyrioul Ballads
حدا فاصلا بين الرومنكية والكلاسيكية . ففى ديوان الرصافي ثورة
واضحة المعالم على الاسلوب القديم وايمان وثقة بهذه الثورة على كل قديم
ورغبة ملحة للثورة وللتجديد يكررها دائما . وكان من جراء هذه الرغبة
الجامحة ان اتهم عندما نادى بتحرير المرأة بالمروق على الدين وبالكفر
والزندقة ومن ثم قطع عليه مورد رزقه . ومع ذلك فقد استمر ثائرا
وبقى يهدم القديم دون هوادة ولا خوف . وقد اوتى شاعرنا كل ما يحتاج
الثائر الجريء القوى فقد كانت له قوة رائعة من الذكاء واستيعاب لما كان
يقرأ فقد كانت ثقافته معه اينما حل وعندما توفى لم يخلف مكتبة ولا
أظنه امتلك مكتبة طوال حياته . وقد تحدى الرصافي الامراض
والاستعمار والاسرة البهالكة بموهبته الفذة ونازلها وتحداها . فكسب
ذكرا خالدا ومجدا لا يفنى .

الدكتور يوسف عز الدين

كلية الآداب - بغداد

« نحن لا نحارب فئة معينة من الاستعماريين وحسب بل
نحارب كل قوى الاستعمار الغاشمة التى تقيد الشعوب وحرقاتها
وبالدرجة الاولى تلك التى تحاول التآمر أو الاعتداء على شعبنا
وسنبذل العون لبقية الشعوب فى كفاحها من أجل تحررها
الوطنى » .

عبدالكريم قاسم



مزيد عبد العزيز الطاهر

الحقيقة التي لا جدال في مدى واقعية صحتها هي ان الشعراء
يقسمون الى أربع طبقات : أولها الفحل الخنذيد يليه المغلق ويعقبه الشاعر
« فقط » أما الرابع فهو الشويعر أو الشعروور ، وقد اشار أحد الشعراء
الى هذه الطبقات بقوله :

الشعراء فاعلمن أربعة شاعر يجري ولا يجري معه
وشاعر يجول وسط المعمة وشاعر لا تشتهي أن تسمعه
وشاعر لا تستحي أن تصفحه

وشاعرنا معروف عبدالغنى الرصافي - رحمه الله - شاعر وضعه
النقاد في مرتبة شعراء الطبقة الاولى ؛ فهو لعمري - والحق يقال - شاعر
فحل مجيد خنذيد ، ولد ببغداد سنة ١٨٧٣م في عائلة فقيرة كانت تسكن
محلة القرهغول بالجانب الشرقي من بغداد وفي صغره درس في كتاتيبها
ثم انتقل منها الى المدرسة الرشدية العسكرية ومكث فيها ما يقارب
الثلث سنوات ٠٠ ولكنه لم يلبث أن سئم الدراسة فيها فتركها وأخذ
يدرس علوم العربية والدين على العلامة الكبير محمود شكري الآلوسي ،
وبدأ يقرض الشعر وهو بعد لم يتجاوز الخامسة عشرة وشعره - رحمه
الله عليه - مرآة تنعكس فيها المآسي والادران والبؤس والظلم والفاقة ،
اذ أنه - ولا عجب - لم يدع حادثة ولا موقفا مؤثرا الا وسجله بريشته
الحصيفة الثاقبة التي تفيض سخرية وتهكما .

فصور لنا بأسلوب ثوري شديد الاسر حقيقة الحاكمين وكيف انهم
أداة سهلة طيعة بيد اسيادهم المستعمرين الذين عصفوا بالقيم واستأثروا
بالاموال وفتكوا بالاحرار المناضلين ، وصور الاحوال المتردية المتعفنة ،

وكيف أن البؤس والشقاء والاجرام يعمل عمله الايجابى الجدى المثمر
فى تفاقم الحالة وتشابكها !

وصور أيضا المعاهدات والبروتوكولات المقيتة الجائرة التى كانت
ترزح تحت كابوسها المرعب المخيف المفزع البلاد العربية كافة ، فطالب
يعاضده الغيارى بمحوها وسحقها والاستعاضة عنها بحكم وطنى لا زيف
فيه ولا تضليل ، وثارت ثائرتة على الحكومة ودميتها ودستورها
وبزلمانها ، فنعت كل تلك الخزعبلات الجوفاء بانها مدنسه محرفه لا روح
فيها ولا طائل تحتها ، فوجودها وعدمه سيان !

وعلاوة على ذلك كان يستنهض الهم وينادى بصوته الجمهورى الاخاذ
على الشعب الابى المناضل بأن يشمر عن ساعد الجد والنشاط والمثابرة
فيشجب المعاهدات الجائرة ويطالب بالاصلاح الجذرى العاجل وكان
لا يفتىء يكرر توعده للطغاة وجلاوزتهم الحاكمين المتنفذين باليوم الذى
تثور فيه الجيوش وتزحف نحو حصونهم المدنسة واوكارهم العفنة .

وأنا فى بحثى المقتضب هذا سأحاول عرض وتجسيم غيض من
فيض مما صورته شاعرنا العبقري البارع فى المجالات والمناحي التى
اثبتتها قبل لحظات ، لكى أتمكن من الوصول الى ما استهدفته وتوخيتها
فى مقالى هذا وأود فى الوقت ذاته أن اعبر - ولو بعض الشيء - عما أكنه
من حب واجلال وتعظيم لشاعرنا الفقيده الغالى الذى شغفت منذ صغرى
بقراءة شعره المشرق الديباجة الرصين القافية ، المتين الاسلوب الخالى
من الحوشى الغث من الالفاظ واستظهاره .

قد لا أكون على ضلال ان قلت بان شاعرنا سباق لا يشق له غبار
فى تصوير المآسى من املاق وسقام وعوز وظلم وتآوه وشكوى ! وحسبك
أن تقرأ له الارملة المرضعة واليتيم فى العيد والفقر والسقام لكى تعترف
له بالباع الطويل والقدح الملى فى هذا الباب الذى يعد شاعرنا الموهوب
من فرسان حلبيته السابقين .

فهو فى رائعة « الارملة المرضعة » يصف لنا بأسلوب محزن مؤثر
لا حشو فيه ولا غث . . . الارملة المرضعة التى صادفها فى ريقه بانها كانت
بطيئة المشى لسيطرة الفقر على أعصابها ونفسيته المكلومة الحزينة بموت
والدها والتفت الى اثوابها ورجليها ، فذكر أنها كانت حافية القدمين
رثة الاثواب والدمع يتساقط بغزارة من عينيها على خدها المصفّر ، وذكر
أنها كانت تتأوه وتتوجع من الفقر وانها كانت ناحلة من الهم ، متعبة
من الغم .

لقيتها ، ليتنى ما كنت القاهها تمشى وقد اثقل الاملاق ممشاها
 أثوابها رثة والرجل حافية والدمع تذرفه فى الخد عيناها
 الموت أفجعها والفقر أوجعها والهـم أنـحلها والغـم أضـناها
 بعدها نرى شاعرنا الاريـب يواسي الـارملة المـرضعة فيـحسن لها
 بالبقية الباقية من الدراهم التى كانت فى محفظته وكيف أنها شكرته
 - وهى تجهش بالبكاء - على احسانه وعطفه الكـريم ، ثم ذكر لنا نداءها
 الصريح المأثور الذى وجهته له والذى تضمن جزمها على انقراض داء
 الفقر الوبيل الفتاك فيما اذا علم الناس الشعور الذى يشعر به شاعرنا :
 ثم اجتذبت لها من جيب محفظتى دراهمـا كنت استبقى بقاياها
 فاجهشت ثم قالت وهى باكية واهـا لمثلك من ذى رقة واهـا
 لو علم فى الناس حسـك الى ما تاه فى فـلوات الفقر من تاهـا
 وشاعرنا كما تبين قد استهدف من هذه العقيدة ، ومن جميع
 القصائد التى تنحو منحاهـا وتصطبغ بصبغتها تحقيق غرضين جليـلين
 مقدسين أولهما حث كل من الحكومة والمواطنين المـوسرين على انتـشال
 الفقراء المـعدمين من واقعهم المقيت البغيض المؤلم بما يقدموه لهم من المنح
 والعطايا والمخصصات المالية .

أما الآخر فهو جعل كافة المواطنين الغيورين دائمي التفكير بالحالة
 السيئة المتفاقمة التى يعيشون فى خضمها المزعج وبذلك يشمروا عن
 سواعد المثابرة والنشاط فى المطالبة بالاصلاح الجذرى حالا ! ..

كما أن فى عرضه وتصويره وتجسيمه واقع الحال السياسى فى
 العهد المرعب المفزع المندثر صولات ناجحة وجولات موفقة وامكانيات
 واسعة النطاق ولا ريب فى ذلك فشاعرنا قد عاش هذه الفترة الارهابية
 المدنسة وعرف كنهها وخفاياها ، لذا نرى ثائرتـه تشتد كثيرا عندما يلتقى
 بصديقه فيلسوف الفريكة « أمين الريحاني » وعلى ما يظهر أن الريحاني
 عندما جلس مع شاعرنا أخذ يهدأ روعه ويخفف من حدة غضبه وثورته
 بأن قال له أن العراق سيتقدم ويضرب شأواً بعيداً فى مضمار الحضارة ،
 ولم يكـد الريحاني ينتهى من اطرائه الاجوف حتى كادت أمعاء شاعرنا
 تنقطع فتار وهدر واستصرخ :

أأمين لا تغضب عليّ فأننى لا أدعى شيئاً بغير دليله
 من أين يرجى للعراق تقـدم وسبيل ممتلكيه غير سبيله
 لا خير فى وطن يكون السيف عند جبانـه والمال عند بخيله
 والرأى عند طريده والعلم عند غريبه والحكم عند دخيله

ولتشدد الحكومات المتعاقبة فى العهد الذى امحى بالحكم الوطنى
الصحيح وادعائها بوجود برلمان ودستور وملك مصون غير مسؤول
واستقلال لا تشوبه شائبة فى القضاء قسط كبير وميدان واسع شاسع
فى شعره الثورى اللاهب ، وأبيات قصيدته الفائية كانت متداولة على
كل لسان اذ لا تخرج مظاهره - ناهيك عن قلتها وعظمتها - الا ويستشهد
معظم الاحرار المتظاهرين ان لم يكن جميعهم ببعض من أبياتها الرنانة
المعبرة :

هذى حكومتنا وكل شموخها	كذب وكل صنيعها متكلف
غشت مظاهرها وموه وجهها	فجميع ما فيها بهارج زيف
ملك ودستور ومجلس أمة	كل عن المعنى الصحيح محرف
أسماء ليس لنا سوى الفاظها	أما معانيها فليست تعرف
من يقر الدستور يعلم أنه	وفقا لصك الانتداب مصنف

ومن المشاهد التى حزت ضميره وآلمته كثيرا وجعلته يطلق الزفرة
تلو الزفرة والآهة اثر الآهة ، ما لاحظته وشاهده فى البلاط وقصور
الوزراء المأجورين من ترف عظيم وهناء يفوق العجب وميوعة مفضوحة
وفساد تقشعر لهوله الابدان وكيف أن الاسرة الملكية والوزراء المزيفين
تهالكوا وبذلوا قصارى جهدهم فى سبيل سلب الشعب أمواله ورفاهيته
وسعادته وجعله يتخبط فى بידاء الفاقة والشقاء والبطالة :

تركوا السعى والتكسب فى الدنيا وعاشوا على الرعية عاله
ألفوا القصف والترفه فى العيش وناموا على فراش البطاله
يأكلون اللباب من كد قوم اعوزتهم سخينة من نخاله
فكان الانام يشقون كداً كى تنال النعيم تلك السلالة
وثمة مشاهد أخرى آلمته وجعلته يتأوه ويتقلب ذات اليمين وذات
الشمال ؛ من بينها عقد المعاهدات الجائرة بين العراق وبريطانيا العريقة
المتعمقة فى الاستعمار فسخر منها وتهكم عليها ما شاء الله له أن يسخر
ويتهكم :

قد أبلعونا حبة استعبادنا	لكن مموهة بالاستقلال
والعهد بين الانكليز وبيننا	كالعهد بين الشاة والرئبال
شلت أكف موقعها أنهم	حلت عليهم لعنة الاجيال

ومن بينها أيضا الحادثة المروعة .. الحادثة التى اقشعرت لها
الابدان وأحدث صداها دويا فى النفوس حادثة اعدام قواد الحركة
التحريرية صلاح الدين الصباغ ومحمد فهمى سعيد ومحمود سلمان وكامل

شبيب ويونس السبعوى من قبل الخائن الاكبر وعميل الانكليز المتفنين
عدو الاله الذى طغى وتجبر فى البلاد فأكثر فيها الفساد فخص شاعرنا
العبرى هذه الحادثة المروعة بقصيدة سينية بعنوان « الافول المشرق »
وقد احسن شاعرنا الفذ اختيار قافية قصيدته ، فالقافية السينية تضى
على القصيدة جوا من الرثابة والتأثر والحزن وان قصيدة شاعرنا هذه
لتذكرنا بسينية الشاعر « البحرى » التى استوحاها عند وقوفه أمام
طاق كسرى بعد خروجه من بلاط الخليفة (المتوكل) على اثر مقتله ،
وكان اذاك فى حالة حزن لا يقدر القلم الثاقب السيل من استيعاب
وصفها .. فأجاد فى الوصف اجادة تفرغ العيون وتخلب الالبان ومطلع
القصيدة (١) :

صنت نفسى عما يدنس نفسى وترفعت عن جدى كل جس
وشاعرنا فى سينيته كان بالطبع تسيطر عليه الكآبة ويختلط
بانفاسه المحرقة التأثر والحزن !

ولكنه مع ذلك قد وصف عبر اعدام الابطال أو الانجم كما أطلق
عليها ؛ قد وصف عبر أفولها بالشموس وكيف لا اذ بفضل هذه
الشموس اعتقد اننا سنصل الى طريق الهداية ونتخلص من ربقة
الاستعمار وبفضلها ستنقشع وتنجلي داخيات الكآبة والنحوس .
أيها الانجم التى قد رأينا عبراً فى افولها كالشموس
أن هذا الافول كان شروفاً فى دياجير ظالع منحوس
وسياتى الزمان منه بسعد تنجلي منه داخيات النحوس
وعلى بعد ذلك دواعى وأسباب شنقهم ، فاجملها بانهم أبوا أن
يظل علم الجيش منكسا وأبو أيضاً أن يظل شعب العراق الصوال المناضل
تحت نير الاستعمار الانكليزى البغيض وأخذ بعد ذلك يكيل اللعنات
الحادة الى عدو الاله ومن لف لفه من الجلاوزة الخبثاء اللئماء .

شنقوكم لانكم قد جعلتم علم الجيش غير ما منكوس
شنقوكم لانكم قد ابيتم أن تكونوا فى ربقة الانكليس
فاستحقوا اللعن الذى كررته خاليات القرون فى ابليس
ولم ينس شاعرنا - وهو المتفقد المستطلع المتحمص - الاحداث
والحروب التى تدور رحاها فى البلاد العربية الشقيقة ، بل بالعكس !
فله أياذ بيضاء ناصعة فى كثرة الالتفات الى مثل وامثال هذه الحوادث

(١) قصيدة البحرى هذه عارضها امير الشعراء المرحوم أحمد شوقى فأجاد فى
معارضته ايما اجادة وكان مطلعها :
اختلاف النهار والليل ينسى اذكرالى الصبا وايام انسى

والمآسى ، لانه - وهو الوطنى الغيور - يعتبر تلك الحوادث والمآسى شيئا لا بد من الاشارة اليه والوقوف على كنهه واسبابه .

ومن التفاتاته الموفقة البارعة ، قصيدته « دمشق تندب اهلها » وقد مثلها بفتاة بح صوتها من الصراخ وهى تنادى أين الاباة الصيد من العرب الاقحاح ، أينهم ألم يأت منهم الانصار لكى ينقذونى من الهوة السحيقة المخيفة التى ما فتأت أقترب من حافتها ! .. فأجابها شاعرنا وكأنه يعلم علما لا ريب فيه أن الابطال البارز والمتخفى منهم سيسارعوا فى نصرتها ونجدها ! وسيأخذوا لها الثأر بزهد أنفوس العدا ومحققا :

أنا البلدة إلثكى دمشق ابنة العلى	أما أنت فى مغنى دمشق قطين
ألم تر ابنائى يساقون للردى	فمنهم قتييل بالطبى وسجين
فقلت لها لبيك يا أم أنهم	سيأتيك منهم بارز وكمين
سندرك فيك الثأر من أنفوس العدا	ونوقد نار الحرب وهى زبون

ولم ينس شاعرنا أيضا مشكلة المرأة ، فنادى حتى بح صوته برفع القيود والاصفاد المقيتة التى ترزح تحتها واستنكر بشدة متناهية العادات والتقاليد التى تعرقل استغلال مواهبها لخير المجتمع وان كان أقل مغالة من صديقه الشاعر الزهاوى فى اعطاء الحقوق للمرأة لذا نراه يعزو سلب حق النساء الى أهل الشرق الذين أبوا أن يسيروا سيرة العقلاء النابهين فأخذوا يتخبطون فى بيداء التعصب وعدم الفهم ! ..

وما ذاك الا أنهم فى أمورهم	أبوا أن يسيروا سيرة العقلاء
لقد غمطوا حق النساء فشددوا	عليهن فى حبس وطول ثواء

وله فى الزواج المثالى رأى استمدته من واقعه الهندسى المؤلم لكى يعمل بكل ما فى طاقته ووسعه على قشع السحب الكثيفة القاتمة التى تخيم على عقليات آباء الفتيات فتشلها وتجعلها لا تفرق بين الصالح والطالح .. لذا نراه يشجب بشدة متناهية عادة زواج الفتاة كرها من الرجل الذى أكل عليه الدهر وشرب لطمع الآباء بوفرة الاموال التى يقدمها ذلك الرجل الاشيب ، وقال عن الذى يتمسك بهذه العادة المعيبة ويقدسها بأنه عديم الشرف ضحل الاخلاق :

ظلموك أيتها الفتاة بجهلهم	مذ أكرهوك على الزواج بأشيبا
طمعوا بوفر المال منه فاحجلوا	بفضول هاتيك المطامع أشعبا
هذا لعمر الله يابى مثله	من كان ذا شرف وكان مهذباً

ثم يعود شاعرنا بعد ذلك فيبدي رأيه الناضج فى الزواج المثالى ،

قيعتقد جازما أن الزواج القويم يجب أن يشيع في جوه العصيب نسيم
الود والتحاب والرضا اذ بدون تلك الاسس لا يلبث عش الزوجية أن
تزدحم فيه الكراهية وتتشبث باردانه الصخب والضجيج وبالتالي
سيتقوض ويأتى عليه الدمار والخراب ! ..

بيت الزواج اذا بنوه مجدداً بالمال لا بالحب عاد مخرباً .
ان الزواج محبة فاذا جرى بسوى المحبة كان شيئاً متعباً
وكان شاعرنا العملاق قد طلب مرارا بوجوب اطلاق الحريات
وتوفيرها ، لا سيما حرية الفكر المتشعبة النواحي العديدة الفروع ! ..
وقد ذهب في سبيل حرية الفكر مذهبا بعيدا اذ اعتقد جازما ان الاوطان
لن تستقل استقلالا تاما اذا لم تكن حرية الفكر مباحة لجميع المواطنين ،
كما اعتقد أيضا أن الغاية الكبرى لاي شعب كان هي حرية الافكار ،
لذا فلا نكون على ضلال اذا أطلقنا على شاعرنا بأنه ديمقراطي ، ناضل
كثيرا في بعث الديمقراطية في بلاده !

اذا كان في الاوطان للناس غاية فحرية الافكار غايتها الكبرى
فاوطانكم لن تستقل سياسة اذا انتم لم تستقلوا بها فكرا
وشاعرنا الخالد كان لا يفتأ يسدى النصائح والارشادات القيمة
الى الشباب المتوثب الناهض فكان كثيرا ما يوصيهم بالاعتدال في سيرهم
وعدم محاباة الزمان والتخضع له ، وكذلك حذرهم من النزول الى
الحضيض ، بل خلى بهم اختيار المنازل العلمية أى السامية من ناحية
الخلق والتربية ومن نواحي العلم والمعرفة ، لان المجد والعلا والسؤدد
لا تنال الا بركوب المخاطر .

سر في حياتك سير نابه ولم الزمان ولا تحابه
واذا حللت بموطن فاجعل محلك في هضابه
وأختر لنفسك منزلاً تهفو النجوم على قبابه
فالمجد ليس يناله الا المخاطر في طلابه (١)
وقبل أن ننتهى من هذا العرض الخاطف السريع للصورة الفذة الفاخرة
المتقنة التي ابتكرتها مخيلة شاعرنا الخنديد الرحبة ، يجدر بي أن اترحم
على روحه الطاهرة ما شاء الله لي أن اترحم وذلك للخدمات الجليلة التي

(١) لم يكن شاعرنا في هذا المعنى مجدداً ، بل سبقه اليه الشاعر صفى الدين
الحلى بقوله :

يركب المجد من لم يركب الخطرا ولا ينال العلا من قدم الحذرا
وصفى الدين الحلى هو الآخر لم يكن مجدداً فقد سبقه اليه المتنبي بقوله : « ولا تحسبن
المجد زقا وقينة » .

أسداها لوجه هذا الوطن المقدس والتي لا تقدر بثمن .
فشعره الثورى اللاهب وخطبه الحماسية المثيرة وكتابات المتعة
الموثرة ، وصولاته وجولاته الموفقة كان لها صدى عميقا فى نفوس أبناء
الشعب المتوثب المتحمس ، فأخذ يشحذ الهمم ويشمر عن ساعد الجد
والنشاط والمثابرة لكى يقف وجها لوجه أمام المستعمر الدخيل مصاص
أموال الشعوب وسالب حرياتهما ، لذا فلا أكون مغاليا اذا قلت بأن
لشاعرنا القسط الاوفى فى حث الشعور الوطنى فى نفوس أبناء الشعب
وزرعه فى افئدتهم النقية النيرة !

ويجدر بى أيضا أن انهى هذا المقال المقتضب بأبيات شاعرنا التى
تنبأ فيها بانتفاضة الجيش يعاضده الشعب الحر المناضل :

لا بد من يوم يطول عليكم فيه الحساب كما يطول الموقف
الشعب فى جزع فلا تستبعدوا يوماً تثور به الجيوش وتزحف
كم من نواحى للعدا سيجزها ولحى بأيدي الثائرين ستنتف

ولقد صدق قال شاعرنا الفحل فلقد ثار الجيش وزحف زحفه
المقدس نحو بغداد وغسلها من الادران والشوائب وجزت النواصي
وتفتت اللحي وحوسبوا حسابا عسيرا وطال الموقف عليهم حتى حسبوه
دهرا ، عندما جىء بهم كالاغنام التائهة الى قاعة محكمة الشعب التى
كانت مسرحا لتمثيل رواياتهم الكوميدية !

وبعد فعسانى قد وفقت فى عرضى الذى توخيت منه اظهار شاعرنا
الخالد بمظهر الشاعر « المصور الثائر » فأكون بذلك قد عبرت - ولو من
بعيد - عن حبى وشغفى بشخصية هذا الشاعر الطائر الصيت وشعره
العذب الرصين المشرق !

البصرة - مزيد عبدالعزيز الطاهر

المصادر :

- ١ - ديوان الرصافى - القاهرة المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٥٦ .
- ٢ - أدب الرصافى ، نقد ودراسة - مصطفى على - بغداد ١٩٤٧ .
- ٣ - الرصافى - مصطفى على - دار الكاتب العربى - بمصر .
- ٤ - معروف الرصافى - بدوى طبانه - مصر سنة ١٩٤٧ .
- ٥ - المنهج الصوفى فى أدب الرصافى - جمع وترتيب وشرح
عبدالصاحب شكر البدرأوى سنة ١٩٥٠ بغداد .

أربعينية الرضا في

شاعر الشعب

محمد صالح عيسى

« من اتحاد الادباء العراقيين »

ونعشك ام نعش البيان يشيع ؟
حفزت هواها في ضريحك يودع ؟
على الارض الا ذكرك المتضوع
سوى قطع الاكباد وهى تبرع

★ ★ ★
وحجتك الكبرى بها تتوسع
تكيد لمن يسعى لخير ويسرع
وكل صنيع فى الوجود تطبع
ذريعة اغراء بها تتذرع
واين من الايمان هذا التصنع ؟
تصارحها فيما تدين وتصدع
عليك ومن دون اقتضاء تشنع
تلبس فيها المجرم المتقنع ؟
جرت وسكوت البعض انكى وافطع ؟
فليس لهذا الشعب الا التميع
فعن كل حق فى الحياة سيمنع

★ ★ ★
عليك قواف من حشاي تقطع
تعيد نواحيها الصدا وترجع
دموع واشجى ابحر الشعر ادمع
بشعبي فنفس الشعب هذا المشيع
ففى حمله أهداف قوم تضيع

أنعيك ام نعى العقيدة يسمع ؟
ووجهك ام وجه الحياة لامة
عرجت لفردوس الخلود ولم يدم
ورحت ولم تنهب من الناس قطعة

★ ★ ★
تضايقت من دنياك سبعين حجة
تكيل لك التكيل أيد اثيمة
نفوس على صنع الرياء تطبع
تتاجر باسم الدين والدين عندها
وتصطنع الايمان لا عن عقيدة
رأتك معافى من صداع رؤوسها
فثارت بلا وعى تشن هجومها
أيستر هذا الرجم جرم قضية
وهل يتناسى الناس عهد فظائع
اذا الشعب لم يعط الصلابة حقها
ومن لم ينل حق الحياة بمنعة

★ ★ ★
أرب القوافى النابتات تناثرت
ملأت بها الدنيا نواحا فرددت
والقيت من عيني رثاك فبحره
وصحت بقوم شيعوك ترفقوا
ولا تسرعوا فى حمله قبل حينه

ذروه فمن حق الجماهير وحدها
دعوه ، فانتم محرجوه بعرفكم
فلا تصلوا الذات التي بسهامكم
ولا تقربوا نعرش امرىء لم يكن له
خرقتكم نوااميس الحياء بقتله
ولم يجن ذنباً غير عصمته التي
فرضتم عليه الصمت والصمت خلة
فلا يركن الحر العزيز لهيكل
ففى كل بيت من قوافيه طلقة

تودع جثمان الفقيد وترفع
فمنه ومنكم فر هذا المودع
اصيبت ومنكم خصمها المتمنع
مقام لديكم فى الحياة وموضع
شهيدا فما هذا الرياء المرقع ؟
يقارع فيها المذنبين ويقرع
تسيىء لوجه بالصراحة ينصع
مهانا ولا باسم التماثيل يركع
اذا اندفعت لم يبق للبغى مدفع

★
انابغة الاحرار حسبك صفحة
نهدد فيك الظلم حيا وميتا
لئن يفزعوا من شاعر فى حياته
من الحيف ان يفنى الاديب كشمة
ويعرف قدر الشمع من يستنير فى
بربك قل لى : كيف ترنو لقيدها
وحتى ميبقى الركب يطلع فى السرى
ويحصد زرع العيش افراد امة
وهل بعد هذى المزعجات يطيب لى
وفى كل ميدان من العرف مصرع

★
من الفخر يطويها الطغاة وتسطع
نهدد قلاع الظالمين وتقلع
فشاعرنا (المعروف) بالموت مفزع
تذوب لمن فى ضوئها يتمتع
سناه واما قدرنا فمضيع
عيون الى تحريرها تتطلع ؟
ويحبس عنه القائد المتضلع ؟
وهذى ملايين الجماهير تزرع
هدوء ويحلون على الضيم مضجع ؟
لحر ولى جريا على العرف مصرع

★
تتبع وضع (الحاكمين بأمرهم)
وعانيت من اعرافهم ما اتقيته
ولا زلت صلا لا تلين قناته
اصارح اعداء البلاد بمنطق
خذواحتفكم من منطق الشعب واذهبوا
تلوح باآفاق الشعوب طلائع
اذا كان يوم الشعب بالامس رائعا

★
ثلاثين حولا والبقية تتبع
بعزم تحلى فيه هذا التتبع
لطاغية يوما ولا يتميم
يدافع عن حق البلاد ويدفع
فحتفكم المحتوم الجدى وانفع
لفجر انتفاض لا محالة يطلع
بثورة هذا الشعب فالغد اروع

شاعر الشعب

محمد صالح بحر العلوم

الحسين رضا في السائر

علي الحسيني

عُدْ لَنَا - معروف -

فالحقلُ جميلٌ

وزهور الحقل أجملٌ ...

عُدْ لَنَا - معروف -

يا حرفاً عنيدا

لم يزلْ ، في كلِّ قلبٍ ،

- مثلما كان - جديدا

إنما أصبحَ أفضلٌ ...

عُدْ لَنَا ،

فاليَتُّ "خير" وعطاء

وهدايا لا تعدُّ

وحماماتٌ وديعاتٌ ،

تطوفُ

في « الفراتين » وفي البيت ألوفُ ...

وأغانيك ، على الأرضِ ،

تجلجل°

فتح الثوار° باب السجن° ،

فانهالت° مطارق°

ومعاول°

فوق رأس الطاغية°°°

عد° لنا - معروف° -

« تموز » أتانا

باحثاً عنك° ،

أيّا شاعرٍ ثور°

أنتَ بشرتَ به° ،

غنيتَ نصره°°

أنتَ أعلنتَ لأجيال° ،

ستأتي° ،

انها تصنع° فجره°°°

عد° لنا - معروف° -

يا شاعرٍ ثور°

عد° لنا ،

قاليت° خير° وعطاء°

وحمامات° وديعات° تطوف° !

الحلة - علي الحسيني

أبو زيد السروجي^(١)

للشاعر

عبد الوهاب البياضي

« من اتحاد الادباء العراقيين »

كان يغنى
كان شحاذاً بلا حياءَ
يجتر ما فى كتب الاموات ،
أو يسطو على الاحياء •

كان يغنى
فى المواخير ،
وفى ولائم الملوك
فى شهية ، لانه كان بلا حياء

★ ★ ★

كان يغنى
كان فى مدينتى يفعل ما يشاء
يغوى الصبيات ،
ويستجدى

(١) أبو زيد السروجي : من ابطال مقامات الحريري وهو شخصية نموذجية لكل الناس الذين على شاكلته •

على قارعة الطريق في المساء :
صنعتُه ثقيلٌ أيدي الناس ، والغناء
وشتمهم . لأنه حرباء
يعرف من أين وكيف 'تؤكل' الأكتاف'
والانداء

★ ★ ★

كان بلا صوتٍ يغنى
كان في أسماه السوداء
يظهر في كل زمانٍ ، راكباً
بغلته البرصاء
تتبعه الغربان والوباء

★ ★ ★

كان يغنى
عندما أغار هولاء على بغداد
واستسلمت « طرواد »
و'علقت في قلب « مدريد »
وفي ابوابها
الاعواد
لأنه كان بلا ميعاد
يظهر في كل زمانٍ ، راكباً
بغلته يصطاد
تتبعه الغربان والجراد

عبد الوهاب البياتي

١٩٥٩-٢-٢٤

انطونيو پيريز مرغواتيمالا

للشاعر

سعدى يوسف

« من اتحاد الادباء العراقيين »

انه أنطونيو پيريز ، وقد كان الرفاق
أبدًا يلقون أنطونيو العزيز
بالتحايا والعناق ...

كان انطونيو قويا
لامع العينين • تغفو أغنيه
من أغاني الاوديه
أبدًا فى شفتيه
كان عند الامسيه
يلتقى قى الحزب بالعمال :
انا يا رفاق ...
ويضىء الشوق عينيه ويغشاه انطلاق

كان انطونيو نبيا
كالدين
لوتوا تبريز فى الفجر الحزين
كان انطونيو نبيا دون دين

كان انطونيو مع الدرب المضاء
مثل آلاف الرفاق
فى بلادى ... فى العراق

انه أنطونيو بيريز ... لقد كان جميلا
مثل بحار صغير
أسمر الخدين من شمس الجنوب

انه مات قتيلا

أنت يا أنطونيو بيريز العزيز
أنت يا من مزقوك
قرب مبنى الحزب ...
ان غواتيمالا
والهوى ، والراية الحمراء ، منا تتعالى

البصرة - سعدي يوسف

« من يقرأ الدستور يعلم أنه وفقا لصك الانتداب مصنف
من يأت مجلسنا يصدق أنه لمراد غير الناهبين مؤلف
هذه كراسي الوزارة تحتكم كادت لفرط حيائها تنقصف
أنتم عليها والاجانب فوقكم كل بسلطته عليكم مشرف
أبعد فخرا للوزير جلوسه فرحا على الكرسي وهو مكتف »
« الرصافي »

النفق الطويل

مهدي عيسى الصقر

« من اتحاد الادباء العراقيين »

« الى عبد الكريم الذي خرج بالشعب من ظلام النفق الطويل
الى نور الشمس والحرية » .

كان واحد منهم يرقد مفتوح العينين كحصان ميت داخل العربة
وكان الآخرون يتحدثان بحماس وحسرة عن لياليهما الصاخبة في
(طهران) . وكنت أنا أقف في النافذة احرق في بناية المحطة الضخمة
وهي تتراجع بسرعة صوب العاصمة وتتصاغر كلما ابتعد عنها القطار .
وعندما غابت المحطة بقيت أحرق في الفراغ .

كل شيء انتهى بالنسبة الي - هل انتهى كل شيء بالنسبة الي ؟
كنت أنفصل بجسدي عن العاصمة : لكنني كنت أحملها في رأسي ،
بأحداثها ، برعبها ، بتمثيلها المحطمة ، بأسلحتها ، بجنودها ، بمصيرها
الغامض ، بصورة الشاب الذي سحبه الجنود من عربة القطار واخذوا
يضربونه بأعقاب البنادق وبأحذيتهم الثقيلة ، ثم جروه على الارض ، في
جو يسوده الرعب والفرع ، الى خارج المحطة . وشرفة فندق (لاله زار)
حيث كنت أقف أنظر الى الشوارع الاربعة تصب الناس ، رجالا ونساء
وأطفالا ، مواطنين وغرباء ، جميعا في مفرق الطرق عند الفندق ، والمفرق
يعيد توزيعهم على الشوارع الاربعة ، والملقى يمتلئ ويفرغ . وكنت أنا
أرقب عملية الشحن والتفريغ تلك ، غير انني كنت أحس أحساسا خفيا
ان الهدوء الذي كان يسود المدينة كان هدوءا زائفا بعد تلك الايام
الصاخبة التي أعقبت انكشاف المؤامرة ضد (مصدق) ، وفجأة سمعت
ضجة تقترب ولمحت شرذمة من الناس يحملون الخناجر والهراوات ،
يركضون في الشارع ويهتفون ، ثم غابوا بسرعة ، وامتلا مفرق الطرق ،
وتجمع الناس في دوائر صغيرة يتسائلون في حيرة ، ثم لم تلبث ان
تفككت تلك الدوائر الصغيرة عندما عاد حاملو الهراوات مرة اخرى

تاركين ورائهم سحابة من الدخان واللهب ترتفع من إحدى البنايات .
وكانت سيارة كبيرة ، مليئة بالجنود المسلحين ، تحرس حاملي الهراوات .
ومرت الحوادث بعد ذلك بسرعة فقد امتلأت الشوارع برجال الجيش
والشرطة والمصفحات ، واندلعت النيران في كل مكان ، وكنت أسمع
صوت الرصاص ، بدون انقطاع ، من مكان ما من العاصمة . وحاملو
الهراوات يحطمون كل شيء أمامهم ، والسيارات الكبيرة تأتي من أطراف
العاصمة بخليط من مومسات وسماسرة وحشاشين ومشردين منسيين لم
يكن يذكرهم أحد فتقيئهم في الشوارع . وكان المترفون ينقلون بعض
هؤلاء في سياراتهم الانيقة الزاهية دون أن يبدو عليهم الاشمئزاز .
وتوجه بعض رجال الجيش الى مكتبة تحت الفندق وأخذوا يضربون بابها
بأعقاب البنادق حتى انكسر وهجم المنبوذون يصبون نقيمتهم على الكتب .
ومن الفندق نزل شاب مصاب بالأبنة الى الشارع وأخذ يرقص مع تلك
المخلوقات المحمومة ، ثم عاد الى الشرفة وشرب زجاجة من البيرة مع ضابط
كهل متقاعد ، ورجع مرة أخرى يهتف في الشارع . وكان هناك تاجر
من الجنوب - سمين ممتليء الوجه جاء يتمتع جسده في العاصمة - يضرب
جبهته من فرط السرور ويهتف ، من الشرفة ، مع الهاتفين في الشارع .
وكانت هناك امرأتان ، من العراق يبدو علي وجهيهما القلق والحيرة .
وكان صاحب الفندق يروح ويجيء فزعا ، يطلب من النزلاء الابتعاد عن
الشرفة ، كيلا تصيبهم رصاصة طائشة . ودام ذلك الصخب المجنون
حتى العصر ، ثم هدأ شيئا فشيئا ، غير ان صوت الرصاص ظل يأتي من
مكان ما من العاصمة حتى المساء . وفرغ مفرق الطرق بعد أن كان مسرحا
للحوادث طول النهار . كان بعض عابري السبيل يسرون مسرعي
الخطى يطأون بأحذيتهم - دون اهتمام - مزق الكتب التي كانت تغطي
ارض الشوارع الاربعة . ونزلت من الفندق ، ووقفت عند بابه برهة
من الزمن ، ثم خطوت بضع خطوات ووقفت في وسط مفرق الطرق
والتقطت بضعة قصاصات والقيت عليها نظرة ثم - لا أدري لماذا -
دسستها في جيبى . كان كل شيء قد انتهى ، وتبددت الشراذم التي
كانت تملأ الشوارع بزعيقتها . وانطلق فجأة صوت ضخم ، من مكبرة
صوت قريبة ، يأمر الناس بالجوء الى بيوتهم قبل الثامنة مساء ،
ويحذرهم بأن رجال الجيش سيطلقون الرصاص على أى انسان يشاهد
بعد تلك الساعة . وعدت الى الفندق يضج في أذنى ذلك النذير . وظل
الصوت الضخم يبعث الرعب ويطارد عابري السبيل الى بيوتهم حتى

أقفرت الشوارع فانطفأ الصوت . وانقطع صوت الرصاص ، وهذا كل شيء ، وظل الهواء يحرك برفق مزق الكتب المنتشرة في الشوارع . كانت سيارات الجيش الداكنة المسلحة تمزق أحيانا ذلك السكون الميت بدويها الحاد وهي تنطلق من شارع الى شارع - حتى الصباح - وتغير كل شيء .

لكن ما الذي تغير بالنسبة الي - أنا المسافر الغريب ؟ أى شيء تغير ؟ كان القرويون يقفون بعيدا سائدين أجسادهم التعبى الى معاولهم يحدقون فى حيرة الى القطار الطويل وهو يندفع مسرعا بأسراره وخفائيه . ولوح واحد منهم بيده ، وكأنه يسأل : أحقا ما سمعناه ؟ ثم ترك يده تسقط فى خيبة عندما ابتعد لقطار . كانوا ينتظرون لعل هناك من يقول لهم ان ما سمعوه كان اشاعة كاذبة . مجرد اشاعة كاذبة . كانوا قلقين وكنت أنا قلقا أيضا . لماذا ينبغي أن أكون أنا قلقا أيضا ؟ أى شيء تغير بالنسبة الي ؟ أى شيء ؟ أى شيء تغير ؟

لم أنم البارحة . كانت السيارات المسلحة تمزق الليل بدويها الحاد وتمزق النوم من عيني . وذلك المسافر ينام مفتوح العينين كحصان ميت داخل العربة . كنت أحس بأعياء شديد ، وكان هواء الصباح كالماء البارد يتدفق على وجهي ، وصوت عجلات القطار الرتيب يدوى فى أذني ، فأحسست بالنعاس ووددت لو أنام نوما عميقا خاليا من الاحلام كما ينام ذلك البليد داخل العربة ، غير اننى سرعان ما أنكرت تلك الرغبة . فكرت ان نومي يجعلنى أهبط - فى نظري أنا - الى مستواه ، فلم أرد أن أكون سعيدا مثله . وثررت على نفسى لمرور ذلك الخاطر ، وفكرت أن أقف . . أن أظل واقفا حتى يصل القطار الى مدينة (خرمشهر) . وصممت على هذه الفكرة وكان هناك قوة كنت أريد أن أتجدها بقرارى هذا . وخرج من العربة الاخرى أحد الركاب وبيده (بطيخة) أراد أن يلقي بذورها من نافذة القطار فأفلت من يده ، وتدحرجت مبتعدة بسرعة ولفها الغبار ، ونظر الرجل فى أثرها فى خيبة وحنق ، ثم التفت وشاهدنى أقف فى النافذة الاخرى فبدأ عليه الارتباك ثم ضحك وانزوى فى عربته .

وأخذت احدى الى قمم الجبال الملونة . كان القطار يمر قريبا من بعضها حتى كان يخيل الي أن الجبل يوشك أن ينهار فوق القطار . ولاحظت بناية احدى المحطات البعيدة . كانت تقترب وتتضخم بسرعة ، ثم اخذت تقترب بهدوء وترنحت ثم جمدت فى مكانها عندما استقرت

عجلات القطار فوق الخط الحديدى قرب البناية . كانت المحطة ملاءى بالناس ، وفى وسط ذلك الزحام كانت تنتشر خوذة فولاذية وحراب صقيلة تعكس اشعة الشمس أحيانا فتبدو كمصابيح تشتعل وتنطفئ . كان الجنود بوجوههم القاسية وكأنهم على استعداد لخوض معركة دامية . وكانت نظراتهم الباردة تنتقل من وجوه المستقبلين فى المحطة الى وجوه الركاب البادية من نوافذ القطار . وأدركت ان ذلك الحشد من الناس لم يكن لاستقبال بضعة ركاب يريدون الهبوط فى المحطة ، بل لتلقى أخبار العاصمة . ولم يكده يقف القطار حتى التف ذلك الحشد حول الركاب الذين نزلوا لقضاء بعض حوائجهم ، وتجمعوا الى جانب الواقفين فى النوافذ ، وبدأوا يستفسرون عن الوضع الجديد . وسألنى أحدهم - هل شاهدت ذلك بعينك ؟ وقال آخر واجما - سمعنا انهم قتلوا أكثر من خمسمائة شخص . فقلت له - لقد قتلوا عشرين مليوناً . فنظر الى صامتاً برهة من الزمن ثم حرك يده فى الهواء وقال بأيمان - ذلك مستحيل !

كان الجنود يقفون بثبات كأعواد المشانق لا يتفوهون بشيء . وصفر القطار وارتفع صوت الماكينة واهتزت المحطة ، ثم تراجعتم ولم تلبث ان أخذت تبتعد بسرعة بأعواد المشانق وذلك الحشد القلق . وحملت قلقي وقلقهم معي - لكن لماذا قلقهم ؟ ما الذى تغير بالنسبة الى ؟ كان كل شيء كما كان عليه عند مجيئى قبل عشرة أيام : الجبال الملونة الصامدة فى وجه الزمن ، الصحراء السخية الرحبة ، القرى الصغيرة المنتشرة على جانبي الخط ، ومزارع الحنطة والقرويون ، وذلك الفراغ الازرق الذى يحيط بكل شيء ، حتى القطار نفس القطار . لا شيء تغير . غير ان هناك شيئاً كان قد تغير فى داخلي . . شيئاً أصابه العطب . وكان ذلك هو سر قلقي . كان ذلك هو الذى يجعلنى أرى كل شيء قد تغير .

واصطدمت بي امرأة فى طريقها الى دورة المياه ، تحمل طفلاً صغيراً كان يزعم بشدة ، فتنحيت عن طريقها . ووضعت يدي على جبهتي فوجدتها تشتعل ، واحسست بشحمتي اذني كجمرتين تلتصقان على جانبي رأسي . كان الدم قد صعد من جسدي وتجمع فى اذني . ونظرت الى ساعتى فوجدتها تشير الى الواحدة بعد الظهر ، وأدركت أن القطار قد مر ببعض المحطات دون أن أنتبه ، دون أن أنتبه تماماً ، لاشك اننى كنت أدرك ادراكاً غير واع وقوف القطار فى المحطات ، وأخذت أستعيد تلك الصور كما يستعيد الانسان أحيانا صوراً غامضة مفككة من حلم مبهم طويل . وأدهشنى ان الراكبين كانا ما يزالان يتحدثان بصوت مرتفع

داخل العربة ، وعجبت من قدرة صاحبهما على النوم وسط ذلك الصخب ، ولم اكن أعني ما يقولان كان حديثهما بالنسبة لي جزءا من الصخبة التي كان يثيرها القطار والركاب جميعا ، غير ان هناك كلمات معينة ، من حديثهما ، كانت تفرض نفسها على تفكيري ، فقد استوعب ذهني مرة صوت احدهما وهو يزعم : (عشرين الف تومان في ليلة واحدة !) وفي احد المرات لم يكن كلاما ما سمعته ، بل ضحكة أطلقها احدهما ، بدأها هادئة متقطعة ، ثم أخذت تتضخم وتتصل ثم انفجرت في أذني . وكنت قبل سماعها بلحظات أفكر بأمور غريبة . . غريبة جدا ، وقلت ان اى انسان سوف يسخر مني اذا اطلع على تلك الخواطر - وفي تلك اللحظة بالذات دوت قهقهة الرجل في مسامعي وكأنه يضحك ساخرا بي .

واصطدمت حشرة في وجهي . وبعد لحظات أحسست كأن فراشة تخفق بجناحيها ، فوق جبهتي ، وعندما حاولت طردها بيدي سمعت ضحكة ناعمة صغيرة فالتفت واذا بطفل يقف في النافذة الاخرى ، يمسك بطرف شريط ملون من الورق . وكان الشريط يرفرف في الهواء فيلامس طرفه الآخر وجهي ، وضحكت انا ايضا . كان الطفل يبدو مسرورا جدا . كان كل شيء في وجهه الصغير يبدو ضاحكا : عيناه الزرقاوتان ، أنفه الافطس ، وخداه الحمران والمنتفخان ، وأسنانه الصغيرة البيضاء ، وكل شيء . كان وجهه يبدو ككرة صغيرة وكان الهواء يعبث بشعره الاشقر فيحاول هو أن يزيحه عن عينيه بيده الاخرى . كان في السابعة أو الثامنة من العمر ولم يكن يستطيع أن يطاول النافذة جيدا . ونظرت اليه من الداخل فوجدته يقف على أطراف أصابعه ، وكان اذا تعب استقر على راحتي قدميه ، وعندئذ كان نصف وجهه الصغير يختفي وراء النافذة . وأحسست بميل اليه ، وأخذت أتفحصه وكأنني أرى طفلا لأول مرة في حياتي ، وأحسست بشحمتي أذني تبردان شيئا فشيئا ، وارتخت أعصابي المتوترة ، وهدأت خواطري ، ونقلني الصغير بشريطه الملون الى عالمه الهادئ البريء . وقلت في نفسي - لا أدري لماذا - ان ذلك الصغير لابد أن يكون انسانا طيبا اذا كبر ، لان مثل ذلك الوجه لا يمكن أن يكون الا لانسان طيب القلب . لاشك ان كل الاشرار كانوا أطفال بمثل براءة هذا الصغير ، غير اني لا أستطيع أن أتصور شريرا واحدا يملك (عهد طفولة) . يخيّل الي انهم بدأوا حياتهم رجالا لئاما . وسألته :

- ما اسمك ؟

فأجاب بسرعة

- رستم *
- انت بطل اذن *
- فقال باصرار :
- لا أنا رستم *

وانتبهت الى وجود امرأة فى النافذة الاخرى على يمينى . وأدركت انها كانت تراقبنا أنا والصغير منذ مدة . كانت تدخن . وكان وجهها الملىء بالاصباغ يجعلها تبدو أكبر مما هى . وابتسمت ثم قالت مشيرة الى الصغير : (طفل جميل) . كان يبدو فى نظرتها اليه انها تود لو أنجبت مثله . كان القطار كالافعى يتلوى مسرعا بين الجبال وشريط الورق يخفق فى يد الصغير ، والهواء يتدفق على وجوهنا ، وكانت رؤوس كثيرة تبدو فى النوافذ الاخرى على طول القطار . وفجأة ، وقبل أن أستطيع تحريك يدي ، انقطع شريط الورق ، وحمل الهواء ما تمزق منه بعيدا . وبان الحزن على وجه الصغير ، غير انه ظل ممسكا بالطرف الذى بقي فى يده ، وظلت قطعة الورق تختلج فى الهواء . ولم يعد رستم يجد أية متعة فى اللعب بتلك القصاصة الصغيرة ، وبعد لحظات تركها تفلت من بين أصابعه وتندفع مع الريح . وصفر القطار ، وأخذ يتلصق فى سيره ، ثم شاهدت بناية احدى المحطات تتجه صوبنا ببطء ووقفت المحطة . وانفتحت أبواب العربات ، وتدفق منها بعض الركاب بحقائب وبلا حقائب . وصعد اليها آخرون أخذوا يطوفون بالممرات بحثا عن مكان ، وارتفعت ضجة الحمالين . وكان بعض الذين نزلوا من القطار يجيبون على أسئلة المستطلعين ، وبعضهم يتجمهر على حانوت صغير فى طرف المحطة لشراء ما يحتاجونه من طعام ، وبعضهم يزدحم قرب خنفيه ماء كبيرة يملأون جرارهم ، أو يرشحون وجوههم بالماء على عجل . وكان الجنود هناك أيضا ، بالخوذ الفولاذية ، والحرايب الصقيلة التى كانت تشتعل وتنطفئ كلما انعكست عليها أو مالت عنها أشعة الشمس . وانتبهت الى وجود رجل يتكأ على باب احدى العربات يحدق بنهم الى جسد المرأة . كان من الذين انتهزوا فرصة هبوط النقد الايرانى فهرعوا الى ايران لزيارة الامام وللمتعة . وعندما التقت عيوننا أدار رأسه الى الناحية الاخرى . وسألتنى المرأة : (أنت تحب الاطفال ؟) فسألتها : (وأنت ؟) . (أنا كانت لدى طفلة . لم تكن ابنتى . . . كانت لامرأة أخرى تعمل معي فى نفس الدار . وماتت المرأة فجأة . ماتت مختنقة . . . سهرت مع وحش ضخم . . .) وتصورت البليد الذى ينام كالحصان الميت داخل العربة (وسقاها كثيرا من الخمر

حتى فقدت وعيها وفي الصباح وجدوها ميتة تحته .. وكان لا يزال
كالكابوس جاثما فوق صدرها . وأخذت أنا الطفلة .. واحتفظت بها
لمدة من الزمن .. كان وجهها يشبه وجه هذا الصغير .. وكان أنفها
أفطس مثل أنفه تماما .. وعيناها زرقاوتان أيضا .. لكنهم حرموني
منها .. اضطررت الى ادخالها في أحد الملاجئ . ففي إحدى الليالي دخل
الدار بعض السكارى فأشار واحد منهم الى الصغيرة وقال (أنا أدخل مع
هذه) وضحك رفاقه .. كان ثملا .. كان يهذي .. كان لا يعرف مايقول ..
ثم حمل الصغيرة وهو يترنح ، ووضع فمه القذر على شفتيها الصغيرتين ..
فهجمت عليه لكن أحدهم طوقني بيديه ومنعني من الحركة .. وأخذ
الوغد يقبلها بشهوة ونهم وكانت هي تختلج بين يديه القاسيتين كانت
تبكي .. كانت تختنق كانت (..) فصرخت بها دون وعي : (أسكتي !)
فسكتت مندهشة ، وسمعت دوى عجلات القطار يندلق فجأة في أذني ،
وتذكرت الشوارع الأربعة : الصخب ، الكتب الممزقة ، صوت
الرصاص ، وألسنة اللهب - أين كان صوت عجلات القطار عندما كانت
تتحدث الى المرأة ؟ أين كنت أنا ؟ وبقيت أحاول ان احقق في الجبال التي
كانت تتحرك ببطء أمامي ، لكن كل شيء كان يبدو مضببا مترنحا .
كانت المرأة لا تزال تقف مندهشة وكنت لا أريدها تنظر في عيني . كنت
واثقا اننى سأنهار حالما تلتقي عيني بعينيها أو بعيني أى انسان . وقلت
بعد جهد دون أن التفت اليها (لماذا تروين لي كل هذه الامور ؟ من أنت؟)
وأخذت تتحدث عن نفسها ، وأقحمت حياتها في حياتي . كان عالمها عالما
آخر غير ذاك نقلنى اليه الطفل (رستم) . كان عالمها عالمي الصاحب
القلق . وجفف الهواء عيني وأخذت أرى الجبال بوضوح . وظلت تتحدث
عن حياتها لاكثر من ساعتين . وكنت أشعر بالضييق لسبب أجهله ، ثم
أدركت أن الرجل الذى كان يقف عند إحدى العربات يحدق الى المرأة هو
سبب ذلك الشعور . وتبعت المرأة من الوقوف فانصرفت الى عربتها
ووجدت الرجل يقف لها في الممر ويسد عليها الطريق . ولم أسمع ما
قاله لها ، ولا أظنها فهمت كلامه ، لكنها لم تكن مستعدة لمثل ذلك
الغزل السمج . كانت نائرة - بعد ان استعادت ذكرياتها التعسة - على
نفسها وعلى كل مخلوق يدفعها الى تلك الحياة . نائرة على الحياة التي
صنعها لها الآخرون ، على الكذب الذى تجمد مع الزمن ، فوجدتها ترفع
يدها وتهوى بكفها بحقد على وجه الرجل واثبته بعض الركاب الواقفين
في النوافذ ، وقهقه قاطع التذاكر والشرطى الذى يسير خلفه . وفوجئ

الرجل بتلك الصفحة التي جاءت من بغى كل ما فيها يدل على انها لا تمتنع على أحد ، فوقف ذاهلا لبضعة لحظات ، ولاحظت انه همّ بصفعها ، لكننى سرعان ما وجدته يختفى داخل العربة دون ان ينبس بحرف . وكان قاطع التذاكر والشرطى ما يزالان يضحكان وعندما وصلا الىّ قال قاطع التذاكر (أرايت ؟) . ولست أدري لماذا شعرت أنا بالخجل عندما سألتنى هذا السؤال . وأحسست فى صوته بنوع من التشفى وكأنه - وقد أدرك اننى غريب ايضا - يقول (أنتم تأتون هنا للعبث بنسائنا وهذا جزاؤكم .) وقد أدركت شعوره . انه يحس ان كرامته تمس عندما يعبث رجل غريب باحدى المواطنات - وان كانت بغيا . لقد كان ينتابني نفس هذا الشعور عندما كنت أشاهد جنود الحلفاء - الذين ملأوا بلادنا فى الحرب العالمية الثانية - يعبثون مع البغايا . وفكرت وأنا انظر الى قاطع التذاكر والشرطى الذى يتبعه : ماذا تفعل لو عاد اولئك الجنود الان مرة أخرى ؟ هل تبتلع ثورتك ؟ سيرغمونك على أن تبتلع ثورتك وسيجعلون كرامتك يا أخى تحت أحيذيتهم . سوف تستطيع أية امرأة أن ترفع يدها على جندى ستغل يدها . : ستغل أيديكم جميعا . . . وسيعبثون ببغاياكم وعذاراكم . وودت أن أصبح به : أتدرى يا صديقى أن جنديين امريكيين أمطرا بالرصاص جسد زوج أراد حماية زوجته منهما فى خرمشهر . . . احدى مدنكم فى الجنوب ؟

كان الطفل رستم والمرأة قد ربطا تفكيرى بحياتيهما لمدة من الزمن . وعندما غادرانى الواحد بعد الاخر عدت الى زحمة الخواطر . لقد استطاعت المرأة ان تجعل ذهنى يرسم صور حياتها وربطته الى أشياء معينة ، ثم ذهبت وتركتنى أتأرجح دون ان استطيع تركيز ذهنى على شيء معين . وكانت حياتها - التى أقحمتها فى حياتى القلقة - زوبعة جديدة عصفت بذكريات مؤلمة قديمة كانت ترقد فى داخلى منذ سنين وأثارتها جميعا . . . وتعبت . . . تعبت من التفكير ومن الوقوف ، لكننى لم أجد رغبة فى الجلوس ، وقررت ان لا أفكر بشيء . . . أن أظل واقفا أحرق فى الصحراء والفراغ الازرق الذى يغلف كل شيء . . . ان أظل واقفا فقط . . . ووقف القطار فى احدى المحطات . كان بائعو الصحف يملأون المحطة بصراخهم ، وكانت الصحف التى يعلنون عنها تحمل طابع العهد الارهابى الجديد . وكان المسافرون يستمعون واجمين الى نعيق بائعى الصحف ، وينظرون بأسى الى الخوذ الفولاذية والحرايب الصقيلة المنتشرة فى المحطة . وبعد فترة من الزمن تحرك القطار ، ووجدته يندفع بقوة صوب

أجد الجبال • وتطلعت الى الجبل فشاهدت نقطة صغيرة سوداء تبدو في أسفله • كان الجبل يتقدم ببطء • ببط شديد • وأخذ القطار يتلوى كالافعى ليتجنب المرتفعات • وبدأت النقطة الصغيرة السوداء تكبر وتكبر فبدت مثل فتحة قبر مظلم • وتكبر • • مثل باب غرفة مظلمة • وتكبر مثل غرفة مظلمة انهار احد جدرانها - فأغلقت النافذة بسرعة واحتوانا الجبل • وتجمع صوت العجلات وضجة الماكينة داخل النفق فأحسست كأن الجبل كله يدوى ويوشك ان يطبق على القطار • وامتزج دخان الماكينة بالتراب الذى تثيره العجلات وانحشر فى داخل العربات من النوافذ التى بقيت مفتوحة ، فبدأ بعض الركاب يعاونون نوبات من السعال ، وكانت رائحة التراب الذى ينبعث من النفق كرائحة الصدا ، وكنت أحرق من النافذة دون ان أرى شيئا • كان القطار يخترق الظلام ، وكل شئ يبدو أسود من الخارج • وكانت المصابيح تلقي ضوءا باهتا داخل العربات • وظل القطار يخترق الظلام لفترة من الزمن ثم انفلت خارجا من الثقب الصغير فى الجانب الاخر من الجبل ، وغمرنا نور الشمس مرة اخرى ، وتبددت ضجة القطار فى الفراغ الفسيح ، وفتحت النافذة لأتنفس هواء باردا نظيفا ، بعد ان كدت اختنق داخل النفق • وعندما ابتعدنا عن الجبل التفت أحرق الى الثغرة المظلمة وهى تتصاغر كلما ابتعد عنها القطار • قبل لحظات كنا فى داخل ذلك الثقب الاسود الصغير ، وفوقنا كل ذلك الجبل الشاهق • وأخذت أحرق بنشوة الى الصحراء ، والقرى الصغيرة البعيدة ، وكانت الشمس - وهى تنحرف صوب المغرب - تنشر أشعتها برفق على الصحراء ، ومزارع الحنطة ، واكتسبت هذه المشاهد طابعا جديدا ، فقد جعلتنى تلك الدقائق القصار التى أمضيتها داخل النفق المظلم أدرك قيمة النور • قيمة الشمس • قيمة الهواء النظيف الذى بدأت اتنفسه بحرية • قيمة الارض السخية الرحبة • قيمة الحياة - خارج النفق • ولم أتمتع طويلا بهذا الشعور ، فقد لاحت نقطة صغيرة سوداء اخرى ، وأخذ القطار يتلوى ليتجنب المرتفعات ، وكانت سكة القطار تبدو كثعبانين أسودين طويلين يركضان فزعا ليختفيا فى الثغرة المظلمة يطاردهما وحش أسود ضخم يصرخ دون انقطاع • فأغلقت النافذة وأطبق الظلام • وانتظرت بفارغ الصبر عودة النور حتى انفلت القطار خارجا من النفق • وأخذت بعد ذلك الانفاق تتلاحق بسرعة ، وكنت أحيانا لا أجد الوقت الكافى لغلق النافذة وفتحها ، كان الظلام والضياء يتبادلان القطار بالتناوب : ظلام ، ضياء ، ظلام ، ضياء ، واختفت الشمس

خلف الجبال ، ظلام غسق ظلام وأطبق الليل على الصحراء ظلام ظلام ..
ظلام الليل وظلام الانفاق ، أحدهما لا يبين فيه شيء والاخر يكشف عن
خيالات واشباح . كان كل شيء فى مكانه فى الخارج ، الجبال ، والهواء
النظيف ، والقرى ، ومزارع الحنطة ، وانا كنت انا نفسى ايضا ، لكن
الظلام الذى كان يطبق على كل شيء كان يوحى باليأس . وتركت النافذة
مغلقة ، ووقفت خلفها أهدق فى الظلام ، فى الاشياء فى الخارج ووقف
القطار فى عدة محطات وكنت أرى فى الضياء الباهت الذى كانت تلقيه
المصابيح جنودا مسلحين ، بملابس الميدان ، يقفون ضجرين فى زوايا
المحطات ، يلقون نظرات بليدة على المسافرين . وفى احدى هذه المحطات
نزلت البغى ، ونزل الطفل (رستم) ، وامه ، وفتاة صغيرة لعلها اخته .
وهدأت ضجة الركاب فى العربة ، وأدركت انهم ناموا جميعا . وفى
منتصف الليل تلكا القطار فجأة - وهو يخترق نفقا طويلا - ثم وقف
فى داخل النفق ، وخيم الصمت على الركاب وشعرت بالوحشة . كانت
النافذة أمامى لا تكشف عن شيء سوى الظلام ، وكان القطار قد جمد فى
مكانه . ومن ذلك السكون الذى ملأ النفق أدركت ان جميع الركاب كانوا
يشعرون بالوحشة مثلي ، وانهم كانوا يتسمعون ليعرفوا سبب وقوف
القطار . وكان ينبعث أحيانا همس مبهم من بعض عربات القطار ، وشق
السكون صوت ممطوط ردد كلمات لم يفهمها أحد فأجابه صوت آخر
انبعث من صوب ماكنة القطار . كانت تلك الاصوات تصل مخنوقة
كثيبة ، وكأنها منبعثة من أعماق قبر . ومر بالنافذة شبح يحمل مصباحا ،
فشاهدت - للحظة واحدة فقط - جدار النفق أمامى ، ثم أطبق الظلام
والسكون مرة أخرى . وأخذت أحس بالوحشة والظلام تتسربان الى نفسى
وتغلغان كل شيء كلما طالت مدة وقوف القطار . وفكرت: اذا انهار الجبل
فى طرفى النفق فسنبقى هنا حتى نتفسخ . ولم ينقذنى من تلك
التصورات سوى بكاء طفل صغير ، انبعث من احدى العربات ، فأحسست
بنشوة تغمرنى ، وتلاشى الظلام والوحشة من نفسى . كنت واثقا ان بكاء
الصغير قد بعث مثل ذلك الشعور فى نفوس الركاب الاخرين الذين بلغهم
صوته . وكان الصغير يبكى ثم يصمت ثم يعود الى البكاء لفترة قصيرة
ثم يصمت ، ولم يكن يصمت باختياره ، كان هناك شيء يمنعه من
الاستمرار فى البكاء ، كما يبدو من تكسرات صوته ، وأدركت أن أمه
تحاول ارضاعه ، فكان يبكى عندما تفلت حلمة ثديها من بين شفثيه ،
ثم يصمت مهمهما عندما تسارع فتحشر الحلمة فى فمه من جديد . واهتز

القطار وتحرك ، ثم لم يلبث ان وقف ، ثم تحرك دون أن يقف وانطلق كالقذيفة خارجا من النفق ، فأسرعت بفتح النافذة ، وأخذ القطار يطوى الليل وينعق كلما اقترب من إحدى المحطات ، وعندما طلع الفجر كان القطار يدخل أرض الجنوب ، ويطوى أرضا رحبة مقفرة ، لا أثر فيها للجبال والانفاق . ووقف القطار في إحدى المحطات فنزل بعض الركاب بشعورهم المنفوشة وعيونهم الذابلة التعبى ، بعد نوم مضطرب متقطع لشراء ما يحتاجونه للفقور من خبز وزبد وجبن كان الباعة يعلنون عنه بحماس فى أرجاء المحطة ، ووجدتهم هناك أيضا ، بخوذهم الفولاذية ، وحرابهم الصقيلة الباردة ، فأيقظونى على حقيقة لم أكن قد نسيتها ، وعدت أسائل نفسى من جديد : مالذى تغير بالنسبة الي ؟ أنا المسافر الغريب ؟ أى شىء تغير ؟ لا شىء . ومع ذلك كنت أحس احساسا شديدا بأن كل شىء تغير . كنت أحس أن تلك الاسلحة هى لاذلالى انا ايضا . وتحرك القطار ثم أخذ يسرع فى سيره ، تسبقه أشعة الشمس تنير له الصحراء ، ولم نكد نبتعد كثيرا عن المحطة حتى غمرت الشمس كل شىء كان القطار يطوى أرضا رحبة خالية ولم يكن فى ذلك الفراغ سوى سكة القطار التى تلمع تحت أشعة الشمس كحراب الجنود ، وأعمدة التلفون المنتصبة فى الصحراء كاعواد المشانق ، وكنت قد انحنيت على النافذة وأخرجت رأسى ، فاخذت أشعر بالهواء يتدفق كالماء الدافئ على وجهى ، وكان الجو يزداد حرارة كلما توغل القطار أكثر فى صحراء الجنوب ، وكنا كأننا نخرج من الشتاء لندخل فى الصيف ، ولم يكن فى القفر الرحب الذى يطويه القطار أى أثر للزراع ، كانت الشمس تغمر الصحراء ، ولم يكن يبدو هناك أى ظل يستطيع أن يستقىء عنده انسان ، وكانت هناك ظلال نحيلة تتمدد على الارض بجانب أعمدة التلفون ، وظلال العربات تعدو مسرعة مع القطار ، وتختفى تحت العجلات أحيانا ، لتخرج فى الجانب الآخر من القطار ، ثم تعود مرة أخرى ، تتمدد وتنكمش كلما تلوى القطار ، وهو يطوى الارض دون أن يبدو عليه أثر للجهد الذى بذله طوال الطريق . وفرغ ركاب العربة الثلاثة من تناول فطورهم ، ولأول مرة ، منذ ركبت القطار صباح أمس ، شاهدت البدين يغادر العربة الى المراحيض . كان منتفخ العينين ، من أثر النوم ، وكان جسده الضخم يصطدم بجوانب الممر كلما اهتز القطار وظل رفيقاه يتحدثان بهدوء داخل العربة ، بعد أن استنفذا كل ذكرياتهما عن ليالى العاصمة وجاء قاطع التذاكر ، يتبعه الشرطى . كان عابس الوجه ، غير انه ابتسم

عندما شاهدني ، فقد تذكر الحادث الذي جرى أمس بين البغي والمسافر وصدق في التذكرة ثم أعادها الي ، ومضى دون أن يتكلم ، يتبعه الشرطي ببندقيته . وعدت أحصدق في الصحراء . وكان بعض الركاب يطلون برؤوسهم من نوافذ القطار الأخرى يحدقون مثلي في الفراغ . وفكرت ما الذي يدور في هذه الرؤوس . . ذلك رجل يقف ساهما لا ينظر الى شيء معين ، لم يكن أمامه شيء معين لكي ينظر اليه . . مجرد أرض منبسطة تنزلق تحت عجلات القطار . وتلك امرأة . وذاك رأس يبدو في النافذة الأخيرة في ذيل القطار ، وكان الرأس يبدو صغيرا ، ولم أستطع تمييزه اذا كان لرجل أو امرأة . ونظرت صوب الماكنة فوجدت بضعة رؤوس تطل من النافذة ، ولم يكن في ذلك القفر ما يغري الركاب على الوقوف في النوافذ . وكان الهواء قد بدأ يهب محملا بالغبار ، غبار الجنوب . لا شيء سوى صحراء قفر وهواء محمل بالغبار . وبدأت الرؤوس تختفي من النوافذ فأغلقت النافذة وبقيت في مكاني . وعاد البدين من المراحيض ، وانحشر مع صاحبيه داخل العربة ، وصفر القطار عدة مرات ، وأخذ يتلکأ في سيره ، ثم وقف بجانب بناية ضئيلة . كانت المحطة من الطين ، تختلف كثيرا عن المخططات التي مر بها القطار في الشمال . كانت بضعة غرف تجثم خلفها عدة بيوت حقيرة لمأمور المحطة وعمالها . وكان هناك برميل للماء في زاوية من المحطة . ونزل نفر قليل من الركاب ليملاوا أجارهم بالماء ، غير أنهم عادوا خائبين عندما وجدوا البرميل فارغا . ونزل شاب وفتاة حاولا ان يتمشيا قليلا بجانب تلك البناية ، لكن الهواء الذي كان يهب عنيفا محملا بالتراب أرغمها على الانزواء مرة أخرى في داخل القطار . كان كل شيء هناك جافا ، الصحراء ، وغرف الطين ، وبرميل الماء ، وأشعة الشمس التي كانت تصل الى الأرض باهتة بسبب الغبار الذي كان يغلف كل شيء ، والهواء المحمل بالتراب ، فشعرت بجفاف في حلقي ، ورطبت شفتي بلساني ، ولم أشاهد جنودا في تلك المحطة ، كانت أصغر من أن تحتاج الى جنود مسلحين ، ولم يمكث القطار فيها طويلا ، بل صفر وتحرك يخترق الغبار على مهل . وأخذ الغبار يتكاثر ، وأشعة الشمس تذوي ، كلما توغلنا في صحراء الجنوب . وأخذت أعمدة التلفون تلوح بين ذلك الغلاف الترابي واحدا واحدا ، كلما لاح عمود لف التراب العمود الذي قبله .

ثم وقف القطار فوجدت أمامي بناية صغيرة من الآجر يلفها الغبار ، ونزل عدد قليل من الركاب ، أولئك الذين دفعتهم الضرورة للنزول ، وبقي

الآخرون منزوين فى داخل العربات ، أو منتصبين خلف زجاج النوافذ ، يحاولون أن ينتزعوا ملامح المحطة من بين الغبار . وراحت عيني تبحث عنهم فى زوايا المحطة ، عن الجنود المسلحين ، وخوذهم الفولاذية ، وحرابهم ، فلمحت رؤوسهم تتحرك فى إحدى الزوايا . كان الغبار قد أعمى عيونهم ، فراحوا يتسترون فى الزاوية وفكرت : هل يدرك هؤلاء اننى اقف عند هذه النافذة ، منذ صباح الأمس ، لأعبر عن تمردي على عهدهم الجديد ؟ على اسلحتهم ؟ هل يدركون معنى تمردي الصبياني العقيم ؟

وتذكرت ذلك الشاب الذى ضربه الجنود فى المحطة ، قبل أن يغادر القطار طهران صباح أمس . وتصورت نفسى مكانه ، ورأيت ثلاثة جنود يتقدمون صوبى بأسلحتهم ، وبملابس الميدان ، وصرخ أحدهم مشيراً الى : (هذا !) وتقدم الآخرون وسحبانى من القطار وألقيا بي أرضاً ، وانهالا علي ركلا بأحذيتهما الثقيلة ، وبحركة لا شعورية رفعت يدي الى رأسى اتقي ضرباتهما (لقد رأيت الشاب يفعل ذلك) وضربنى أحدهم بأسفل بندقيته على مؤخر رأسى ، وخيل الى انى احس بألم ، ثم رأيتهم يسحبونى على الأرض مثل كلب ميت ، وكان الناس يحيطون بى واجمين وقد الجمهم الرعب . كان من الممكن جداً أن أكون أنا مكان ذلك الشاب . ألم يكن ذلك ممكناً ؟؟ ماذا كان شعوره آنذاك ؟ ما يكون شعورى أنا آنذاك ؟ ماذا يعنى تمردي الصامت العقيم بالنسبة لأولئك الاجلاف ؟ ما هو شعورى وأنا أركع عند أحذيتهم ؟ لقد وقفت تحدياً ، لكن على من انتصرت ؟ لم انتصر على أحد . . . لم انتصر حتى على نفسى ؟

كان الغبار يتكاثف فى الخارج ، والرياح الحارة تجفف كل شئ والتراب يخدش زجاج النوافذ كآلاف الاظافر الحادة واشيع ان القطار لن يواصل السير بسبب تكاثف الغبار فوق الخط الحديدى ، فبان الضيق والقلق على وجوه الركاب ، كانوا يريدون أن يصلوا بسرعة ، أما انا فلم أشاركهم ذلك الشعور ، وتذكرت القصاصات التى احملها فى جيبى ، لماذا حملت معى تلك المزق من الكتب ؟ ما هو غرضى من حملها فى جيبى ؟ الكى اضعتها فى اطار اعلقه فى غرفتى عندما اصل ، لأعيد اليها كرامتها ؟ لكنهم يمزقونها فى كل مكان ، يمزقون الانسان فى كل مكان .

واخرجت القصاصات من جيبى ، وأغلقت عليها قبضتى (ووددت

لو عرفت شعور مؤلفي تلك الكتب وهم يشاهدون جهودهم تحرق وتمزق وتداس بالاقدام) وعادت الشوارع الاربعة بصخبها المجنون ، باللهب ، بالدخان ترتسم امام ناظري فوق بناية المحطة ، رغم كثافة الغبار ، رغم كل شيء . وفتحت النافذة قليلا ، ومددت قبضتي خارج النافذة ، ثم فتحت يدي فاخترطت الريح تلك القصاصات من يدي بسرعة ونشرتها بعيدا حيث لا اعلم . وتذكرت الطفل (رستم) عندما أطلق بقية الشريط وترك القصاصة تذهب مع الريح ، كل شيء أو لا شيء . لا أريد أن أخدر نفسي ، كل شيء يرتبط بكل شيء آخر .

كان القطار يتمدد باعفاء فوق الخط الحديدي ، وكانت الريح تصفحه من كل جانب وتذرو فوقه التراب ، وسمعت الركاب الثلاثة يتجادلون داخل العربة حول المكان الذي سوف يقضون الليل فيه اذا وصلوا ، رغم ان القطار كان جامدا في مكانه والطريق أمامه ما يزال طويلا . وقال واحد منهم انه يعرف مومسا أرمنية حسناء تقيم في (آبادان) فاتفقوا بالاجماع على المبيت عندها وكفوا عن الجدل . وخرج كلب من الغبار واقترب من احدي العربات والتقط عظما ثم عاذ واختفى في الصحراء ولفه الغبار، ووضعت يدي على وجهي فوجدت الشعر قد نما فيه واستطال ، وكانت طبقة كثيفة من التراب تغطي وجهي ، ووجدت صعوبة في ان امنع يدي من العبث في ذلك الشعر ، واحسست بخدر في جسمي ، في مفاصلي ، في كل مكان . واخذت اعني ذلك الخدر وكأنني أحس به لأول مرة ، مع ان جسدي كان مجهدا ومتخدرا منذ زمن . كان ذهني - قبل ذلك - منصرفا في فوضى من الخواطر والافكار والذكريات . وكانت هناك فكرة صغيرة جدا . . . بسيطة جدا . . . تكافح طوال الوقت ، دون أن أعني ، لتطرد من رأسي كل الخواطر السود ومن نفسي اليأس والقنوط وعندما انتصرت واشرقت شفيت - في لحظة - من اليأس المفاجيء الذي انتابني على أثر الانقلاب ، واستعدت ثقتي بالمستقبل . وبدأت كالركاب الآخرين انتظر - بفارغ الصبر - أن تهدأ الريح وينقشع الغبار ليعاود القطار سيره ونصل الى المدينة بسرعة .

البصرة : مهدي عيسى الصقر

حول قصة « عمل ٠٠ في المدينة »

عودتنا مجلة الثقافة الجديدة الغراء - أن تقدم لنا كل نتاج سام يبدعه الفكر العراقي الحر ، وقصة السيد غانم الدباغ (عمل ٠٠٠ في المدينة) واحدة من القصص الانسانية التي تستحق الاهتمام وانا - كقارئ وواحد من العارفين بأحوال أهل الريف بعد أن عركت الحياة معهم سنين طويلة ، وجدت في القصة ما يجدر للاشارة اليه ، وها انا اثبت ملاحظاتي حولها - ان سمحت الثقافة الجديدة بذلك ، آملا من السيد الدباغ ان يتأملها - باخلاص -

تسير القصة بعد تسلسل لذيذ وحبكة جيدة لتصرخ بعد ذلك : ان في من الغرابة ما يحتاج الى نقاش ، فالتناقض واضح في نفسيات ابطالها ، تراهم ينزعون الى الشر - أبعد حدود الشر - مع أن الكاتب كان قد صورهم اناسا خيرين الى أبعد حدود الخير ، فحسين القروي الطيب الساذج رشقه الدباغ بصفة من (الشر) عجيبة ، حينما استغل ضعف صديقه (عبد السادة) وفقره وحاجته الآنية الى النقود - فاغرقه بالعمل المضنى الى عروق اذنيه لقاء درهم فقط يدفعه له من اجره البالغ ربع دينار يأخذه (يوميا) انا لا اقدر ان اسلم بذلك ، ولا يمكنني أن اتصورها (صورة واقعية) نقلها القاص بأمانة ، فالمعروف مثلا ان الزبال يتقاضى راتبا شهريا وليس اجرا يوميا ، وكذا ، فان (حسين) وهو النشيط ، لا يمكن ان يضحي بدرهم مهما بلغت طيبته ٠٠ انه بحاجة اليه ، هو يرى الدرهم مبلغا - كبيرا - حينما يعطيه الى عبد السادة وقت انتهاء العمل ، اننى واثق - وكما عرفتكم جيدا - ان حسين مستعد بالقيام بضعفى عمله لو زيد راتبه درهما آخر (فقط) ٠٠٠

(وعبد السادة) هذا الذي ودّ لو أن (الزير سالم) كان في اهابه ليشق هذا الجرم نصفين أو انه ودّ لو أن سيف الزير كان معه ليفلق

رأس ذاك الافندى ذى الوجه الابيض والجسم الضخم .. ولماذا ؟ لمجرد انه اخبره بان لا عمل يوجد له - الآن - هذا بينما يروح السيد القاص يصور لنا طيبة عبد السادة وبساطته حتى وهو يصارع كل الصعاب التى وضعها القدر فى طريقه .. ان نفسية القروى البعيد عن المدنية الزائفة تكون عادة كذلك ، بسيطة .. حلوة .. سمحاء ، تستطيع ان تسبر غورها فى دقائق ، دقائق معدودات ، انها بعيدة كل البعد عن الافانين الشريرة التى كثيرا ما نجدها عند ابن المدينة مثلا . لقد راح الدباغ (يخلط) فى نفسياتهم الخير بالشر فجاءت النتيجة مضطربة .. حتى انه أعطى للاسطه عباس منتهى رفعة الخلق حينما آوى ذلك المسكين التائه وقدم له الشاى والغطاء .. بل المقهى كلها .. بينما يجده مرة ثانية يجعل من الاسطه عباس ، ذلك الخير ، انسانا شرسا يكيل الشتائم والسباب لذلك الشخص الذى وثق به فسلمه (المقهى) ليلا ، ولماذا ؟ لانه تأخر عن أن يعطى الاسطه مبلغا لم يكن ليتجاوز مائة فلس ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى هو اننى لم اسمع أو ار مرة ان المقاهى فى المدن (الكبيرة) تستعمل كفنادق .. بيد اننى لا انكر اننى رأيت اناسا يقضون ليالى وهم نائمون على (تخوت) المقهى .. ولكن على قارعة الطريق .. وليس فى البناية نفسها .

ظهر لي خلال قراءتي القصة ان كاتبها قد عانى فى انشائها عناء كبيرا وهذا يتضح فى الحوار الذى قطع حبل تفكيرى أكثر من مرة .. اذ ان الكاتب كان يخلط بين اللهجتين البغدادية والريفية الصميمة .. ونظرة واحدة بتأمل نحو القصة نجدها ليست خالية مما أقول .. فالقروى - واضرب مثلا لما اسلفت - لا يمكن أن يقول (ابويا) بالالف بل يقولها (ابوى) بضمة فوق الالف وسكون فوق الياء .. هذه كلمة من كثيرات لا أريد ان اعرض لها لضيق المجال ..

وثمة شئ آخر كاد يقصم عمود القصة الفقري .. اذ إننا كنا نأمل من السيد الدباغ ان يصف الحالة النفسانية لعبد السادة وهو يحاول ان يسطر لعائلته (مكتوبا) .. ماذا يطرأ عليه من انفعالات وهو يكذب ؟ ... الخ ، ولكن الاستاذ القاص كان قد نسى ذلك - كما اعتقد - فقطعت القصة أكثر من مرة ، وراحت تصيح : اننى بحاجة الى اهتمام أكثر !

البصرة - يعرب محمود السعيدى

حول قصيدة « من أجل المقاومة الشعبية »

كنت مع صديق أديب ، وكان حديثنا عن بعض الدراسات التي تصدر بأسم « تحليلية » وهي لا تعدو كونها هذرا ، وعن بعض الكلمات المرصوفة التي تسمى ظلما « بالشعر الحر ! » ، والذي أذكره من الكلام الذي دار بيننا قوله : اذا ما تعرضت لجميع ما يصدر من انتاج فلن يبقى لي الا أصدقاء قلة !! • ولقد أصررت على أن يبقى له أصدقاء قلة لاجل الادب الحى والفن الصحيح •

فى هذه المقدمة ، وعلى ضوءها ، أود أن أناقش (بعض) النقاط فى قصيدة « من أجل المقاومة الشعبية » للسيد موسى النقدي • ما من شك أن كل مواطن شريف يحب وطنه • ويتجه فى حياته اتجاهها تقدما ، ولكن هناك نقطة وهى كيفية صب تلك الافكار فى قالب لطيف ، يكون العمل الادبى فيه جميلا شكلا ومضمونا • ان الشخص العادى يحمل مثلنا أفكارا كأفكارنا ، أحيانا ، ولكنه لا يستطيع صياغتها بأسلوب أدبى • وعلى هذا فأنى أخلص الى أننا يجب ألا نسحق الشكل على أساس المضمون •

يقول النقدي :

- شعبنا - ما دام للشيطان أعوان بواشنطن ولندن - وللصوصية شرع - والظلامية درع - فيهما ، فى قلب واشنطن ولندن - فعلينا أن نقاوم ونهاجم - من يعاديننا ، ولكن لا نسالم - مجرما يطلب منا أن نساوم - الخ • • وأنا أريد أن أقول للاخ النقدي : هل ترضى أنت لو قال شخص (ما دام للشيطان أعوان بواشنطن ولندن) ؟ ، اننى على ثقة من أنك سوف تثور وتصم ذلك بالهذر ، لانك ذو ذوق أدبى • • • وهل منا من لا يعرف أننا يجب ألا نسالم من يطلب منا المساومة ، ويجب مهاجمته ؟ فأين الروح الشعرية فى قولك « فعلينا أن نقاوم - ونهاجم - من يعاديننا ولكن لا نسالم - ؟ • • » من هذا أقول جازما أن هزم الفكرة ظلت تنقر فى دماغك فأردت أن تخلص رأسك المسكين منها ، فطرحتها على هذه الشاكلة المرتجة •

وليسمح لى الاخ النقدي أن أقول : ان جمهوريتنا الحبيبة سوف

نحميها بكل ما نملك ، فلا تصفني بالجمود وضيق النظر والرجعية ،
مقدما ، ان قلت أن جميع الناس وحتى الاطفال يرددون حمايتهم
للجمهورية ، فلا أرى من اللازم ذكر هذه الفكرة بالهيئة الركيكة التي
جاءت بها :

ان جمهورية الشعب الحبيبة
نحن حراس لها .. نحن الشبيبة
ناهيك عن تكرار كلمة (نحن) وان أردتها أنت للتأكيد لكنها
يستشف من موقعها أنها للوزن لا أكثر .
وليتسع صدر الاخ لنقطة أخيرة وهي أن زمان الحكم قد اندثر
وولى .. وأحد عوامل ظهور الشعر الحر هو التخلص من الحكم
والضرورات ، فلا أرى قولك :
والذي لا يتطور

يتقهقر
لا أرى هذا القول لطيفا بالاضافة الى أنه أمر مفرق بالتهرؤ .
وللاخ النقدي ، ختما ، حبي واعجابي ببعض قصائده .

سلمان الجبوري

« انى مبصر تباشير صبح مستفيض على ظلام الامانى
انى استشف من غير الدهر انقلاباً يعم كل مكان
سيلوح الدانى به وهو قاص ويلوح القاصى به وهو دانى
ويكون المعز غير معز ويكون المهان غير مهان »
« الرصافي »



نقدمها للقارئ

عنوان الحافظ

« من اتحاد الادباء العراقيين »

كلمة الى دور النشر

تضطلع دور النشر في جمهوريتنا الفتية اليوم برسالة تاريخية ضخمة لو أنها حملت هذه الرسالة بأمانة وصدق وإخلاص ؛ ولو أنها حرصت على ان تكون رسالة خالصة من شوائب العبت أو الاستغلال أو التحريف ، اذن لكانت لها يد بيضاء خيرة مشكورة ، تسهم في انقاذ ثقافتنا الوطنية والانسانية ، وتعمق نهضتنا الفكرية ، وتحيا تراثنا العقلي احياء علمياً سليماً .

غير ان واقع الحال - ويا للأسف - ليس كذلك بالنسبة لاغلب دور النشر عندنا ، ونقول أغلبها ، لاننا مطمئنين تماماً الى ان بعضها - كدار بغداد وابن سينا والاهالي والنور - تحمل هذه الرسالة الوطنية السامية بكل أمانة وإخلاص ، وقد أسهمت اسهاماً مشكوراً في نشر العديد من الكتب العلمية الثمينة .

ان كلمتنا هذه موجهة الى من هم اعرف الناس بأنفسهم . اننا نريد ان نقول لهم مخلصين ان الطريق الذي تسرون فيه انما هو طريق معوج وسيفضي بكم ، بالتأكيد ، الى هوة سحيقة تتحطم فيها آمالكم واحلامكم الفردية العريضة .

فعلى الرغم من أننا لا نقر اطلاقاً الاستحواذ على مجهودات المؤلفين - وبخاصة في الخارج - فاننا لنربأ من ان يصل الحال بهذه الدور الى « لطش » أسماء دور نشر تقديمية شريفة - كدار الفارابي - على اغلفة كتب ذات مضمون سخيف بقصد خدع القراء ودفعهم لاقتنائها ؛ والى ايداع مهمة الاشراف على طبع الكتب الى أشخاص جهلاء بل ولربما لا تتجاوز أعمارهم السن العاشرة !! فيجئ الكتاب مشوها لكثرة الأخطاء الواردة فيه وبشاعة التحريف الملموس في مضمونه .

اننا نحذر القراء الافاضل من مغبة اقتناء مثل هذه الكتب الممسوخة ؛ وقد نجد انفسنا مضطرين الى نشر أسماء هذه الدور الوهمية التي تمادت في غيها ان لم ترتدع وتقف عند حدها ؟

كتاب. ثمين ، لا لانه يبحث موضوعاً مهما لم تتناوله أيدي الكتاب بصورة موضوعية مركزة فحسب بل ، ولان طريقة البحث التي اتبعها المؤلف في دراسته العميقة للقضايا العربية الراهنة ، ومناقشته مناقشة علمية ضافية « الاتهامات » المصطنعة التي أثارها حكام الجمهورية العربية المتحدة ، بحيث جعلت هذه الدراسة جديرة بكل عناية وتقدير وفي غاية من القيمة والغنى .

يبدأ الكتاب ، في فصله الاول ، الذي هو بعنوان (الى اين ؟) بشرح السياسة الجديدة التي سار عليها حكام الجمهورية العربية المتحدة والهدف من حملاتهم الارهابية على العناصر الشيوعية والديمقراطية في سوريا ومصر خدمة لسيدهم الجديد ، الاستعمار الاميريكي .

وفي معرض كلام المؤلف عن حركة التحرر العربي يقول « ٠٠٠ ان حركة التحرر العربي ظاهرة تاريخية معتمدة ، تتحرك وتتطور طبقاً لقوانينها الموضوعية الخاصة ، وبالارتباط الوثيق مع حركة التطور العامة لسائر الشعوب ، فهي ، بهذا المعنى ، ليست من صنع فرد من الافراد ، أو حزب من الاحزاب ، أو زمرة من الرواد ، أو القادة الابطال . انها من صنع الشعوب العربية بالدرجة الرئيسية ، ونتاج كفاحها المعقد المديد ضد الاستعمار وفي سبيل التقدم » (١) .

كما بيّن ان جوهر ومضمون هذه الحركة ليس مضمونا تحريريا فقط بل ديمقراطيا أيضا ؛ ذلك لان حركة التحرر العربي قد ولدت وترعرعت وبدأت تعطى ثمارها في غمار الكفاح الضاري المرير ضد الاستعمار ، وحيث أن الاستعمار كان لا يقتصر على نهب الثروات والتحكم والاستعباد ويدوس ، بوحشية وفظاظة ، على حقوق الشعب الديمقراطية ، ويحرمه من التمتع بحرياته ، لذلك اقترن الكفاح العربي في سبيل التحرر بالكفاح في سبيل الديمقراطية ، وبالاخص ، في سبيل الحصول على الحريات الديمقراطية . لذا فان جوهر ومضمون حركة التحرر العربي ، هي ليس تحريرا بل ديمقراطيا أيضا .

(١) من المستحسن ، في هذا الصدد ، الرجوع الى مؤلف « بليخانوف » الثمين المدسوم

ب « دور الفرد في التاريخ » ففيه شرح واف لهذا المفهوم .

« ان تجريد حركة التحرر العربى من الديمقراطية ، هو بمثابة سلب الكائن الحى روحه الحية وعقله المدبر • انه يعنى - بلغة السياسة - انحرافا عن طريق هذه الحركة ، وسعيا لا جدوى فيه ، لاجراجها عن طريقها السوى » .

وانطلاقا من هذه الحقيقة الثابتة ، أصبح من اليسر بمكان تحديد مدى الانحراف فى سياسة حكام الجمهورية العربية المتحدة ، ذلك الانحراف الذى اتضحت بوادره فى هذا التقارب الواضح مع الدول الاستعمارية والالتقاء معها فى أكثر من خط واحد ، وفى هذا الهجوم الهستيرى على الجمهورية العراقية الديمقراطية وقائدها ابن الشعب البار عبدالكريم قاسم ، وحبك المؤامرات ضدها ، بدعوى ان العراق قد انحرف عن جادة ثورة ١٤ تموز ، وخان أهداف القومية العربية ولم يعد يسير وفق سياسة الحياد الايجابى ، والى غير ذلك من الادعاءات الكاذبة التى لم تعد تنطلى حتى على أبسط الناس .

فى الفصل الثانى من هذا الكتاب تكلم المؤلف عن معنى الحياد الايجابى - نظريا وفى التطبيق - وعن أصدقاء الامة العربية واعدائها اذ قال : « •• ان فكرة الحياد الايجابى نشأت منذ الحرب العالمية الاولى وأثناء الحرب العالمية الثانية من رغبة دولة من الدول الضعيفة فى تجنب ويلات حرب لا تجلب المغنم ، فهو بهذا المعنى ، وعلى وجه العموم ، حياد سلبى وموقف سياسى أكثر منه موقفا عقائديا أو مبدئيا • غير أن فكرة الحياد هذه قد اتخذت لها صورة أخرى أكثر تعقيدا بعد الحرب العالمية الثانية ، فلم يعد حيادا سلبيا وانما جاوز هذا المضمون الى المساهمة الايجابية فى درء خطر الحرب وتوطيد السلام فى العالم ، ولذلك سمي هذا الحياد « حيادا ايجابيا » فهو بهذا المعنى (ينحاز) الى السلم والحرية والى الشعوب التى تكافح من أجل السلم والحرية ، وهو لا يعنى أبدا انحيازا الى دولة أو معسكر أو نظام ، ولذلك يعتبر قول القائلين باننا نكتفى بان ننحاز الى انفسنا أو الى قوميتنا ، قولا خارجا عن الصدد ، ولا يخلو من مسعى لتقليص الميدان الكفاحى لسياسة الحياد الايجابى ، فضلا عن أنه يستتر وراءه غرضا آخر » .

اما فى الفصل الثالث ، فقد أسهب المؤلف فى الكلام عن معنى الحملة التى وجهها قادة العربية المتحدة على الشيوعيين والديمقراطيين فى سوريا ومصر • فلكى تبرهن السياسة المصرية للدول الاستعمارية عن

حيادها - كذا - ، ولكي تطمئنها على سلامة نهجها السياسى ، اتخذت من مكافحة الحركة الديمقراطية والتنكيل بالشيوعيين والديمقراطيين الشرفاء وسيلة من وسائل هذه البرهنة !!

لقد دشنت (الثورة المصرية ؟) أيامها الاولى بنصب المشانق لقادة الاضراب البطولى الكبير الذى نظمه عمال « كفر الدوار » فى اعقاب هذه الثورة ، وواصلت - دون انقطاع - سياسة الاضطهاد والسجن ضد الشيوعيين والديمقراطيين فى مصر ، وأقيم لهم فى قلب الصحراء النائية سجن رهيب ٠٠٠ وحتى فى الايام الصعبة ، أيام حرب الانصار ضد القواعد الحربية البريطانية ، وأيام العدوان الثلاثى الغادر على مصر ، كان الشيوعيون والديمقراطيون ينتزعون من ميادين المعركة ويحاكمون ويسجنون ٠٠٠ وكان هدف هذه السياسة الرعناء هو ترضية الغرب ، وبخاصة امريكا .

وبعد وحدة مصر وسوريا ، اتجهت الحملة الظالمة على الحزب الشيوعى السورى المناضل ، وعلى العناصر التقدمية والديمقراطية المستقلة . ان للحملة على الحزب الشيوعى السورى أسبابها المعروفة ، منبعا ان هذا الحزب الجماهيرى قد اعلن عن برنامج واقعى صحيح يدور حول اطار الوحدة السورية - المصرية ، ويستهدف تعزيزها وتقويمها على اسس ديمقراطية ثابتة .

وبحث المؤلف فى الفصل الرابع من هذا الكتاب عن معنى الخروج من حلف بغداد واثار ذلك فى احباط المؤامرات الاستعمارية والتدخل الاجنبى وخلص الى القول بان على العراق ان يعجل بالخروج رسميا من هذا الحلف البغيض . وقد تحقق هذا المطلب الشعبى الملح قبل أيام قلائل .

ويختتم الكتاب بالكلام عن الطغيان الذى أخذ يثفاقم ويزداد شراسة وعتواً فى الجمهورية العربية المتحدة . .

اننا نرى ، ان لهذا الكتاب الدسم ، اهمية خاصة ، سيما فى هذه الظروف التى تمر بها جمهوريتنا الباسلة ، ونحن فى الوقت الذى نشم فى هذه الدراسة الغنية المستفيضة ، نؤكد على القراء ضرورة اقتناؤه واستيعاب مفاهيمه .

* * *

أخذ اتجاه قادة الجمهورية العربية المتحدة يتركز على اتهام جمهوريتنا الديمقراطية وابن الشعب البار عبد الكريم قاسم وعلى الفصائل الطليعية للعناصر الديمقراطية بصورة خاصة ، بحجة محاربتهم الوحدة العربية والوقوف بوجه روادها والارتقاء في احضان الشيوعية الدولية - كذا - وما الى ذلك من الاتهامات الوضيعة والاكاذيب المفضوحة التي استعاروها من جعبة الاستعماريين !

وفي هذا الكتاب يناقش الاستاذ الحاج - بأسلوبه العلمي الرصين - المقالات العديدة التي كتبها أبواق جمال عبدالناصر واذنابه : صلاح عبدالصبور ، أحمد بهاء الدين ، احسان عبدالقدوس ومحمد حسين هيكل ، تلك المقالات المليئة بالحقد الاسود والدس الرخيص والاكاذيب المشبعة بالروح الاستعمارية .

في الفصل الاول من هذا الكتاب (موقف ثابت من قضية الوحدة العربية) يقول المؤلف : « ان الوحدة العربية لن تعبر حقا عن المصالح القومية العليا ما لم تستند الى اطلاق ارادة الشعب في كل جزء عربي متحرر ، وما لم تأخذ في الحسبان الظروف الخاصة الناشئة عن التطور اللا متناظر ولمختلف البلدان العربية » . وهو بكلامه هذا انما يعبر بالضبط عن الواقع الموضوعي للوحدة العربية التي هي هدف جميع العناصر الديمقراطية في جميع البلدان العربية . اما انكار الظروف الموضوعية المتميزة التي تختلف من بلد عربي الى آخر فلا يمكن ان يقنع احدا (١) .

ان عهود التجزئة الطويلة أوجدت سمات خاصة في كل بلد عربي ،

(١) جاء في المحاضرة القيمة التي القاها عامر عبدالله في قاعة الشعب في شباط المنصرم : « ان البلدان العربية لا تسير على وتيرة واحدة ، لا في حركة تطورها العام ، ولا في مسيرتها نحو الوحدة وواقع الحياة يدل على ان البلدان العربية ستسير في مسالك متعددة متباينة شطر الاتحاد الشامل . . . ان توحيد الامة العربية عملية مركبة ينبغي ان تعالج في ضوء واقعها المادي . وان من يحاول تبسيطها وتجريدها انما يسيء اليها ويساهم - شاء ام أبى - في وضع العقبات في طريق تطورها التاريخي » .

رغم توفر عدد من السمات المشتركة ... وهذا يتجلى فى تفاوت درجة التطور الاقتصادى ، والظروف الاجتماعية .

ان جريمة الشيوعيين والديمقراطيين هى أنهم دعوا ، وسيظلوا يدعون على الدوام ، الى وحدة عربية قوامها تطمين مصالح مجموع طبقات الامة داخل كل بلد عربى ، ومراعاة ظروف التطور غير المتناظرة ، واحترام ارادة الشعب فى حريات ديمقراطية ، وفى جهاز حكم ديمقراطى يستند الى مؤسسات ديمقراطية بريئة من شوائب التعسف والديكتاتورية الفردية ، كما هو الحال اليوم فى شكل الحكم الموجود فى العربية المتحدة ، الذى يعبر بجلاء عن تحكم الفئة العليا للبورجوازية المصرية التى تتجه لتسخير مراكز الدولة واجهزتها لتطمين مصالحها الطبقية الضيقة . هذا ما اوضحه الشيوعيون مرارا وتكرارا ، وهذا ما اعلنوه هنا فى العراق قبل الثورة وبعدها ، وهذا ما يؤكده الاستاذ الحاج بكل صفاء ووضوح فى كتابه هذا .

جاء فى البيان الذى نشره الحزب الشيوعى العراقى فى نيسان ١٩٥٨ - أى قبل ثورة ١٤ تموز الخالدة - ما يلى : « ... اما بالنسبة للعراق ، فأنا - عندما يتحرر من الاستعمار ومن عبودية حلف بغداد - نتحد ، لاسباب مختلفة ، بالجمهورية العربية المتحدة بشكل اتحاد فدرالى ، ونريد فى الوقت نفسه ، حريات ديمقراطية كاملة لكافة القوى الوطنية التى برهنت على صدق عزمها فى النضال الحازم ضد الاستعمار . نحن نريد هذه الحريات لكى نتمكن من توجيه ضرباتنا المبيدة ضد الاستعمار » . ان موقف الشيوعيين ، فى جميع البلدان العربية ، تجاه الوحدة ، موقف واحد ، موقف صريح ، موقف ثابت ... لم يتغير ولن يتغير .

وفى الفصل الثانى من الكتاب (من هو الشيطان ومن التقى معه ؟) يورد المؤلف نتفا من أقوال مختلف الصحف الاستعمارية التى نشرتها بعد خطاب عبدالناصر الذى القاه فى بور سعيد وهاجم فيه الشيوعيين والديمقراطيين .

فالديلى تلغراف البريطانية كتبت تقول : « ... لقد حقق ناصر بخطاب واحد أكثر مما نأمل ان تحققه المساعى الطويلة للدبلوماسية والدعاية الغربيتين .. اننا يجب ان نرحب بكلماته ! ؟ » .

اما الرينولدز نيوز البريطانية فقد قالت : « ... ما لم نتوصل الى

تراض مع الحكومة المصرية فاننا لا نستطيع ان نأمن على مركزنا في
عدن ولا على مصادرنا النفطية في المشيخات وعبادان » .

واذن فان عطف بريطانيا ليس على الشيوعيين - كما يدعى
عبد الناصر واذنابه - بل عليهم هم بالذات !

اما بالنسبة لموقف حكام الولايات المتحدة وصحافتها فيكفي ان
نثبت ما نشرته جريدة النيويورك هيرالد تريبيون بتاريخ ١٥-١٢-١٩٥٨
اذ قالت : « .. اننا فرحون بالاجراءات التي اتخذها عبد الناصر ضد
الشيوعيين ، لان الشيوعيين هم من أقوى والد أعداء الغرب ... وفي
نفس الوقت هم من أعداء القومية العربية » .

اما كيف يكون الشيوعيون الد أعداء الغرب وفي عين الوقت من
الد أعداء القومية العربية فتفسيره عند (السوب) و (عبد الناصر) !!

وفي القسم الاخير من الكتاب ، قارن المؤلف بين مواقف الجمهورية
العراقية ومواقف حكام العربية المتحدة تجاه الدول الاستعمارية وحلفاءها
- اليابان والمانيا الغربية وايطاليا - وتجاه الربيبة اسرائيل ، فأوضح ،
بما لا يقبل الشك ، من هم الذين يقفون ضد الاستعمار وصنائعه ، ومن
هم الذين يسرون معه .

اننا في الوقت الذي نثمن فيه هذا الكتاب القيم ، نؤكد على
مثقفينا الشرفاء ضرورة مطالعته .

* * *

تيارات سياسية في الحركة الوطنية - نوري عبدالرزاق حسين - المؤسسة

القومية للنشر والتوزيع - القاهرة ١٩٥٨ .

الدكتور عبدالعظم انيس - نزيل معتقلات عبد الناصر الآن - يكتب
مقدمة قيمة لهذا الكتاب . انه يقول : « ... ان المكاسب التي حققتها
ثورة العراق بضربة واحدة كبيرة جدا ، والقطارات التي جرفت الثورة
امامها كثيرة جدا ، وقد تم كل هذا دون توقع الكثيرين في مصر والعالم
بسبب أنهم كانوا يقدرّون دائما ان الرجعية العراقية من اعنى الرجعيات
العربية من جهة وبسبب جهلهم بالحركة الوطنية العراقية وحقائقها وعظمة
تضحياتها والدماء التي قدمتها انتفاضاتها المختلفة بالاضافة الى جهلهم

بالحركة الوطنية في داخل الجيش وفي جبهة الاتحاد الوطني التي ضمت
منذ سنوات كافة الاحزاب الوطنية من اليمين واليسار .

اول ما يطالعك في الكتاب الفصل الموسوم بـ « من احتلال الى
احتلال » وقد شرح المؤلف فيه تاريخ العراق منذ نير العثمانيين ، ومن
ثم تكلم عن نصيب العراق من التغيرات التي طرأت عليه بعد الحرب العالمية
الاولى التي كان من نتائجها تحرره من الامبراطورية العثمانية ليقع فريسة
سهلة بيد الاستعمار البريطاني الذي خدع الشعب العراقي باقامته لبعض
المشاريع العامة ذات الحدين فظاهرها الاصلاح وباطنها تثبيت سلطانهم
على العراق . وقد وجد الاستعمار البريطاني في شخص فيصل بن الحسين
كل الصفات المطلوبة ليجعلوا منه اداة تنفذ ما تؤمر به .

ثم ينتقل المؤلف الى الكلام عن معاهدة ٩٣٠ والنشاط المحموم
الذي بذله العميل نوري السعيد من أجل ابرامها بعد جملة عنيفة من
الارهاب والاجراءات التعسفية التي كان من أبسط مظاهرها الاعتقال
والنفى والتشريد للوطنيين الشرفاء ولكل من يتوقع منه ان يرفع صوت
المعارضة .

وبعد ذلك يتكلم المؤلف عن فكرة تبلور الحركة الوطنية في العراق
بعد فرض معاهدة ٩٣٠ الجائرة على الشعب العراقي والتباعد الذي حصل
بين السلطات الحاكمة والشعب ؛ الشعب الذي لم يسكت أبدا بل ظل
يناضل في جميع الجبهات ويمد يديه لكل المخلصين من ابنائه ممن
يتوسم فيهم القدرة على انقاذه مما هو عليه من بلاء واستعباد .

اما عن انقلاب بكر صدقي عام ٩٣٦ والوزارة الوطنية التي تشكلت
اثر ذلك فقد تكلم المؤلف عن أسباب هذا الانقلاب ونتائجه اذ قال :
« ... ولكن طريق الوزارة الوطنية لم يكن مفروشا بالورد ، ولم يكن
سهلا ، فقد أخذ بكر صدقي الغرور وأصبح يعرقل عمل الوزارة ويتدخل
في شئونها لتحقيق منافع شخصية مما اضطر ثلاثة من الوزراء الى
الاستقالة ... وهكذا تفككت الوزارة ، وفقدت جماهيرها حتى اضطرت
أخيرا الى الاستقالة بعد مقتل بكر صدقي بخمسة أيام فقط » .

وفي الفصل الثاني (العراق بعد الحرب العالمية الثانية) تحدث
المؤلف عن تأثير الوضع العالمي على الوضع الداخلي في العراق وعن
الخصائص الموضوعية التي انطبعت بها الحركة الوطنية فيه خلال تلك

الفترة . كما ناقش في هذا الفصل موضوع الجبهة الوطنية عام ١٩٤٥ - ١٩٤٦ وبيّن أهميتها الموضوعية وضرورتها التاريخية في تلك المرحلة الحرجة وجهود القادة الديمقراطيين من أجل تحقيقها وارساء قواعدها . ومما جاء في تحليل المناضل الكبير الشهيد يوسف سلمان يوسف - فهد - لهذا الموضوع الحيوى قوله : « . . . ان نقطة الالتقاء بين المصالح المشتركة لجميع الديمقراطيين هي الجبهة الوطنية الموحدة . . . الجبهة التى لا تشل نشاط أو نمو أية جماعة من الجماعات ، ولا تحتم على أية جماعة فرض آرائها الاجتماعية والفلسفية والاقتصادية على الجماعات الأخرى . . . » .

وفى معرض كلام المؤلف عن وثبة كانون الثانى ١٩٤٨ يقول : « هناك اجماع عند المناضلين العراقيين على ان ابرز مميزات وثبة كانون الثانى بالنسبة للوثبات السابقة ، انها كانت أكثر اتساعا وشمولا من كل ما سبقها من الوثبات الشعبية والانتفاضات الوطنية . فهى لم تقتصر على الطلاب والعناصر المثقفة ، ولا على جماعات الاحزاب والفئات المنظمة ، ولا على العمال الواعين المنتظمين فى نقاباتهم ومنظماتهم المهنية ، بل كانت حركة شاملة جارفة ، هزت اعماق الجماهير الشعبية وايقظتها ودفعتها الى النضال . . . » .

هكذا وقف الشعب العراقى كله وحدة متينة ضد الاستعمار ؛ ولكن الخلافات الثانوية لم تلبث ان عصفت بهذه الوحدة الوطنية .

ثم جاء « الجزر السياسى فى الحركة الوطنية . . . ونسف مكاسب الوثبة التحررية » . اذ استغل اعلان الحرب الفلسطينية اسوأ استغلال فاعلنت الاحكام العرفية بحجة حماية مؤخرة الجيش العراقى ، فسيق الاحرار الى السجون والمعتقلات ونشطت التحقيقات الجنائية بعد فترة خمول ، وفتحت الزنزانات لتستقبل المئات من المناضلين الاحرار ، وصفيت الحريات الديمقراطية البسيطة التى استطاع الشعب ان يحققها بعد وثبة ١٩٤٨ ، واعدت قادة الحركة الوطنية الابطال (فهد - بسيم - الشيبى) ، واستقطبت الخلافات بين القوى الوطنية . ثم ينتقل المؤلف الى الكلام عن بواعث ومميزات انتفاضة تشرين الثانى ١٩٥٢ وأسباب فشلها التى يعزبها الى ضعف تغلغل الحركة بصورة كافية بين سواد الشعب ، وإلى عدم الدقة فى توقيتها ، اذ ان المدن العراقية لم تنتفض مرة واحدة ، بل كان هنالك طابع التقطع وعدم التجانس . وبالرغم من هذا كله ، فقد حاول

العدو ان يصيب قلب الحركة الوطنية ورأس رمحها وطليعتها الواعية .
ولكن محاولاته هذه باءت بالفشل بسبب محافظة قيادة الحركة الوطنية
على سلامة تنظيماتها . وكان ان لجأ الاذئاب - ومن وراءهم سيدهم
الاستعمار - الى تنظيم هجوم وحشي غادر على السجناء السياسيين في
سجنى بغداد والكوت .

ويجيء نوري السعيد الى كرسى الوزارة « ليقوم باكير دور خياني
في تاريخ العراق فيتخذ من الاجراءات البوليسية ما يتخذ ممهدا بذلك
الطريق لفرض حلف بغداد الاستعماري على الشعب العراقي المناضل » .

وفي عام ١٩٥٧ تتشكل جبهة الاتحاد الوطني التي ضمت جميع
القوى الوطنية للنضال ضد الاستعمار . فتتبلور الحركة الوطنية تبلورا
تامما مما مهد الى تسريع اندلاع ثورة ١٤ تموز الخالدة .

ويختتم المؤلف كتابه بالكلام عن بواغث ثورة ١٤ تموز ونتائجها
والواجبات المترتبة على الجبهة الوطنية خلال هذه الفترة الحرجة من تاريخ
وطننا الحبيب .

لقد وفق المؤلف في عرض بعض أوجه تاريخ الحركة الوطنية في
العراق عرضا موضوعيا ناجحا ، الامر الذي يدفعنا الى التأكيد على اهمية
مؤلفه القيم هذا .

عدنان الحافظ

* * *

ثورة العراق - تأليف : كراكتاكوس - دار النشر : كولانز - لندن

جاءت الثورة العراقية المجيدة في ١٤ تموز ضربة مباغطة قاصمة
للاستعمار العالمي الذي لم يكن ساسته بعقلياتهم البالية ليستطيعوا
تصورها بهذه القوة والجبروت . فانطلقت دوائره ومعظم صحفه تصف
العراقيين بالهمجية والوحشية والانقراض على من احسن اليهم وادخل
اليهم الحضارة وعمر بلادهم . وفي الحقيقة لقد وقفت معظم الصحافة
الغربية موقفا مضادا للثورة العراقية الا انها لم تستطع طمس حقيقة
هذه الثورة العظمى التي كان يتوقعها حتى الذين مكثوا في العراق حقبة
قصيرة من الزمن .

ومن المعلوم ان الحملة الظالمة على العراق قد اشتدت اشتدادا فظيلا

فى الشهرين المنصرمين الا ان الاقلام الحرة انبرت للدفاع عن ثورتنا بكل ما أوتيت من حول وقوة . ففى كانون الثانى الماضى صدر فى لندن كتاب بعنوان « ثورة العراق » بقلم كاتب بريطانى اختار لنفسه اسما مستعارا ، وقد ذكر المؤلف نبذة وجيزة عن نفسه وهى « كراكتاكوس مؤرخ بريطانى عاش سنوات عديدة فى العراق والشرق الاوسط وقد اهتم بدراسة القضايا الاسلامية » .

ان رأى العام البريطانى - كما هو معلوم لدى الكثيرين - لا يعرف عن العراق سوى انه قطر غنى تابع لسياسة الغرب عن طوعية ، الا ان المؤلف يحاول ازالة تلك المفاهيم الخاطئة بسرده رأى العراقيين فى النظام المنقرض والعائلة الملكية المستوردة الفاسدة واحتقارهم لها وافتضاح أمر خدمتها للاستعمار الذى نصبها . ويقول كان النظام المندثر بنظر العراقيين « دولة بوليسية تعزز كيانا من الفساد » ويطنب فى شرح الفساد والغنى الفاحش غير المشروع الذى كانت تتمتع به العائلة المالكة وزبائنتها من الوزراء وأولادهم ومحاسبيهم . وقد ادرك ان الحكومات السابقة قد حاولت ابقاء العراق على وضعه البدائى وذلك لكى تتحكم فيه كيفما تشاء وأورد لذلك قانون العشائر الذى ابتدعته عقلية الانتداب . وعلاوة على ذلك فقد حلل الدولة البوليسية ودور نورى السعيد فى جعلها بتلك الصورة ولم ينس الارهاب والسجون والشنق وموقف السراى وحملات جمع « المشبوهين » التى لحقت بالعراقيين ، وذكر ان العراق لم يتقدم فى ميادين الاعمار كما تزعم الدعايات الغربية التى كانت تفاخر بالاستقرار والرخاء الذى ستجلبه سياسة الاعمار الرشيدة ! ، بل ان النظام الذى يستخدم (٢٤٠٠٠) من الشرطة السرية ويخصص ٧/٥ ملايين دينار لاغراض الشرطة بينما يخصص للتعليم ٦ ملايين دينار لا يمكن ان يكون مستقرا .

يقول المؤلف ان سبب فشل السياسة البريطانية والاميركية فى العراق والشرق الاوسط هو عدم تفهمها لمطالب الشعب العراقى وأمانيه فالبريطانيون المقيمون فى العراق لا يتصلون بالعراقيين الحقيقيين ولا يختلطون معهم ولا يعاملونهم معاملة الند للند . وكذلك الحال مع الامريكان الذين « يفتشون عن أصدقاء الا ان هؤلاء الاصدقاء يجب ان يتأمر كوا وهذا ما لا يفعله العراقيون » ولا عجب ان تبنى السياسة الغربية على اسس مناقضة لمصالح العراقيين لانها لا تبتغى مصلحة العراقيين بل الحفاظ على مصالحها .

ان السياسة البريطانية المحافظة تؤمن بان للشعب البريطاني مستوى يختلف عن مستوى الشعوب « المتأخرة » وانه يأخذ بيد الشعوب تلك ليجعل منها صالحة للحكم « الصحيح » فى وقت ما فى المستقبل !! ويشير المؤلف الى ان الغرض من حلف بغداد ما هو الا المحافظة - بقدر الامكان - على مناطق النفوذ البريطانية السابقة . وعدم فسخ المجال لأمريكا لانتزاع هذه المنطقة منها وتقوية نظام أصدقاء بريطانيا القدماء فى العراق . وقد نجحت الدبلوماسية البريطانية فى ذلك الا ان نجاحها هذا حمل جنين الفشل الذى كان ينتظر هذا الحلف لانه جاء معارضا لمصالح الشعب العراقى .

وفى فصل « انهيار النظام القديم » يتحدث « كراكتاكوس » عن احداث الثورة وكيفية السيطرة على المناطق المهمة وقتل الخونة بيد أبناء الشعب . ويذكر ان الآلات التى تركها هؤلاء الخونة تبرر مיתتهم الشنيعة تلك . وانها لم تكن الا ردا لما اقترفته تلك الايدى الاثيمة من جرائم ويقول « ليس فى بغداد » دهماً محترفة (١) تنتظر مثل هذه المناسبات لتسيرها وفق مشيئتها » وقد دهش من قراءة احدى الرسائل المنشورة فى الصحف الامريكية حول أعمال العنف فى العراق والتى « يهدد مرسلها بالتبرؤ من الجنس البشرى اشمئزاً » فيقول رداً عليه « قال العراقيون الذين قرأوا تلك الانتقادات ، انها لا يمكن ان توجه الينا من مواطنى دولة يصدر فيها حكم الاعدام على زنجى لسرقته أقل من دولارين ، وحيث يقوم المتظاهرون بشنق الملونين والتمثيل بهم سواء اقترفوا دنبا أم لم يقتربوا ، أو يعدمون لجرائم أبسط بكثير من تلك الجرائم التى يتحمل مسؤوليتها ثورى السعيد . وفى مدة قصيرة من ثورة العراق جاءت المظاهرات العنصرية فى انكلترا لتحذر الانكليز بانهم قادرون أيضا على اتيان أعمال العنف . فلم اذن لا نتكلم عن ، دهماً نوئيك هل ، كما نتكلم عن دهماً بغداد ؟ » .

لقد ذكر المؤلف بانه يحاول اظهار حقيقة العراق قبل الثورة وبعدها

(١) عندما تتكلم جريدة « التايمز اللندنية » عن ثورة العراق واحداثها تؤكد على بعض العبارات مثل « عادت دهماً بغداد الى اغتنام الفرصة مرة ثانية الخ . » فتصور لقرائها مناقضة للحقيقة والواقع ان هناك طبقة معينة تحترف القتل والنهب والسلب فى مثل هذه المناسبات ومن المؤسف ان تقوم الصحافة المأجورة فى « القاهرة » و « دمشق » و « بيروت » : بسلوك نفس الطريق !!

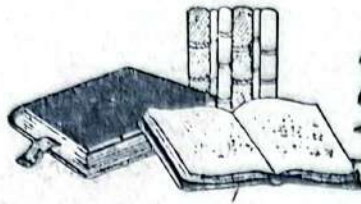
من وجهة النظر العراقية لانه احتك بالعراقيين واختار أصدقاء منهم
وتعرف عليهم معرفة تامة . وان مطالعة الكتاب تبين مدى تفهمه
للعراقيين وإدراكه لقيمة الرأي العام العراقي الذي كان مصيره الإهمال
والتجاهل من قبل الحكومات السابقة ومن ورائها الاستعمار . وقد
تبسّط في شرح ما كانت تعتمل به نفوس العراقيين قبل الثورة من تدمير
واستنكار وانبرى يبدد تلك الصور الشعرية البدائية في الف ليلة وليلة
من مخيلة الاوربيين البسطاء الذين لا يزالون يتصوروننا نعيش في
جوها .

اما عن « بداية العراق الجديد » فقد كتب عنها بكل التفاصيل وحلل
الوضع السياسي في العراق تحليلا موضوعيا وحتى انه اورد بعض مواد
الدستور الموقت التي تساعد في افهام البريطانيين حقيقة الوضع في
العراق . وحاول ان يفهم العقلية الكيشوتية الغربية ان سياسة العراق
التي اعلنها بعد ١٤ تموز هي صداقة جميع الدول ضمن نطاق الامم
المتحدة . وراح يؤكد ان على البريطانيين اذا ارادوا صداقة العرب صداقة
حققة ترك الركن وراء مفاهيم العدوان غير المباشر وغيرها من البدع
الامريكية الجديدة وعليهم - أي على البريطانيين - « ان يتعاملوا مع العرب
باخلاص ونزاهة وشرف لا كما اعتادوا عليه من قبل » .
ومع ان الكتاب لا يصف احداثا غريبة عنا بل حوادث عشناها
كاملة فان ما يحويه من جرأة وصراحة وبساطة يجعله من أحسن ما كتب
الاجانب عن العراق .

عدنان الحميري

تنبيه

- ★ ان مترجم مقال « دروس من تأميم النفط في المكسيك ، هو
السيد صالح جواد وهو غير الدكتور صالح جواد الطعمة فنأسف
لهذا الخطأ غير المقصود .
- ★ ان مجلة « الثقافة الجديدة » تبرد جميع أعدادها الى مشتركيها
فنرجو منهم مراجعة دوائر البريد في مدنهم عند عدم وصولها
اليهم .



في مكتبة الثقافة الحديثة

★ جبهة الاتحاد الوطني - عزيز الشبيخ - منشورات مكتبة النور -

بغداد ١٩٥٩

كراس صغير ، تكلم المؤلف فيه عن اهمية جبهة الاتحاد الوطني وضرورتها القصوى بعد ثورة ١٤ تموز . كما بين ان هناك تياران في حركة التحرر الوطني حول الجبهة الوطنية الموحدة ، الاول : يقوم على أساس الجبهة الوطنية ويقود في طريق الديمقراطية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، والثاني : يقوم على أساس التعسف والحزب الواحد (الاتحاد القومي) ويقود الحركة بمعزل عن الديمقراطية ، بل ضدها . وأخيرا اوضح المؤلف تنظيمات جبهة الاتحاد الوطني واكد بأنها ليست حزبا سياسيا معينا بل اتحادا متينا لعدد من الاحزاب الوطنية المختلفة في أساليب عملها وفي عقائدها الفكرية واهدافها البعيدة ، ولذا لا يمكن للجبهة الاخذ بأسلوب تنظيمي كحزب واحد .

★ قانون الاصلاح الزراعي للجمهورية الصينية الشعبية - منشورات

دار بغداد - بغداد ١٩٥٩

يبحث هذا الكتاب في قانون الاصلاح الزراعي للصين الشعبية الذي صدر في ٣٠ حزيران ٩٥٠ وفي كيفية تحليل المركز الطبقي في الريف ثم القرارات المتخذة حول بعض المشاكل الناجمة عن الاصلاح الزراعي والقواعد العامة لتنظيم الجمعيات الفلاحية التي اقرها المجلس الاداري الحكومي في ١٤ تموز ٩٥٠ . والحق في هذا الكتاب نص التقرير الذي القاه ليو شاوشى - نائب رئيس حكومة الشعب المركزية - في الجلسة الثانية لمجلس الشعب الاستشاري السياسي عند مناقشة هذا القانون .

★ المرأة والثورة - عفيفة رؤوف - منشورات رابطة الدفاع عن حقوق

المرأة - بغداد ١٩٥٩

يقع هذا الكتاب في ٥٦ صحيفة ، وقد قسم الى ثلاثة فصول ،

تكلّمت المؤلفة فى الفصل الاول منه عن ثورة ١٤ تموز وواجب المرأة فى عهد الثورة . وفى الفصل الثانى الموسوم بـ (نضال المرأة فى سبيل الحرية) تطرقت المؤلفة الى تبين مكانة المرأة فى المجتمعات الاقطاعية والرأسمالية وقارنتها بمكانتها فى المجتمع الاشتراكى . واخيرا تكلّمت عن نشاط المرأة فى نضال الشعب ضد الرجعية وعن بدء عملها المنظم فى الاتجاه التقدمى الصحيح وبأسلوبه الشعبى فى العراق منذ سنة ١٩٤٢ حتى ثورة الرابع عشر من تموز .

★ **وجوب اقتران التعليم بالعمل المنتج - لويتنغ - يى - دار النشر**

باللغات الاجنبية - بكين ١٩٥٩ .

هذا الكرس كتبه « لويتنغ - يى » العضو الاحتياطى للمكتب السياسى التابع للجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى ، وقد كتبه على أساس القرار الذى اتخذه المؤتمر التعليمى الذى دعت اليه اللجنة المركزية للحزب ، وقد ألحقت به الملاحظات الضرورية ، ووضعت فى آخر الكراس . اما المضمون فهو ينحصر فى وجوب تطبيق مبدأ اقتران التعليم بالعمل المنتج للقضاء على الفرق بين العمل الذهنى والعمل العضلى وذلك يعنى أيضا القضاء على بقايا الاستثمار التى وجدت فى التاريخ كما تدخل الانسانية الى المجتمع الشيوعى . اننا نلفت أنظار رجال التعليم عندنا الى اقتناء هذا المؤلف الثمين بغية دراسته والوقوف على المفاهيم الواردة فيه .

★ **اسرائيل فى خدمة الاحتكارات الاميريكية - يوسف خطار حلو -**

دار الفكر الجديد - بيروت ١٩٥٩

هذا الكتاب فى الاصل مجموعة مقالات تبين بوضوح - مدعومة بالارقام والبراهين - الدور الذى تلعبه اسرائيل بوصفها اداة بيد الاستعمار العالمى - وبخاصة الاستعمار الاميريكى - ونقطة ارتكاز للاحتكارات الاميريكية ، تغزو منها سوق الشرق الاوسط وتهدد البلدان العربية بالتوسع السياسى والاقتصادى .

والكتاب يضم فصولا عديدة منها : امريكا عملت على انشاء اسرائيل حتى قبل وعد بلفور ، الطغمة الصهيونية اداة عدوان وتجسس وتخریب وتوسع فى ايدى الاستعمار ، مشاريع اسرائيل التوسعية ، اضطهاد العرب القاطنين فى اسرائيل .

☆ الامبريالية - جون آيتون - ترجمة مظهر حلاوي - منشورات مكتبة

حسن مراد - بغداد ١٩٥٩

هذا الكراس في الاصل ، عبارة عن فصل واحد ترجم عن الكتاب الموسوم بـ (الاقتصاد السياسي) والمطبوع في لندن عام ١٩٥٣ ومؤلفه من الكتاب الاقتصاديين التقدميين وقد تكلم فيه عن النقاط التالية :
التركز في الانتاج ، تركيز الانتاج يقود الى الاحتكار ، أنواع الاحتكار ،
الارباح الاحتكارية والاسعار ، الاحتكار والمنافسة ، مدى السيطرة الاحتكارية ، المصارف ورأس المال التحويلي ، تصدير رأس المال .

☆ الصحافي الثائر يوليوس فوجيك - جوستا فوجيكوفا - تعريب

فرات الجواهري - بغداد ١٩٥٩

المؤلفة ، كما لا يخفى على الكثيرين من مثقفينا ، هي زوجة هذا الكاتب الشهير (فوجيك) الذي اعلمه النازيون عن احتلالهم جيکوسلوفاکيا عام ١٩٤٣ ، فهي اذن اقرب الناس اليه ، وقد اوضحت في هذا الكتيب تاريخ حياة هذا الرجل العظيم الذي شب في احضان الطبقة العاملة وتكلمت عن مدى تأثير ثورة اكتوبر الاشتراكية عليه وعن رحلته الى الاتحاد السوفيتي عام ١٩٣٦ ، وعن عمله في هيئة تحرير جريدة (رودى برافو) وأخيرا عن الايام العصيبة التي قضاها في الزنزانة رقم (٢٦٧) في سجن بانكراك التي لبث فيها حوالى العام تحت التعذيب المتواصل الشديد حتى ساعة اعدامه .

☆ رسالة من الهند - ناجي جواد - بغداد ١٩٥٩

هذا الكتاب عبارة عن مجموعة رسائل ارسلها المؤلف الى ابنته « هيفاء » يوم كان يزور الهند عام ١٩٥٥ ، ويتضمن وصفا جذابا لمشاهداته هناك والانطباعات التي تكونت عنده بعد اتصاله بمختلف الافراد الهنود .
فالكتاب اذن لا يتضمن دراسة عن الهند بمعناها الحقيقي ، ولكن هذا لا يمنع من القول ان الوصف والانطباع الذي ثبته المؤلف قد لامس - في بعض الاحيان - مضمون الدراسة الواقعية .

من فصول الكتاب : الهند في موكب التاريخ ، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ، التصنيع ضرورة وطنية لدعم الاستقلال ، نضال المرأة الهندية لتحرير بلادها .

« أبو سحر »



خطاب الاستاذ ابراهيم كبه وزير الاقتصاد في قصر الكرملين
عند توقيع البلاغ عن المحادثات التي اجراها الوفد الاقتصادي العراقي
برئاسته في الاتحاد السوفيتي مؤخرا *

سيادة رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي .. السيد خروشوف المحترم ..

ايها السادة الافاضل ..

انه لشرف عظيم لنا .. نحن اعضاء الوفد الاقتصادي العراقي ان نحظى بهذا الاستقبال
الرسمي الرائع الذي تفضلت حكومتكم الصديقة باقامته لنا بمناسبة انتهاء المفاوضات
الاقتصادية بين بلدينا الى النجاح التام . وتوقيع اتفاقية التعاون الاقتصادي والفني بيننا .
ان السرعة النسبية التي تمت بها المفاوضات في بغداد وموسكو .. والروح الودية
الواعية التي سادتها في جميع مراحلها تدلان دلالة قاطعة على وجود اسس مشتركة وقاعدة
متينة تلتقي عندها كثير من الخطوط العامة لسياسة بلدينا ..

والواقع ايها السادة الافاضل امام اكبر الحقائق السياسية التي اثبتتها التجارب
الانسانية بعد كفاحات مريرة ونضالات شاقة عنيفة ضد قوى الشر والطغيان طيلة قرون
وقرون .. هي ان اختلاف الانظمة الاجتماعية والسياسية بين الامم والشعوب لا يصح ان
يكون مبررا لاثارة النزاعات والحروب .. بل على العكس .. ان هذا الاختلاف في الانظمة
ضرورة تاريخية حتمية تقتضيها المراحل الاجتماعية التي تمر بها سنين التطور الاجتماعي
نفسه ومن هنا أصبحت قضية التعايش السلمي بين الانظمة الاجتماعية والسياسية وقضية
السلام العالمي المرتبطة بها اهم قضايا الساعة على الاطلاق ..

واني ليسرني هنا ان اشيد بمواقف الاتحاد السوفياتي الدولية في هذه القضية
الكبرى .. قضية السلام والتعايش السلمي . ولكن السلام ايها السادة قضية مركبة ..
انها مجموعة مترابطة من عشرات القضايا الاخرى .. انها لا يمكن ان تحل بالاماني
والتمنيات . او تفك بالاحاجي والالغاز انها تستند في ظروفنا العالمية المعاصرة الى مسائل
كبرى ثلاث .. الديمقراطية ، والتحرر وصدقة الشعوب ..

اما الديمقراطية .. فانها النظام الوحيد الذي يمكن ان يثبت دعائم السلام لانه يتيح
المجال لظهور الحقيقة عبر الاخطاء وينظم سبل التطور الطابعي بين الشعوب ويفتح المجال
امام ازدهار الكفاءات وانطلاق القابليات ويسد الطريق امام الفئات المستغلة والاقليات
المتحكمة .. وعلى الجملة فان النظام الديموقراطي هو النظام الوحيد الذي يجعل الحكم من
الشعب والى الشعب ..

واما التحرر من الاستغلال الاقتصادي والسياسي والفكري .. فانه الشرط الذي لا غنى
عنه لسيادة السلام في العالم ولا يمكن لحكومة من الحكومات ان تحمل شعار السلام بيد

وتطعن باليد الاخرى نضالات الشعوب في سبيل تحريرها الكامل .. ومن هنا ايها السادة
اصبح النظام الاستعماري نظاما باليا لا يتلاءم بالرة مع ضرورات هذا العصر .. ولا يتفق
مع الدعوة للسلام العالمي ..

واخيرا فان الصداقة بين الشعوب تكون اليوم جوهر كل سياسة صحيحة تعمل لتدعيم
السلام . لقد اصبح العالم منذ زمن ليس بالقصير بفضل الثورة الصناعية والعلمية وحدة
لا تتجزأ ، فما اجدر ساسة اليوم بالخضوع لهذا الواقع الحتمي .. وتوفير جميع الشروط
المادية والفكرية لتتلاقى شعوبهم وامتزاج حضاراتها وتفاعل امكانياتها والاستفادة المتبادلة
من خبراتها وتجاربها والعمل المشترك للقضاء على اسباب تخلفها وتهديد الطريق لسيطرة
الانسان الكاملة على قوى الطبيعة والمجتمع ..

ايها السادة .. على اساس الادراك الواعي لهذه الحقائق اختطت جمهوريتنا سياستها
فاعلنت منذ مولدها تمسكها بسياسة السلام والتعايش السلمى وتكيف علاقاتها الدولية
على اساس الاخذ بمبادئ باندونج والحياد الايجابي والتعاون الدول المتكافئ واحترام القانون
والعدالة الدوليين والتمسك بميثاق هيئة الامم المتحدة .

والعراق بوصفه جزء من الامة العربية يتابع بثبات سياسة اقصى التضامن والتكافل
مع البلدان العربية المتحررة .. ويساهم بكل ما يملك من جهد في مد يد العون المادى
والادبى للشعوب العربية المكافحة ضد الاستعمار وانطلاقا من الواقع الذى تحيا فيه مختلف
البلدان العربية المجزأة يعالج العراق موقفه من قضية وحدة الامة العربية على الاساس الذى
يضمن تعزيز وحدة الكفاح العربى ضد الاستعمار والرجعية .. ويجلب المزيد من الحرية
والتقدم للعرب . كما يضم تخطيط افضل السبل لبلوغ امتن واجدر الارتباط الذى ياخذ
بنظر الاعتبار الظروف الخاصة بالبلدان العربية ومصالح الجماهير العربية وتيسر بالتالى سير
الامة العربية سيرا ديمقراطيا طبيعيا شطر الوحدة القومية المنشودة ..

اما فى الداخل فيتابع العراق سياسة اشباع طموح الشعب الى الحرية التى حرم منها
دهورا طويلة من العمل بحرية للحفاظ على النظام الجمهورى وصيانة مكاسب الثورة وتطويرها
وبنفس الوقت تلتزم جمهوريتنا بسياسة اقصى الحزم ازاء اعداء الثورة والعاملين ضد
النظام الجمهورى الذى تدعمه جميع جماهير الشعب .

وقد ورثنا من الماضى البغيض تركبة ثقيلة من العبودية والتأخر . قامت حكومة الثورة
بمساندة شاملة من الشعب الى تصفيته تدريجيا بتصميم واقدام .. فابرم قانون الاصلاح
الزراعى ورسمت خطط الاصلاح الشامل لاستثمار ثروات الوطن ولتصنيع البلاد وموازنة
الميزان التجارى وعقدت الاتفاقات التجارية والاقتصادية مع مختلف البلدان الصديقة ويجرى
العمل المتواصل فى شتى الحقول لرفع مستوى الشعب المعاشى والصحى والاجتماعى والثقافى .
وتغمر بلادنا اليوم موجة عارمة من الحماس والاندفاع لتطوير حياة جمهوريتنا من كل
الوجوه وتحقيق نهوض شامل سريع لها . وفى غمرة من الاستبشار والحماس يعمل الشعب
بكل فئاته بمشاركة فعالة من حكومة الثورة ومثابرة دؤوب وارشاد متواصل من زعيم البلاد
ابن الشعب اللواء عبدالكريم قاسم .

ايها الاصدقاء .. كان طبيعيا ان تبادر حكومة الثورة غداة اسقاط النظام القديم فى
العراق الى تصحيح الوضع الشاذ فى العلائق العراقية السوفياتية وازالة كل اثار الجفوة
والقطعية التى اصطنعها ساسة العهد البائد ضد الشعوب الصديقة بما فيها شعوب الاتحاد
السوفياتى .

ومنذ الايام الاولى للثورة افتتحت بين العراق والاتحاد السوفياتى صفحة جديدة من علاقات الصداقة والود . وكان للموقف الكريم الذى اتخذه الاتحاد السوفياتى من ثورتنا ومبادرة حكومته للاعتراف بجمهوريةنا اثر كبير فى تدعيم هذه العلاقات وتطويرها . ومما لا شك فيه ان سياسة التعايش السلمى وعدم التدخل فى الشؤون الداخلية للبلدان الاخرى والتعاون الدولى المتكافى والصداقة النزيهة مع مختلف البلدان التى اتخذها الاتحاد السوفياتى ازاء البلدان الاخرى ولا سيما البلدان العربية كانت ولا تزال الاساس المتين الذى تنهض وتتطور على اساسه علاقات الصداقة والتعاون بيننا وبين الاتحاد السوفياتى ، ان وجودنا معكم هنا وانجاز مفاوضاتنا الاقتصادية وتكليفها بالنجاح التام وعقد الاتفاق الخاص بها وبالنسبة لبلادنا له أهمية قصوى لنجاح خططنا فى اعمار البلاد وضمان التطور والازدهار السريع لاقتصادنا الوطنى ، وانكم تعلمون دون شك ان فى العراق امكانيات واسعة للتقدم فى جانب الثروات الجسيمة الموجودة فى بلادنا . . هناك الايدى العاملة الوفيرة . . هنالك الطاقات الشعبية التى انطلقت بعد الثورة بشكل لم يسبق له مثيل . . الى ذلك ان ثورتنا جاءت حصيلة طبيعية لركام هائل من السخط الشعبى الذى كدسته سنين العبودية المديدة . . فاكسبها مضمونا شعبيا تحرريا عميقا . . وثورتنا كذلك انبثقت كعامل مباشر لعهد كان يستهتر بالشعب ويدوس حقوقه وحرياته بوحشية وشراسة فاكسبها ذلك مضمونا ديموقراطيا تقدما . .

ونتيجة للنضال الدائب المرير الذى خاضه شعبنا . وهو يسعى لاسترداد حقوقه وحرياته المستباحة تملك نفوس الجماهير الواسعة من أبناء شعبنا روح ثورية منطلقة وتعلق شديد بأسباب الديمقراطية والتقدم . ومن هنا نشأت فى عهدنا الجمهورى امكانيات فريدة للتقدم السياسى والاقتصادى والثقافى . . ولتحقيق نهوضا سريعا للبلاد . ان شعبنا وحكومتنا مصممان بقيادة قائدنا وزعيمنا الوفى عبدالكريم قاسم على استثمار هذه الامكانيات وتحقيق هذا النهوض ونحن واثقون بان جمهوريةنا الفتية التى تشغل اليوم مركزا خاصا بين البلدان العربية الشقيقة سوف تلعب دورا طليعيا فى حركة التحرر العربى وتؤدى قسطها الكبير فى ارشاد الامة العربية الى افضل سبل التحرر والتقدم والازدهار .

ايها الاصدقاء . . اسمحوا لى فى الختام باسم جمهوريةنا شعبا وحكومة . وباسم وفدنا المفاوض ان اكرر شكرى لكم على حسن وفادتكم وكرم ضيافتكم وجميل استقبالكم وعلى ابداء التسهيلات لانجاح مهمتنا معكم .

اتفاق تجارى

بين الجمهورية العراقية

واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية

ان حكومة الجمهورية العراقية وحكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية اللتان تحدوهما الرغبة في تطوير العلاقات التجارية بين بلديهما وتوطيدها على مبادئ المساواة والمنافع المتبادلة اتفقتا على مايلي :-

المادة الاولى

ان العلاقات التجارية بين جمهورية العراق واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية تقوم على مبدأ احترام المصالح التجارية المتبادلة .

المادة الثانية

يجرى التبادل التجارى بين الجمهورية العراقية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية على أساس قائمتى السلع « آ » و « ب » المرفقتين .
تتضمن القائمة « آ » السلع المعدة للتصدير الى جمهورية العراق
وتتضمن القائمة « ب » السلع المعدة للتصدير الى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية .

ويجوز تعديل قائمتى السلع « آ » و « ب » باتفاق الفريقين .

المادة الثالثة

تمنح السلطات الحكومية المختصة في البلدين اجازات الاستيراد والتصدير اللازمة للسلع المدرجة فى قائمتى « آ » و « ب » وفق القوانين المرعية .

المادة الرابعة

لا تمس احكام المادة الثانية حقوق مؤسسات التجارة الخارجية السوفياتية وحقوق الاشخاص العراقيين الطبيعيين والحكميين فى عقد صفقات تجارية لاستيراد أو تصدير السلع غير المدرجة فى القائمتين المشار اليهما فى المادة الثانية بشرط مراعاة الانظمة المتعلقة بالاستيراد والتصدير وقيود التحويل الخارجى السائدة فى بلد كل منهما .
وتنظر السلطات المختصة لكلا الطرفين بروح من التعاون الصادق

فى الاستيضاحات المتقابلة المتعلقة باستيراد وتصدير السلع المتعاقد عليها
المشترطة فى هذه المادة .

المادة الخامسة

تحظى السلع المنتجة فى الجمهورية العراقية أو المستوردة منها بالحد
الادنى من الرسوم الكمركية لدى وصولها الى اتحاد الجمهوريات
الاشتراكية السوفياتية ولا تخضع هذه السلع لرسوم استيراد أو ضرائب
أو أجور أعلى من تلك المفروضة على السلع المستوردة من أى بلد ثالث .
وتحظى السلع المنتجة فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية
أو المستوردة منه بالحد الادنى من الرسوم الكمركية لدى وصولها
العراق ولا تخضع هذه السلع لرسوم استيراد أو ضرائب أو أجور أعلى
من تلك المفروضة على السلع المستوردة من أى بلد ثالث .

لا تسرى الاحكام المبينة أعلاه على السلع المستوردة من الجمهورية
العراقية والتي يكون منشؤها بلادا لا تتمتع فى اتحاد الجمهوريات
الاشتراكية السوفياتية بمعاملة أكثر الامم حظوة . كما لا تسرى هذه
الاحكام على السلع المستوردة من اتحاد الجمهوريات الاشتراكية
السوفياتية والتي يكون منشؤها بلادا لا تتمتع فى العراق بمعاملة أكثر
الامم حظوة . كذلك تسرى معاملة أكثر الامم حظوة بالنسبة للأنظمة
والاجراءات الشكلية الكمركية المتعلقة باستيراد السلع وتصديرها
ونقلها بالترانسييت وخرنها ونقلها من واسطة الى أخرى وكذلك بالنسبة
للاجور المتعلقة بها .

المادة السادسة

ان السلع المستوردة من اقليم الجمهورية العراقية الى اتحاد
الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية منقولة بطريق الترانسييت عبر بلد أو
عدة بلدان أخرى وكذلك السلع المستوردة من اتحاد الجمهوريات
الاشتراكية السوفياتية الى إقليم الجمهورية العراقية منقولة بطريق
الترانسييت عبر بلد أو عدة بلدان أخرى تخضع لنفس المعاملة التي تمنح
لها فيما لو سلمت مباشرة من بلد المنشأ أو التصدير .

المادة السابعة

تحظى البواخر التجارية العائدة لأى من الفريقين المتعاقدين
وحمولتها فى الموانئ البحرية للفريق المتعاقد الآخر بمعاملة لا تقل بأية
صورة كانت عن تلك التي تحظى بها البواخر التجارية وحمولتها التابعة
للبلدان التي تتمتع بمعاملة أكثر الامم حظوة . ويمنح الفريقان المتعاقدان

كلا منهما معاملة أكثر الأمم حظوة على وجه المقابلة بالمثل فيما يتعلق بدخول البواخر وخروجها ومكوئها مع حملتها في موانئهما .

المادة الثامنة

لا تسري معاملة أكثر الأمم حظوة المنصوص عليها في هذا الاتفاق على ما يلي :-

- (أ) الامتيازات الممنوحة أو التي ستمنح من قبل أحد الفريقين المتعاقدين لأغراض تيسير تجارة الحدود .
- (ب) المنافع الناشئة عن اتفاقية اتحاد كمركي معقودة أو قد تعقد من قبل أحد الفريقين المتعاقدين .
- (ج) الامتيازات والمنافع الخاصة التي منحتها أو قد يمنحها العراق الى أى من البلدان العربية .
- (د) الامتيازات والمنافع الخاصة التي منحتها أو قد يمنحها في هذا الشأن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية الى أى من البلدان المتاخمة له .

المادة التاسعة

يسعى الفريقان المتعاقدان بكل الوسائل الى توسيع تجارة الترانسيت عبر أراضيهم مراعين في ذلك القوانين والانظمة والقواعد التي تنظم نقل البضائع بطريق الترانسيت والمرعية في بلديهما .

المادة العاشرة

تسدد كافة المدفوعات الجارية بين الاشخاص الطبيعيين والحكميين في الجمهورية العراقية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية بالجنيهات الاسترلينية القابلة التحويل أو بأية عملة يتفق عليها الفريقان . وتجري لهذا الغرض كافة العقود والحسابات المتعلقة بالتجارة بين العراق واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية بالجنيه الاسترليني أو بأية عملة يتفق عليها الفريقان .

المادة الحادية عشرة

يصدق هذا الاتفاق من قبل كل فريق متعاقد وفق تشريعاته . ويصبح نافذاً بعد تبادل وثائق التصديق الذي يتم في بغداد ويبقى الاتفاق سارياً لمدة سنة واحدة من تاريخ نفاذه ويجدد سنة بعد أخرى بصورة تلقائية ما لم ينقضه احد الفريقين تحريراً مبلغاً الفريق الآخر رغبته في ذلك قبل ثلاثة أشهر من انقضاء أى سنة من سنى النفاذ .

واثباتا لذلك وقع هذا الاتفاق الموقعان أدناه المخولان من حكومتيهما
وفق الاصول .

حرر في بغداد بتاريخ ١١ تشرين الاول ١٩٥٨ بنسختين أصليتين
كل منهما باللغة الروسية وباللغة العربية ويعول على كلا النصين .

بتخويل من حكومة الجمهورية العراقية ابراهيم كبة	بتخويل من حكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ايل . يجوف
--	--

ملحق للاتفاقية المعقودة بين الجمهورية العراقية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية في ١١ تشرين الاول ١٩٥٨ الجدول (أ)

السلع المعدة للتصدير من اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية :-

أجهزة معامل ومصانع كاملة
معدات ومكائن لرفع الاثقال ونقلها
مكائن ضاغطة (Compressors) ومضخات (Pumps)
معدات ومكائن للبناء
معدات ومكائن لانشاء الطرق
معدات لاغراض التحريات الجيولوجية
مكائن ومعدات للصناعة النفطية
مكائن ومعدات للطباعة
محركات ومولدات كهربائية
محطات كهربائية متنقلة
محطات كهربائية ديزل
محركات ديزل
ادوات المكائن وادوات صغيرة
المكائن والآلات الزراعية والساحبات
السيارات (سيارات صغيرة وكوريات وانواع خاصة اخرى)
باصات لنقل الركاب
دراجات هوائية وبخارية
معدات ومكائن للسينما
اجهزة راديو وتلفزيون

ادوات لصناعة النظارات
(Geodesic Instruments) ادوات لاغراض المسح
ساعات يدوية وساعات حائط واجهزة علمية
(Ball & rollers bearings) محاور كروية واسطوانية
مكائن وآلات ومعدات اخرى
(Rolled iron & steel products) مصنوعات حديدية وفولاذية
ادوات معمولة من الحديد
(Rolled Aluminium) المنيوم
قابلوات واسلاك
اخشاب منشورة وخشب معاكس
مواد كيمياوية
عقاقير ومواد صيدلانية
ورق للجراند
اسبستوس
(Ceramic Goods) منتجات قيشانية
مكائن الخياطة
لوازم كهربائية وادوات و سلع منزلية
اللدائن (بلاستيك) ومصنوعاتها
معدات صحية
زجاج النوافذ
مصاييح كهربائية
افلام سينمائية وكتب و سلع اخرى
اجهزة التلفون
معدات للسكك الحديدية
الانسجة والخیوط القطنية
الكاشي
المشروبات الكحولية والمواد الغذائية

ملحق للاتفاقية المعقودة بين الجمهورية العراقية

واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية في ١١ تشرين الاول ١٩٥٨

الجدول (ب)

السلع المعدة للتصدير من الجمهورية العراقية :-

التمور
الشعير والحبوب الاخرى
الجلود
المصارين

القطر
الصوف وشعر الماعز
بذور زيتية
التبغ
منتجات أخرى ومواد خام

بروتوكول

خاص بالوضع القانوني للممثلة التجارية لاتحاد

الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية لدى الجمهورية العراقية

لما كانت قوانين اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية تقضى باحتكار الدولة للتجارة الخارجية فقد اتفقت حكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية وحكومة الجمهورية العراقية على ما يلي :-

المادة الاولى

يقوم اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية بتأسيس ممثلة تجارية في الجمهورية العراقية .

المادة الثانية

- تكون مهام الممثلة التجارية لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية لدى الجمهورية العراقية كما يلي :-
- أ - تسهيل وتنمية العلاقات التجارية بين اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية والجمهورية العراقية .
 - ب - تمثيل مصالح اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية في الجمهورية العراقية وذلك في كافة المسائل التي تخص التجارة الخارجية .
 - ج - القيام بالاعمال التجارية بين اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية والجمهورية العراقية .

المادة الثالثة

تتمتع المكاتب والمحلات العائدة للممثلة التجارية بالحصانات الاشتراكية السوفياتية في الجمهورية العراقية ويكون مقرها في بغداد .
تتمتع المكاتب والمحلات العائدة للممثلة التجارية بالحصانات

والامتيازات المعترف بها للمكاتب والمحلات الرسمية الخاصة بالبعثات
الدبلوماسية .

يكون للممثلة التجارية الحق في استعمال شفرة خاصة بها .
يتمتع الممثل التجارى لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية
فى الجمهورية العراقية ونائباه بكافة الحصانات والامتيازات الممنوحة
لاعضاء البعثات الدبلوماسية .

ولما كان مستخدمو الممثلة التجارية رعايا لاتحاد الجمهوريات
الاشتراكية السوفياتية فان رواتبهم التى يتلقونها من حكومة اتحاد
الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية لا تخضع للضريبة المقررة على الرواتب
فى الجمهورية العراقية .

المادة الرابعة

يكون للممثلة التجارية فرع فى البصرة .

المادة الخامسة

تقوم الممثلة التجارية بأعمالها نيابة عن حكومة اتحاد الجمهوريات
الاشتراكية السوفياتية .

تنحصر مسؤولية حكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية
بالصفقات التجارية التى ستعقد أو تكفل فى الجمهورية العراقية بأسم
الممثلة التجارية وتوقع من قبل أشخاص مخولين بذلك . اما الصفقات
التجارية التى تعقد بدون كفالة الممثلة التجارية من قبل أية مؤسسة
سوفياتية تتمتع بموجب تشريعات اتحاد الجمهوريات الاشتراكية
السوفياتية بحقوق الاشخاص الحكيمين المستقلين فان مسؤولية عقدها
تنحصر بالمؤسسات المذكورة فقط ولا يكون تنفيذها ملزما الا فى
ممتلكات المؤسسات المذكورة . ولا تتحمل حكومة اتحاد الجمهوريات
الاشتراكية السوفياتية أو ممثليتها التجارية لدى الجمهورية العراقية أو
أية منظمة سوفياتية أخرى مسؤولية من جراء عقد هذه الصفقات .

المادة السادسة

تحظى الممثلة التجارية بالحصانات والامتيازات الناشئة عن احكام
المادة الثالثة أعلاه فيما يخص أعمالها التجارية عدا الاستثناءات التالية :-

آ - تكون الخلافات المتعلقة بالصفقات التجارية التي عقدها أو كفلتها الممثلة التجارية في أراضي الجمهورية العراقية بموجب المادة الثانية من هذا البروتوكول خاضعة لاختصاص المحاكم العراقية الا اذا نص العقد على خلاف ذلك .

ب - لا يمكن تنفيذ قرار المحكمة القطعي الصادر ضد الممثلة التجارية بشأن الخلافات المذكورة أعلاه الا على البضائع والحقوق والديون التي تملكها الممثلة المذكورة .

المادة السابعة

ان تأسيس الممثلة التجارية لا يمس بأى حال من الاحوال حقوق المؤسسات التجارية العراقية في الابقاء على علاقاتها المباشرة مع مؤسسات التجارية الخارجية السوفياتية لغرض عقد الصفقات التجارية وتنفيذها .

المادة الثامنة

لا تخضع الممثلة التجارية لانظمة التسجيل التجارى . وتنشر الممثلة في المطبوعات التجارية الرسمية التي تصدر في الجمهورية العراقية أسماء الاشخاص الذين تخولهم للتوكل عنها في الدعاوى القضائية وكذلك معلومات عن صلاحيات كل منهم فيما يتعلق بتوقيع الصفقات التجارية التي تعقدها .

المادة التاسعة

ينفذ هذا البروتوكول اعتبارا من تاريخ التوقيع عليه ويبقى سارى المفعول ما لم يبلغ احد الفريقين الآخر بانهاؤه قبل ثلاثة أشهر .
حرر في بغداد بتاريخ ١١ تشرين الاول ١٩٥٨ بنسختين أصليتين كل منهما باللغة الروسية وباللغة العربية ويعول على كلا النصين .

بتخويل من حكومة
الجمهورية العراقية

ابراهيم كبة

بتخويل من حكومة
اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية

ايل . يجوف

اتفاقية للتعاون الاقتصادي والفني

بين الجمهورية العراقية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية

ان حكومة الجمهورية العراقية وحكومة اتحاد الجمهوريات
الاشتراكية السوفيتية استنادا الى العلاقات الودية القائمة بين الجمهورية
العراقية والاتحاد السوفيتي ورغبة منهما في تطوير وتعزيز التعاون
الاقتصادي والفني القائم على مبادئ المساواة وعدم التدخل في الشؤون
الداخلية والاحترام التام للسيادة وللكرامة الوطنية لكلا البلدين اتفقتا
على ما يلي :

المادة الاولى

بغية تشجيع تقدم العراق الاقتصادي واستجابة لرغبات حكومة
الجمهورية العراقية توافق حكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية
السوفيتية على التعاون مع حكومة الجمهورية العراقية في تنفيذ خطط
انشاء الاقتصاد الوطنى العراقى فى حقول التعدين والصناعة الكيماوية
وبناء المكاثن وصناعات اللوازم والعدد الكهربائية والنسيج والمواد
الغذائية والادوية ووسائل النقل والمواصلات والزراعة والرى واستصلاح
الاراضى وكذلك فى أعمال المسوح الاستكشافية الجيولوجية عن المعادن .
أما المشاريع والاعمال التى ستقدم المؤسسات السوفيتية المساعدات
الفنية بشأنها للمؤسسات الحكومية العراقية فهى مدرجة فى الملحق
رقم ١ لهذه الاتفاقية .

المادة الثانية

تنفيذا للتعاون المشار اليه فى المادة الاولى من هذه الاتفاقية تجهز
حكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية بواسطة المؤسسات
السوفيتية المختصة ما يلزم :
للقيام بالتعاون مع المؤسسات الحكومية العراقية باجراء أعمال
المسوح الاستكشافية الجيولوجية والتصاميم والبحوث والتحريات وتجهيز
المعدات والمكاثن مع المجموعة القياسية للادوات الاحتياطية وكذلك

تجهيز أنواع معينة من المواد غير الموجودة في العراق لإنشاء المشاريع وتنفيذ الأعمال المدرجة في الملحق رقم ١ بهذه الاتفاقية .
ولتقديم المساعدات الفنية من قبل الخبراء السوفييت في اختيار مواقع المنشآت وجميع المعلومات الأولية للتصاميم وفي بناء المشاريع بمشورة وإشراف القائمين بتصميمها وفي نصب الأجهزة وتركيبها وضبطها وتشغيل المشاريع التي تقام بمساعدة الاتحاد السوفييتي وكذلك تقديم المساعدة خلال المدة المتفق عليها بين الفريقين في تنظيم استثمارها وفي بلوغ الطاقات الانتاجية المصممة لهذه المشاريع .
ولتقديم المساعدة في تدريب الخبراء العراقيين للعمل في المشاريع التي تؤسس بمساعدة الاتحاد السوفييتي وذلك بإيفاد المدربين الاختصاصيين السوفييت الى العراق وكذلك بقبول العراقيين في الاتحاد السوفييتي لغرض التدريب الفني المهني في المشاريع المماثلة فيما اذا رغب في ذلك الفريق العراقي .

المادة الثالثة

تتعهد حكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية بأن تسلم المؤسسات السوفييتية لحكومة الجمهورية العراقية الخرائط والمواصفات الخاصة بالعمليات الفنية الضرورية لتهيئة ما يلزم لانتاج المواد المطلوبة في المشاريع المؤسسة بمساعدة الاتحاد السوفييتي بموجب هذه الاتفاقية . ويجري تسليم الوثائق المشار اليها آنفا دون مقابل سوى سد النفقات الفعلية التي يقتضيها اعداد هذه الوثائق وتسليمها .
ومن المفهوم ان الوثائق المشار اليها آنفا يجب ان تستعمل داخل الجمهورية العراقية وسوف لا تسلم الى الاجانب أفرادا كانوا أم شخصيات حكومية ولا يجوز الاستثناء من هذا الحكم الا بموافقة المؤسسات السوفييتية ذات العلاقة بكل قضية على حدة .

المادة الرابعة

تقوم حكومة الجمهورية العراقية بواسطة المؤسسات العراقية ذات الشأن بإنشاء المشاريع وتنفيذ الأعمال المدرجة في الملحق رقم ١ بهذه الاتفاقية وتقوم بتمويلها . ومن المفهوم ان تنظيم أعمال البناء والنصب والتركيب وتجهيز المشاريع بالأيدي العاملة وبمواد البناء اللازمة التي قد توجد في العراق وكذلك توفير المشاريع المتممة والمرافق العامة يجب ان يكون في عهدة الفريق العراقي .

وعلى المؤسسات العراقية ان تزود المؤسسات السوفيتية بجميع المعلومات الاولى اللازمة لتصميم المشاريع المدرجة في الملحق رقم ١ بهذه الاتفاقية . اما مواصفات التصميم فيتم الاتفاق عليها ابتداء بين الفريقين .

المادة الخامسة

لغرض تسديد تكاليف المساعدة الفنية التي يقدمها الاتحاد السوفيتي في بناء المشاريع وتنفيذ الاعمال المدرجة في الملحق رقم ١ بهذه الاتفاقية تقدم حكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية الى حكومة الجمهورية العراقية قرضا بمبلغ (٥٥٠.٠٠٠.٠٠٠) روبل (يعادل الروبل الواحد ٢٢٢ر١٦٨.٠ غرام من الذهب الخالص) بفائدة سنوية قدرها ٢٥٪ على ان يستفاد منه خلال سبع سنوات اعتبارا من تاريخ نفاذ هذه الاتفاقية .

- يستخدم القرض المنصوص عليه في هذه المادة للصرف على ما يلي :
- أ - المسموح الاستكشافية الجيولوجية والتصاميم والبحوث والتحريات التي ستقوم بها المؤسسات السوفيتية .
 - ب - المعدات والمكائن اللازمة لانشاء المشاريع ولتنفيذ الاعمال وكذلك المواد المعينة اللازمة للانشاء وغير المتوفرة في العراق والتي يجب تجهيزها من الاتحاد السوفيتي الى العراق وذلك على أساس سى . آى . اف . (C.I.F.) الموانئ العراقية .
 - ج - النفقات التي يتطلبها سفر الخبراء السوفيت الى العراق ذهابا وايابا لاسداء المساعدة الفنية .
 - د - النفقات اللازمة لتدريب العراقيين مهنيين وفنيا في الاتحاد السوفيتي .
 - هـ - النفقات الفعلية لاعداد وتسليم الوثائق الفنية المنصوص عليها في المادة الثالثة من هذه الاتفاقية .
- اذا تغير سعر الروبل بالنسبة للذهب يعدل رصيد القرض تبعا للتغير الحاصل بحيث تظل قيمة الرصيد المذكور مقدرة بالذهب على ما كانت عليه .

اذا قلت النفقات اللازمة لاعمال المسموح الاستكشافية الجيولوجية والتصاميم والبحوث والتحريات وتجهيز المعدات والمكائن والمواد والخدمات الاخرى التي يقدمها الفريق السوفيتي للمشاريع والاعمال المدرجة في الملحق رقم ١ بهذه الاتفاقية عن مبلغ القرض المشار اليه فيتفق

الجانبان فيما بعد على قائمة المشاريع الاضافية التي تقدم بشأنها المساعدات الفنية على حساب المبلغ المتبقى من القرض .

أما في حالة زيادة نفقات الخدمات المقدمة من قبل الجانب السوفييتي على مبلغ القرض المذكور فيسدد المبلغ الزائد من قبل الجانب العراقي عن طريق تسليم بضائع عراقية للاتحاد السوفييتي بموجب شروط الاتفاق التجاري النافذ بين الجمهورية العراقية والاتحاد السوفييتي و/أو بعملة قابلة للتحويل يتفق عليها بين البنك المركزي للجمهورية العراقية وبنك الدولة للاتحاد السوفييتي .

المادة السادسة

تسدد حكومة الجمهورية العراقية مبالغ القرض المستخدمة لكل مشروع والمقدمة وفق المادة الخامسة من هذه الاتفاقية باثني عشر قسطا سنويا متساويا على ان يستحق القسط الاول بعد سنة واحدة من انتهاء الاتحاد السوفييتي من تسليم جميع المعدات المنصوص عليها في العقود الخاصة بهذا المشروع .

وفي الاحوال التي لا تتصل فيها المساعدة الفنية بشأن أى مشروع من المشاريع بتسليم الاجهزة والمعدات بصورة كاملة من الاتحاد السوفييتي تسدد مبالغ القرض المستخدمة من قبل الجانب العراقي ضمن مدة الاثني عشر عاما ابتداء من تاريخ تقديم قائمة الحساب للاموال التي تنجزها المؤسسات السوفييتية .

ان الفوائد على القرض تترتب من تاريخ استعمال الجزء المختص من القرض ويستحق دفعها خلال الربع الاول من السنة التالية التي تترتب فيها تلك الفوائد .

ويعتبر تاريخ استعمال القرض لتسديد اثمان المعدات والمكانن والمواد هو تاريخ قائمة شحنها كما يعتبر تاريخ تقديم قائمة الحساب تاريخا لاستعماله لتسديد مصاريف التصاميم والمسوح الاستكشافية الجيولوجية والاعمال الاخرى الى جانب نفقات سفر الخبراء السوفييت من والى العراق مع نفقات التدريب المهني الفني للعراقيين في الاتحاد السوفييتي وسائر النفقات الاخرى .

المادة السابعة

ان تسديد القرض والفائدة المترتبة عليه يجرى من قبل حكومة الجمهورية العراقية بقيد المبالغ القابلة بالدنانير العراقية (الدينار العراقي

الواحد يعادل ٢٤٨٨٢٨ غرام من الذهب الخالص) فى حساب خاص
يفتحه البنك المركزى العراقى باسم بنك الدولة للاتحاد السوفييتى .
يجرى تحويل الروبلات الى الدينار العراقية على أساس مقدار
الذهب فى الروبل والدينار يوم التسديد ويمكن استخدام المبالغ
الموجودة فى هذا الحساب من قبل الاتحاد السوفييتى لشراء البضائع
العراقية حسب شروط واحكام الاتفاق التجارى النافذ المفعول بين
الجمهورية العراقية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية و/أو
يمكن تحويلها الى أية عملة قابلة للتحويل يتفق عليها بين البنك المركزى
العراقى وبنك الدولة للاتحاد السوفييتى .
وعند تحويل الدينار العراقية الى أية عملة قابلة للتحويل يجرى
تقييم الدينار العراقية بهذه العملة على أساس مقدار الذهب فى كل منهما
يوم التحويل .
يعاد تقييم رصيد بنك الدولة للاتحاد السوفييتى فى حسابه لدى
البنك المركزى العراقى عند حصول أى تبدل فى سعر تعادل الدينار
بالذهب وبنفس نسبة هذا التبدل .

المادة الثامنة

لغرض تنظيم تسجيل المبالغ المستعملة من القرض الممنوح بموجب
هذه الاتفاقية وتسديدات القرض المذكور وتسديدات الفوائد المترتبة
عليه يفتح البنك المركزى العراقى وبنك الدولة للاتحاد السوفييتى كل
منهما لصالح الآخر حسابات قرض خاصة ويضعان مشتركا الترتيبات
الفنية لتمشية هذه الحسابات .

المادة التاسعة

تدفع حكومة الجمهورية العراقية الى الجانب السوفييتى جميع
النفقات التى تتحملها المؤسسات السوفييتية بشأن ايفاد الخبراء
السوفييت الى العراق لبدء المساعدة الفنية فى تأسيس المشاريع
المنصوص عليها فى الملحق رقم ١ بهذه الاتفاقية باستثناء مصاريف
سفرهم الى العراق ومنه وذلك بقيد المبالغ المنصوص عليها فى العقود
بالدينار العراقى فى حساب مستقل من قبل البنك المركزى العراقى
باسم بنك الدولة للاتحاد السوفييتى لصالح المؤسسات السوفييتية .
ويمكن استعمال المبالغ المقيدة فى هذا الحساب لتغطية النفقات
الجارية للمؤسسات السوفييتية فى العراق أما الرصيد غير المستعمل

فيمكن تحويله الى أية عملة قابلة للتحويل يتفق عليها بين البنك المركزي العراقي وبنك الدولة للاتحاد السوفييتي .

المادة العاشرة

تعرب حكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية عن استعدادها لتلبية طلبات حكومة الجمهورية العراقية لشراء الادوات الاحتياطية في الاتحاد السوفييتي (بالاضافة الى المجموعة القياسية المجهزة مع المعدات) وكذلك الانواع المعينة من المواد الخام اللازمة للتشغيل الاعتيادي للمشاريع المنشأة بمساعدة الاتحاد السوفييتي . ويجرى تسليم الادوات الاحتياطية والمواد الخام في اطار الاتفاق التجاري النافذ بين الجمهورية العراقية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية .

المادة الحادية عشرة

ان القيام بأعمال المسوح الاستكشافية الجيولوجية والتصاميم والبحوث والتحريرات وتجهيز المعدات والمكائن والمواد من الاتحاد السوفييتي وايفاد الخبراء السوفييت الى العراق وتدريب العراقيين فنيا ومهنيا وكذلك تقديم الفريق السوفييتي أنواعا أخرى من المساعدة الفنية وفق هذه الاتفاقية يجرى بموجب عقود تتفق عليها المؤسسات العراقية والمؤسسات السوفييتية المختصة والمخولة بذلك حسب الاصول من قبل حكومتى البلدين .

وتحدد هذه العقود المجالات والمواعيد والاسعار وضمانات المعدات والمكائن ومطابقتها لطاقتها الانتاجية المصممة ومسؤوليات الجانبين عند حصول أحوال القوة القاهرة وغيرها من الشروط التفصيلية الاخرى المتعلقة بتنفيذ التزامات الجانبين بموجب هذه الاتفاقية . وتحدد اسعار المعدات والمكائن والمواد التي ستسلم للعراق بموجب هذه الاتفاقية وكذلك اسعار البضائع العراقية التي ستسلم للاتحاد السوفييتي تسديدا للقرض والفائدة المترتبة عليه على اساس اسعار السوق العالمية

المادة الثانية عشرة

يعرب الجانب السوفييتي بالاضافة الى تقديمه المساعدة الفنية لانشاء المشاريع على حساب القرض المنصوص عليه في الاتفاقية الحالية عن موافقته عند طلب الجانب العراقي على تقديم المساعدة الفنية في

تأسيس المشاريع الصناعية والزراعية وغيرها المنصوص عليها في الملحق رقم ٢ لهذه الاتفاقية . ويجرى تسديد النفقات التي تتحملها المؤسسات السوفياتية بشأن تقديم المساعدة الفنية في اقامة هذه المشاريع من قبل الجانب العراقى بواسطة تسليم البضائع للاتحاد السوفياتى بموجب شروط الاتفاق التجارى العراقى السوفياتى النافذ المفعول و / او بعملة قابلة للتحويل . اما مجالات وانواع المساعدة الفنية التي تقدمها المؤسسات السوفياتية فيما يتعلق بهذه المادة فتحدد بواسطة اتفاقيات اضافية وعقود لاحقة بين الجانبين .

تبرم هذه الاتفاقية باقصر مدة ممكنة وتصبح نافذة المفعول من تاريخ تبادل وثائق الابرارام الذي سيجرى في بغداد .

حرر في مدينة موسكو بتاريخ ١٦ مارت ١٩٥٩ في نسختين أصليتين كل منهما باللغتين العربية والروسية ولكل من النصين نفس القوة القانونية .

نيابة عن حكومة الجمهورية العراقية
نيابة عن حكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية

★ ★ ★

البيان العراقى السوفياتى

لقد اقام وفد حكومة الجمهورية العراقية في الاتحاد السوفياتى من ٢٣ شباط الى ١٦ مارت ١٩٥٩ . وفى خلال ذلك دخل في محادثات مع ن . س . خروشوف رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفياتى وأى . آى . ميكويان النائب الاول لمجلس الوزراء السوفياتى .

لقد عبر الفريقان عن رغبتهما في تطوير التعاون الودى بين الاتحاد السوفياتى والجمهورية العراقية على أساس من الاحترام المتبادل للسيادة والمساواة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لكليهما كما اعربا عن ثقتهما بأن هذا التعاون سيساعد على تعزيز السلام واستتباب الامن في الشرقين الادنى والاوسط . وقد أشار وفد الحكومة العراقية الى ان الجمهورية العراقية في علاقاتها مع الدول الاخرى انما تهتدى بمبادئ باندونغ السلمية واتباع سياسة الحياد الايجابى والتضامن العربى والكفاح ضد النظام الاستعمارى بالتعاون المخلص مع الدول الاخرى المحبة للسلام والمعادية للاستعمار .

كذلك اعرب الفريقان عن عزمهما على الدفاع عن قضية السلام

والتعاون بين الامم وفق ميثاق هيئة الامم المتحدة .
ان المصالح المشتركة للفريقين تتلخص كذلك في الكفاح ضد
الاستعمار وخاصة الاقطار الآسيوية الافريقية واسناد جميع الاقطار غير
المتحررة في كفاحها من اجل الاستقلال والسيادة الوطنية .
هذا وقد ساد الاجتماعات بين زعماء الدولة السوفياتية وأعضاء
وفد حكومة الجمهورية العراقية جو من الود والصداقة والتفهم الصحيح
المتبادل .

وخلال زيارة الوفد الحكومي للجمهورية العراقية للاتحاد
السوفياتي قام الوفد بمفاوضات حول مسائل التعاون الاقتصادي والفني
بين الاتحاد السوفياتي والجمهورية العراقية في حقول الصناعة والزراعة
والرى والصحة وتدريب الخبراء العراقيين .

وقد مثل الفريق السوفياتي في المفاوضات وفد حكومي يتألف
آى . آى . كوزمن نائب رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفياتي رئيسا
للفد وای . جى . كابانوف وزير الاتحاد السوفياتي وایس . آى .
سكاجكوف رئيس لجنة الدولة للعلاقات الاقتصادية الخارجية في مجلس
وزراء الاتحاد السوفياتي وایس . آى . بوريسوف النائب الاول لوزير
التجارة الخارجية وفي . آيس . سيميyanوف نائب وزير الشؤون
الخارجية وبى . آى . ماليتين نائب رئيس لجنة الدولة للعلاقات الاقتصادية
الخارجية في مجلس وزراء الاتحاد السوفياتي وام . آى . ايفانوف نائب
رئيس لجنة الدولة للكيما في مجلس وزراء الاتحاد السوفياتي وبى .
آيس . كوجوموف نائب وزير الزراعة للاتحاد السوفياتي وای . فى .
جوشين عضو مجلس الدولة للتخطيط في الاتحاد السوفياتي وای . أم .
دمجانوفيج نائب رئيس مجلس التخطيط في جمهورية روسيا السوفيتية
الاشتراكية الاتحادية وجى . تى . زايترزيف سفير الاتحاد السوفياتي
لدى الجمهورية العراقية .

ومثل الفريق العراقي في المفاوضات برئاسة كل من السيد ابراهيم
كبه وزير الاقتصاد والدكتور طلعت الشيباني وزير الاعمار والدكتور
اللواء محمد الشواف وزير الصحة وعضوية كل من السيد عبدالفتاح
ابراهيم المدير العام لمصلحة مصافى النفط الحكومية بوزارة الاقتصاد
والدكتور محمد سلمان حسن سكرتير مجلس الاعمار والدكتور أنور
الاوقاتى مدير المستشفى الجمهورى بوزارة الصحة والدكتور جميل ثابت
مدير الصناعة العام بوزارة الاقتصاد والسيد رشيد مطلق مدير المصايف

العام بوزارة الاعمار والسيد محمد علي البغدادي رئيس مهندسي محطة
الاذاعة بوزارة الارشاد والسيد جميل توما المفتش العام لمديرية السكك
الحديدية العامة بوزارة المواصلات والاشغال والسيد علي هادي الجابر
مساعد رئيس الهيئة الفنية الثالثة بوزارة الاعمار والسيد موفق البدرى
معاون رئيس مهندسي الري في الهيئة الفنية الاولى بوزارة الاعمار والسيد
نجم قوجه قصاب رئيس قسم الكهرباء في الهيئة الفنية الثالثة بوزارة
الاعمار .

وقد تكللت المفاوضات بالنجاح فتم التوقيع على اتفاقية للتعاون
الاقتصادي والفنى بين اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية
والجمهورية العراقية . ان هذه الاتفاقية تنص على ان الحكومة السوفياتية
ستتعاون مع حكومة الجمهورية العراقية في تنفيذ مشاريع اعمار الاقتصاد
الوطنى العراقى فى حقول الصناعة والزراعة والنقل . وسوف يقدم
الاتحاد السوفياتى للجمهورية العراقية المعونة الفنية فى تأسيس عدد من
المشاريع من الصناعة الثقيلة وبناء المكاين والصناعة الكيماوية
وصناعة الاغذية والصناعات الخفيفة . هذا وسيقوم الخبراء السوفيات
بعدد من أعمال التحرى فيما يخص توسيع مشاريع الري وأعمال
الاستكشاف الجيولوجى وتصميم بناء السكك الحديدية . كما ان الاتحاد
السوفياتى سيساعد الجمهورية العراقية فى تدريب الخبراء العراقيين .
ورغبة فى تسريع التطور الاقتصادى فى الجمهورية العراقية
واستجابة لرغبة الفريق العراقى وضعت الحكومة السوفياتية تحت
تصرف الجمهورية العراقية اعتمادا بمبلغ ٥٥٠ مليون روبل بفائدة قدرها
٢٥٪ سنويا وذلك تحقيقا لاغراض هذه الاتفاقية .

وسوف تسدد حكومة الجمهورية العراقية الاجزاء المستعملة من
الاعتماد لكل من المشاريع المذكورة فى اثنى عشر قسطا سنويا يستحق
اولها بعد مضى سنة من انتهاء الاتحاد السوفياتى من تسليم الاجهزة
والمعدات المنصوص عليها فى العقود الخاصة بها .

كذلك تنص الاتفاقية على ان الاتحاد السوفياتى عند طلب حكومة
الجمهورية العراقية سيقدم مساعدته لها فى انشاء عدد من المشاريع
الصناعية والقيام بالدراسات فى الحقول المختلفة على ان تدفع الحكومة
العراقية النفقات التى يتحملها الجانب السوفياتى وفق الاتفاق التجارى
العراقى السوفياتى النافذ المفعول .

لقد تم توقيع الاتفاقية بالنيابة عن الحكومة السوفياتية من قبل

آى . آى . كوزمين نائب رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفياتى وبالنيابة عن حكومة الجمهورية العراقية من قبل السيد ابراهيم كبة وزير الاقتصاد والدكتور طلعب الشيبانى وزير الاعمار .

وقد صرح الفريق العراقى بانه يعتبر توقيع هذه الاتفاقية كخطوة جديدة للتعاون الودى بين الاتحاد السوفياتى والجمهورية العراقية وان هذا التعاون سيساهم فى حل مشاكل البلاد الاقتصادية وفى تسريع التغلب على التركة الثقيلة الموروثة من عهد الاستعمار وفى تعزيز استقلال البلاد الاقتصادية ورفع مستوى الحياة المادى والثقافى للشعب العراقى . كما أكد الوفد الحكومى السوفياتى على ان التعاون الاقتصادى والفنى بين الاتحاد السوفياتى والجمهورية العراقية سوف يجرى بدون أى شروط سياسية أو غيرها من شأنها ان تمس سيادة الجمهورية العراقية وكرامتها الوطنية وان الجانب السوفياتى سوف يهتدى فى هذا التعاون بمبادئ المساواة والمنفعة الاقتصادية المتبادلة وعدم التدخل فى الشؤون الداخلية .

وبنفس الوقت أعرب كلا الجانبين خلال المفاوضات عن رغبتهما لتطوير علائق الصداقة والود ليس فقط فى ميدان المعونة الاقتصادية والفنية بل أيضا على أساس توسيع العلاقات التجارية الاعتيادية المتبادلة .

★ ★ ★

الملحق رقم ١

بالاتفاقية العراقية السوفياتية
المعقودة فى ١٦ مارت ١٩٥٩

قائمة

بالمشاريع والدراسات التى بموجبها تقدم

المؤسسات السوفياتية المعونة الى مؤسسات الحكومة العراقية

الرقم تعريف المشاريع والدراسات ومميزاتها الرئيسية
ونوعية المعونة الفنية

١ - معمل الفولاذ من انقاض الحديد بسعة انتاج سنوية قدرها (٦٠٠٠٠) ستون الف طن من المنتجات المطروقة المتوسطة والصغيرة من الفولاذ على ان يعمل قسم الطرق بثلاث وجبات . يشتمل المعمل

على ورشة لسباكة الحديد الصلب بسعة خمسة آلاف طن من
الانابيب الحديدية وخمسة آلاف طن من حديد الساقية (جانيلد)
في السنة .

أعمال التصميم ١٩٦٠ - ١٩٦٢ تسليم التجهيزات
١٩٦١ - ١٩٦٣ .

٢ - معمل الاسمدة النتروجينية بسعة (٦٠٠٠٠) ستين ألف طن من
الامونيات سنويا من ثم تحويلها الى نترات الامنيوم وكبريتات
الامنيوم .

الابحاث ١٩٥٩ - ١٩٦٠ أعمال التصميم ١٩٦٠ - ١٩٦٢
تسليم التجهيزات ١٩٦٢ - ١٩٦٤ .

٣ - معمل الكبريت وحامض الكبريتيك بسعة أقصاها (١١٠٠٠٠)
ماية وعشرة آلاف طن من حامض الكبريتيك و (٦٥٠٠٠) خمسة
وستين ألف طن الكبريت سنويا .

الابحاث ١٩٥٩ - ١٩٦٠ أعمال التصميم ١٩٦٠ - ١٩٦٢
تسليم التجهيزات ١٩٦٢ - ١٩٦٤ .

٤ - معمل المواد المضادة للحياة (انتيبايوتيكس) والمستحضرات
الصيدلانية بسعة انتاج سنوية :

بنسيلين ٥٥ طن

ستربتومايسين ٥٥ طن

بيومايسين ٦٥ طن

الصبغات والمستخلصات (السائلة والجافة

والمركزة) ٨٠٠ طن

المراهم والمعاجين ٢٥٠ طن

الحبوب ١٠٠ طن

المجلات (الامبولات) ٤٠ مليون قطعة

أعمال التصميم ١٩٥٩ - ١٩٦٠ تسليم التجهيزات
١٩٦٠ - ١٩٦١ .

٥ - معمل انتاج المكائن والمعدات الزراعية وقطع الغيار بسعة
انتاجية سنوية :

مكائن زراعية ١٢ ألف طن (٣٠ ألف قطعة)

قطع غيار ٢٠٠٠ طن

عدد وأدوات يدوية ١٠٠٠ طن

مسابكات لمشاريع أخرى ٢٠٠٠ طن

الابحاث ١٩٥٩ - ١٩٦٠ أعمال التصميم ١٩٦٠ - ١٩٦١ تسليم
التجهيزات ١٩٦١ - ١٩٦٢ .

٦ - معمل اللوازم والعدد الكهربائية ينتج سنويا :
محولات كهربائية بطاقة ١٠٠٠ كيلو وات وتبلغ السعة الكلية
لهذه المحولات ١٠٠٠٠٠ كيلو وات .
محركات كهربائية بطاقة اقصاها ١ كيلو وات ٥٠٠٠٠ قطعة .
محولات كهربائية بطاقة اقصاها ٥٠ كيلو وات ٢٥٠٠٠ قطعة .
مولدات كهربائية بطاقة اقصاها ٥٠ كيلو وات ٢٠٠٠ قطعة .
أجهزة ذات فولتية واطئة تناسب السعة الانتاجية للعمل .
وسيزود المعمل بورشة لتصليح المحولات والمحركات الكهربائية
لغاية ٢٠٪ من سعة انتاج المعمل .

الابحاث ١٩٥٩ - ١٩٦٠ أعمال التصميم ١٩٦٠ - ١٩٦٢
تسليم التجهيزات ١٩٦١ - ١٩٦٢ .
٧ - معمل المصاييح الكهربائية بسعة اقصاها ١٥ مليون مصباح في
السنة ويشمل :

٨ ملايين مصباح بقدرة اقصاها ١٠٠ وات
٧ ملايين مصباح بقدرة اقصاها ٢٠٠ وات
٢ مليون مصباح وهاج (فلوريسينت) .
الابحاث ١٩٥٩ - ١٩٦٠ أعمال التصميم ١٩٦٠ - ١٩٦٢
تسليم التجهيزات ١٩٦١ - ١٩٦٢ .

٨ - محطة اذاعة تشمل على أربع مرسلات قدرة كل منها ١٠٠ كيلوات
على ذبذبات الموجة القصيرة في منطقة بغداد .

٩ - معمل الزجاج بسعة (٨٣) طن من منصهر الزجاج يوميا لصنع
القناني والعلب والمصنوعات الزجاجية وزجاج النوافذ .
الابحاث وأعمال التصميم ١٩٥٩ - ١٩٦٠ تسليم التجهيزات
١٩٦١ - ١٩٦٢ .

١٠ - معمل المنسوجات القطنية بسعة (٦٠٠٠٠) ستين الف مغزل
بالاضافة الى مكائن النسيج والتكملة لانتاج (٣٠) مليون متر طولي
من الاقمشة القطنية و (١١٠٠) طن من الخيوط القطنية في السنة .
الابحاث ١٩٥٩ أعمال التصميم ١٩٦٠ - ١٩٦١ تسليم

التجهيزات ١٩٦١ - ١٩٦٢ .
١١ - معمل المنسوجات الصوفية لصنع ١٧ - ٢ مليون متر مربع من

المنسوجات الصوفية فى السنة بالاضافة الى ورشة لغسل الصوف .
الابحاث وأعمال التصميم ١٩٥٩ - ١٩٦٠ تسليم التجهيزات

١٩٦١ - ١٩٦٢ .

١٢- معمل (التريكو) لصنع ٦ ملايين زوج من الجواريب القصيرة والطويلة و ٣٨ مليون قطعة من الالبسة الداخلية و ١٠ مليون قطعة من الالبسة الخارجية فى السنة (١) .

الابحاث وأعمال التصميم ١٩٥٩ - ١٩٦٠ تسليم التجهيزات

١٩٦٠ - ١٩٦١ .

١٣- معمل خياطة مجهز بـ ١٣٠ ماكينة ذات وظائف متنوعة لخياطة (٣٠٠٠٠٠٠) متر من القماش سنويا .

الابحاث وأعمال التصميم ١٩٥٩ - ١٩٦٠ تسليم التجهيزات

١٩٦١ .

١٤- الاعمال الجيولوجية :

(أ) مسح جيولوجى بمقياس ١/٢٠٠٠٠٠ لجميع الاراضى العراقية وأعمال البحوث الاستكشافية فى المناطق المجدية .

(ب) الاعمال المغناطيسية لمساحة ٥٠٠ كم^٢ بمقياس ١/٢٥٠٠٠ ومسح تفصيلي للمناطق المجدية .

(ج) أعمال سيسميكية على سطح الارض والتي بموجبها يتم الحفر الاستكشافى لمنطقة جرى باك فى مساحة اقصاها ٢٠٠ كم^٢ وفى المساحات المجدية من المياه الدولية .

(د) أعمال البحوث الاستكشافية عن الفوسفات والكبريت .

مدة المعونة الفنية يحددها ويتفق عليها الطرفان

١٥- مركز تصليح الاجهزة الجيولوجية ومختبر للاعمال الاستكشافية الجيولوجية .

(تسليم التجهيزات والخدمات الاخرى) مدد المعونة الفنية

يحددها ويتفق عليها الطرفان .

١٦- سايلوان كرنكريتيان سعة كل منهما ١٢ الف طن من ناقلتين حمولة كل منهما ١٠٠ طن فى الساعة .

الابحاث وأعمال التصميم ١٩٥٩ - ١٩٦٠ تسليم التجهيزات

١٩٦٠ - ١٩٦١ .

(١) يحدد الانتاج أثناء اعداد التصميم .

١٧- معمل التعليب - لتحضير وتعليف الخضروات والفواكه واللحوم بسعة اقصاها ٣ ملايين علبة سنويا ومخزن تبريد سعته خمسين طن .

الابحاث وأعمال التصميم ١٩٥٩ - ١٩٦٠ تسليم التجهيزات ١٩٦٠ - ١٩٦١ .

١٨- المساعدة الفنية لتأسيس خمس مزارع حكومية وهي :
مزرعة البنجر السكري (لا تتجاوز مساحتها المزروعة ٢٥٠٠ هكتار)
ومزرعة الرز (لا تتجاوز مساحتها ٣٠٠٠ هكتار) ومزرعة النباتات الطبية (لا تتجاوز مساحتها ٢٠٠ هكتار) .

محاصيل الحبوب الديمية (لا تتجاوز مساحتها ١٠٠٠٠ هكتار) .
ومزرعة القطن (لا تتجاوز مساحتها المزروعة ٣٠٠٠ هكتار)
الابحاث وأعمال التصميم وتسليم التجهيزات ١٩٥٩ - ١٩٦٠ .
١٩- المساعدة الفنية لتأسيس أربع محطات لتأجير التركتورات منفصلة أو ملحقة بالمزارع الحكومية لخدمة مزارع الفلاحين على ان لا تتجاوز مجموع التراكتورات فيها المائة تراكتور .

الابحاث وأعمال التصميم وتسليم التجهيزات ١٩٥٩ - ١٩٦٠ .
٢٠- بزل أراضي الري في جنوب العراق لمساحة ١٥ مليون هكتار .
الابحاث وأعمال التصميم ١٩٥٩ - ١٩٦٥ .

٢١- اعداد لاستغلال مياه حوض دجلة للري والملاحة وتوليد القوة الكهربائية .

الابحاث وأعمال التصميم ١٩٥٩ - ١٩٦٣ .

٢٢- اعداد مشروع لاستغلال مياه حوض الفرات .

الابحاث وأعمال التصميم ١٩٥٩ - ١٩٦٣ .

٢٣- تحسين الملاحة النهرية .

نهر دجلة (قسم بغداد - بصرة حتى مصب شط العرب)
ونهر الفرات (قسم هيت - بصرة) .

الابحاث واعداد التصاميم فيما يتعلق بمشاريع الاسبقية من الدرجة الاولى وتسليم التجهيزات للابحاث ١٩٥٩ - ١٩٦٠ .

٢٤- خط سكة حديد بغداد - بصرة (تحسين الخط الحديدي الضيق الموجود حاليا وانشاء خط حديدي عريض) .

الابحاث وأعمال التصميم ١٩٥٩ - ١٩٦٢ تسليم التجهيزات والابحاث ١٩٥٩ - ١٩٦٠ .

٢٥- خط سكة حديد كركوك - سلیمانیة
الابحاث وأعمال التصميم ١٩٦٠ - ١٩٦٢ تسليم التجهيزات
للابحاث ١٩٦٠ .
ملاحظة : (١) يمكن تغيير مجال المعونة الفنية بالنسبة للمشاريع
والدراسات المذكورة أعلاه باتفاق الطرفين ضمن حدود
القرض المنصوص عليه في هذه الاتفاقية .
(٢) عند القيام بوضع التصاميم تأخذ المؤسسات السوفياتية بنظر
الاعتبار رغبة الجانب العراقي في تسلمه الوثائق الفنية وذلك
لغرض التسريع في المباشرة ببناء المشاريع المطلوبة .

★ ★ ★

الملحق رقم ٢
بالاتفاقية العراقية السوفياتية
المعقودة في ١٦ مارس ١٩٥٩

قائمة بالمشاريع والدراسات التي تقدم المؤسسات السوفيتية بموجبها المساعدة الفنية الى مؤسسات الحكومة العراقية

- الرقم تعريف المشاريع والدراسات ومميزاتها الرئيسية
- ١ - معمل الصودا الكاوية بالتحليل الكهربائي سعته كما يلي :
٢٢٤٠٠ طن سنوياً من الصودا الكاوية و ٢٠٠٠ ر. طن من
الكلور في السنة ومن ثم تحويل الكلور الى المسحوق القاصر
وكلوريد الحديدك وكلورات البوتاسيوم وحامض الكلوردريك
والكلور السائل .
 - ٢ - معمل البلاستيك بسعة اقصاها ٢٠٠٠ ر. طن من بولي فينيل كلورايد
و ٢٠٠٠ ر. طن من البولي اثيلين في السنة .
 - ٣ - معمل بناء وتصليح السفن النهرية سعته الانتاجية ١٠ سفن قدرة
كل منها ٤٠٠ حصان و ١٠ دواب في السنة .
 - ٤ - ورشة تجمع عربات القطار في المعامل المركزية لسكك الحديد في
بغداد لانتاج ٣٠٠ عربة في السنة (جميع فقط) .
 - ٥ - المعونة الفنية لبناء وتسليم التجهيزات للانشاءات اللازمة لضبط
مياه أعالي الفرات .

- ٦ - المعونة الفنية لبناء وتسليم التجهيزات لعدد من المنشآت على نهر دجلة لتحسين الري والملاحة واستغلال الطاقة الكهربائية .
- ٧ - المعونة الفنية لبناء وتسليم التجهيزات للمنشآت اللازمة لاستصلاح الاراضي المروية في جنوب العراق في مساحة ١٥ مليون هكتار .
- ٨ - المعونة الفنية وتسليم التجهيزات لحفر ٣٠٠ بئر ماء لعمق ١٠٠ - ٢٠٠ متر .
- ٩ - المعونة الفنية في ما خط سكة حديد بغداد - بصرة (تحسين الخط الحديدي الضيق الموجود حاليا ومد خط عريض) .
- ١٠ - المعونة الفنية لمد خط سكة حديد كركوك - سليمانية .
- ١١ - تحسين ارصافة ميناء البصرة الحالية وبناء ارصافة جديدة .
- ١٢ - المعونة الفنية وتسليم التجهيزات للمنشآت اللازمة لتحسين الملاحة النهرية :- نهر دجلة (قسم بغداد - بصرة حتى مصب شط العرب) ونهر الفرات (قسم هيت - بصرة) .
- ١٣ - ثلاث بدالات تلفونية اوتوماتيكية عدد ارقام كل منها ١٠٠٠٠ .
- ١٤ - المعونة الفنية لوضع خطة طويلة الامد لتحسين الاذاعة والتلفزيون وتسليم التجهيزات لهذا الغرض على ان يتم التنفيذ حسب الخطة المذكورة .
- ١٥ - تعمير هياكل الهوائيات للموجات المتوسطة والقصيرة في محطة اذاعة بغداد .
- ١٦ - تعمير ستوديوهات الاذاعة في بغداد .
- ١٧ - المعونة الفنية في دراسة الطرق .
- ١٨ - الابحاث لاستنباط الطرق المختلفة لتصنيع التمور .

الرسالتان الملحقتان بالاتفاقية

والموجهتان الى الجانب العراقي

من الجانب السوفياتي

سيادة الوزيرين المحترمين :

أؤيد استلام رسالتكما المؤرخة في ١٦ مارت ١٩٥٩ والتي نصها
كما يلي :

» لقد تم الاتفاق خلال المفاوضات حول المسائل الاقتصادية بين
حكومة الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية وحكومة الجمهورية العراقية

على ان يقوم الاتحاد السوفيتي بتقديم المساعدة الفنية لتدريب الخبراء العراقيين في العراق وفي المعاهد الدراسية والمؤسسات الصناعية في الاتحاد السوفيتي .

ستقوم المنظمات السوفيتية المختصة بتقديم المساعدة الى المنظمات الحكومية العراقية لتأسيس مراكز في العراق لتدريب الخبراء الفنيين للصناعة العراقية . ولهذا الغرض سوف تهيب المناهج والتصاميم للتدريب المهني للمواطنين العراقيين وتسلمها الى المنظمات العراقية كما ستسلم الاجهزة والمعدات وتوفد الخبراء السوفييت الى العراق لمساعدة المنظمات العراقية فيما يخص التدريب .

وفي الوقت ذاته تم الاتفاق على ان يقوم الجانب السوفيتي بايفاد الخبراء السوفييت الى العراق لمساعدة حكومة الجمهورية العراقية في تأسيس منظمة حكومية للانشاء بغية تنفيذ بناء المشاريع وانجاز الاعمال المنصوص عليها في اتفاقية التعاون الاقتصادي والفني المعقودة بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العراقية في ١٦ مارت ١٩٥٩ .

اما عدد الخبراء السوفييت الذين سيوفدون الى العراق مع اختصاصاتهم ومدد بقائهم وعدد المواطنين العراقيين الذين سيحصلون على التدريب في الاتحاد السوفيتي وكذلك الشروط الاخرى لبدء المساعدة الفنية المشار اليها في هذه الرسالة فسوف تحدد في اتفاقية خاصة بين حكومة الاتحاد السوفيتي وحكومة الجمهورية العراقية .

هذا واني اؤيد بسرور بالغ كل ما جاء في رسالتكما

وتفضلوا يا سيادة الوزيرين المحترمين بقبول فائق الاحترام

سيادة الوزير ابراهيم كبه

سيادة الوزير طلعت الشيباني

المخولين عن حكومة الجمهورية العراقية

موسكو

سيادة الوزيرين المحترمين :
أؤيد استلام رسالتكما المؤرخة في ١٦ مارت ١٩٥٩ والتي نصها
كما يلي :

« لقد تم الاتفاق خلال مفاوضاتنا حول مسائل التعاون الاقتصادي
والفني على ان توافق حكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية
استجابة لرغبات الجمهورية العراقية على ايفاد الخبراء السوفييت في
التخطيط الاقتصادي الى العراق وتقبل خبراء التخطيط العراقيين في
الاتحاد السوفييتي لغرض تبادل الخبرة في هذا الحقل بالعدد وفي الآجال
التي سيتفق عليها بين الجانبين » .

هذا واني أؤيد بسرور بالغ كل ما جاء في رسالتكما
وتفضلوا يا سيادة الوزيرين المحترمين بقبول فائق الاحترام
سيادة الوزير ابراهيم كبه
سيادة الوزير طلعت الشيباني
المخولين عن حكومة الجمهورية العراقية
موسكو

استدراك			
يرجى تصحيح ما يلي :			
الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤	٢٦	وابتداً	وقد ابتداً
٨٠	١٨	اني	انني
٨٠	١٩	اني	انني
٨١	٩	مطمئنين	مطمئنون
٨٢	٢٨	المدسوم	الموسوم
٨٩	٢٩	يعزيها	يعزوها

دستورية مرسوم اسقاط الجنسية ومراسيم أخرى

« نص شهادة الدكتور اسماعيل مرزى التى القاها امام محكمة الشعب عند محاكمة المجرم خليل كنه احد وزراء العهد المباد » .

سيادة الرئيس :-

دراسة هذه المراسيم - وهى قواعد قانونية - تقتضينا استعراض الزوايا البارزة للاطار السياسى الذى كان مطبقا فى العراق حتى الثورة المباركة وذلك للوقوف على ظروف تطبيق القواعد القانونية التى عاشت بداخله بصورة عامة .

نتيجة لقرار عصبة الامم سنة ١٩٢٠ اصبح العراق تحت الانتداب البريطانى . وجدت بريطانيا فى العراق ما لم يجده الاتراك قبلها ، فبدأت تعد عدتها للسيطرة عليه بغية استغلاله للامد الطويل . وللوصول الى ذلك نهجت بريطانيا منهجا لا تظهر به على المسرح السياسى بصورة مباشرة ، ولم تعوزها الوسائل لهذا الغرض نظرا لخبرتها الاستعمارية الطويلة فعملت على ان تقوم فى العراق حكومة محلية تنفذ سياستها وتأتصر باوامرها فى ظل النظام السياسى الاكثر تجاوبا مع مصالحها وهو النظام الملكى . تأتى بملك فتسيطر عليه ثم تنهى حالة الانتداب من الناحية القانونية بينما تحتفظ عمليا بجميع احكامه فى قالب جديد هو قالب المعاهدة . ولهذا التغير فى السياسة البريطانية عوامل عديدة منها انها أقل كلفة من الناحية المالية ، اذ ان العراق هو الذى سيدفع النفقات وبذا تتجنب نقد حزب العمال المعارض للنفقات المالية التى كانت تتكبدها الخزينة البريطانية حينذاك . ومنها انها تضع حدا لمنافسة امريكا لها فيما يخص النفط .

ومنها انها تظهر بمظهر المتقيد بالفقرة الرابعة من المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الامم امام رأى العام العالمى . ومنها اعتقادها بانها ترضى بذلك العناصر الوطنية الثائرة ضد الانتداب البريطانى .

غير ان ذلك كله لم ينطل على العناصر الوطنية فاستمرت فى معارضتها القوية التى اقلقبت بريطانيا فرسمت للتخلص من المعارضة

سياسة خاصة لها وجهان : وجه سافر سريع ومباشر يركن اليه كلما دعت الحاجة الى ذلك ، بدأه بيرسي كوكس ، وهو القمع السريع والقسوة والبطش بهذه العناصر الوطنية واسكات صوتها بخنق جميع الحريات . ووجه آخر تستقر عليه السياسة في العراق للامد الطويل وهو سياسة افقار الشعب واشغاله بمشاكل محلية بشكل لا يجد معه الوقت الكافي للتفكير في اموره الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . ولتنفيذ ذلك كيفت بريطانيا النظام السياسي في العراق بحيث يفى بغرضها فغلبت السلطة التنفيذية على بقية السلطات وذلك لسهولة السيطرة عليها عن طريق انتقاء اشخاصها وقد ضمنت ذلك في دستور بالغت في جموده وفرضته على العراق وعلى مجلسه التأسيسي .

وقد تم تغليب السلطة التنفيذية عن طريق اضعاف السلطة التشريعية والقضائية . ففيما يخص السلطة التشريعية مثلاً اخذ الدستور بنظام المجلسين وبمبدأ التعيين في احدهما (مجلس الاعيان) ثم ساوى في الاختصاص التشريعي بينهما . كما انه لم يقيد حق الملك في رفضه للتصديق على اللوائح القانونية . وكل هذه وسائل تتمكن بها السلطة التنفيذية من عرقلة أعمال المجلس التشريعية . هذا من جهة ومن جهة ثانية فقد اناط الدستور حق الفصل في عدم دستورية القوانين بالمحكمة العليا فقط ونظمها بشكل ظهر معه نفوذ السلطة التنفيذية عليها سواء كان ذلك فيما يخص تكوين المحكمة او انعقادها او اثاره الاختصاص امامها او بالنسبة للآثر المترتب على احكامها .

هذا من ناحية النصوص اما من حيث الواقع ، وهذه حالة خطيرة النتائج ، فقد بدأت السلطة التنفيذية عملياً في افهام أعضاء المجلس النيابي المنتخب بانهم مدينون لها بعضويتهم فيه وذلك عن طريق التدخل في الانتخابات وفي التأثير على الناخبين . وكان نتيجة لذلك ان اقامت في المجلس النيابي حق الاستجواب وحق سحب الثقة من الوزارة فضمنت لها اليقاء والاستقرار وللمجلس الخوف والفرع وعدم الاستقرار اذ لا يزال حق حل المجلس بيدها تلوح له به متى شاءت .

سيادة الرئيس :-

هذا هو الاطار السياسي العام الذي عاشت بداخله القواعد القانونية وهذه هي الروح التي سادت تطبيق تلك القواعد .

المراسيم وشروط اصدارها

هناك ثلاثة انواع من المراسيم :

- **اولا - المراسيم المستقلة**
- **ثانيا - المراسيم الخاصة بتنفيذ القانون**
- **ثالثا - المراسيم التشريعية**

يهمنا من هذه الانواع ، لما نحن بصددده ، المراسيم التشريعية فقط والتي بموجبها تمارس السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية استثناء فتتمكن بصورة عارضة من تنظيم امور هي ليست من ميدان اختصاصها وانما من مجال اختصاص القانون اصلا .

وممارسة السلطة التنفيذية لهذا الاختصاص الاستثنائي يكون في حالتين :

الحالة الاولى - بموجب تفويض يصدره البرلمان في ظروف خاصة ولامد محدود وفي مواضيع معينة بالذات ويشترط عرض هذه المراسيم على البرلمان للمصادقة عليها . ولم يأخذ المشرع التأسيسي العراقي في دستور العهد البائد بهذا النوع من المراسيم فهي اذن ليست من موضوع بحثنا .

الحالة الثانية - هي حالة الضرورة ، وبموجبها تمارس السلطة التنفيذية اختصاصها الاستثنائي عند توافر شروط معينة ، دون حاجة الى قانون تفويض سابق .

وسند هذا الاتجاه هو نظرية الضرورة التي تجسد اساسها في القاعدة الرومانية القديمة اي ان سلامة الشعب فوق القانون . تولاهها الفقه الالماني بالتهذيب واخرجها بشكل نظرية متينة الدعائم ثم استقرت بمنطوق مقارب في الفقه الفرنسي الانكلو - امريكي .

وتجيز هذه النظرية - في منطوقها العام - للسلطة التنفيذية اصدار مراسيم لها قوة القانون لمجابهة الظروف الطارئة التي تهدد أمن البلاد وتحتاج لعلاج سريع بينما البرلمان غير قائم أو متعذر اجتماعه . وقد اقر الدستور العراقي لسنة ١٩٢٥ نظرية الضرورة هذه في المادة السادسة والعشرين ، الفقرة الثالثة ، التي تضمنت شروط تطبيقها :-

هذه الشروط هي :-

اولا - شرط متعلق بالزمان :

وبموجبه لا يجوز للسلطة التنفيذية اصدار هذه المراسيم الا في فترة عطلة المجلس . هذا اذا تقيدنا بحرفية النص ، اما اذا اخذنا « العلة » واساس وجود النص فقها بنظر الاعتبار ، فيجوز عندى اصدار هذه المراسيم فى حالة الحل ايضا اذا توافرت بقية الشروط الاخرى .

ثانيا - شرط خاص بالظروف :

ان تكون هناك ضرورة لاتخاذ تدابير مستعجلة لا تحتمل التأخير فيما يخص :-

- أ - حفظ النظام والامن العام .
- ب - دفع خطر عام .
- ج - صرف مبالغ لم يؤذن بصرفها فى الميزانية أو بقانون خاص .
- د - المراسيم للقيام بواجبات المعاهدة .

اما اذا توافرت ضرورة اتخاذ تدابير مستعجلة فى غير هذه الامور التى نص عليها الدستور بالذات فلا يجوز الركون فى تنظيمها الى المراسيم وانما تبقى فى الميدان القانونى اى من اختصاص البرلمان .

ثالثا - شرط خاص بالمدى :

وهو ان تحترم هذه المراسيم - التى تصدر عند توافر بقية الشروط - احكام القانون الاساسى .
أى يجب ان لاتخالف هذه المراسيم احكام الدستور - نصا وروحا - سواء كانت هذه المخالفات بصورة مباشرة أو بصورة غير مباشرة أى عن طريق التحايل على النصوص .
وهذا القيد بالغ الاهمية . غايته المحافظة على الفكرة القانونية المنصبة فى النصوص الدستورية وعدم المساس بها . لان تعطيل او تعديل النص الدستورى هو من اختصاص الشعب وحده وقد بين الدستور طريقة ذلك .

رابعا - شرط خاص بمدة النفاذ :

يجب عرض هذه المراسيم على مجلس الامة فى اول اجتماع له .
اى ان القوة القانونية لهذه المراسيم تستمر حتى اول اجتماع لمجلس الامة

وعندها يجب ان تعرض عليه فاما ان يقرها فتصبح قانونا واما ان يرفضها فتزول من تاريخ رفضها .

والمنطوق العام لنص الفقرة الثالثة من المادة السادسة والعشرين يقضى بان على البرلمان ان يبت بشأن هذه المراسيم فى أول اجتماع له ولا يجوز له ان يتسامح فى ذلك أبدا كما تسامح بالنسبة لمرسوم صيانة الامن العام وسلامة الدولة رقم ٥٦ لسنة ١٩٤٠ حيث ام يبت به بالرفض الا بعد اربعة سنين ونصف تقريبا ، وكذلك فعل بالنسبة لمرسوم الاعمال الممنوعة على الموظفين وهيئات التدريس رقم ١ لسنة ١٩٤٩ .

سيادة الرئيس :

هذه هى الشروط الواجب توافرها جميعا فى آن واحد حتى تتمكن السلطة التنفيذية من اصدار المراسيم المنصوص عليها فى المادة السادسة والعشرين الفقرة ٣ .

ولكن للأسف لم ترع السلطة التنفيذية عمليا هذه الشروط خاصة وليس هناك من رقيب عليها :-

فمجلس الأمة مجرد عمليا من سلطاته - مسئولية الوزارة السياسية - استجواب وسحب الثقة سلاح لا يستعمله المجلس فهى فى مأمن من اخطاره . والمحكمة العليا لا تنظر فى دستورية المراسيم الا بناء على ارادة السلطة التنفيذية ، فهل تحيل هذه مرسوما على المحكمة العليا لفحص دستوريته اذا كان لها صالح فى أعماله ؟

وهكذا كان الواقع ومن امثلة ذلك :

مرسوم ذيل قانون الجنسية العراقية رقم ١٧ لسنة ١٩٥٤ .

اجاز هذا المرسوم لمجلس الوزراء بناء على اقتراح وزير الداخلية اسقاط الجنسية العراقية عن العراقى المحكوم وفق قانون ذيل قانون العقوبات البغدادى رقم ٥١ لسنة ١٩٣٨ .

سيادة الرئيس :

اذا كان من حق الدولة تنظيم جنسيتها فليس من حقها اكيـدا التعسف فى استعمال ذلك الحق . فليس لها ان تحرم الافراد تحكما من جنسيتها ولا ان تسقطها تحكما عن الوطنيين . لان من نتائج اسقاط الجنسية ان يفقد الفرد جنسيته وقد لا يكتسب جنسية اخرى ، فيؤدى ذلك الى حالة عديم الجنسية وهى نشاز فى النظام الدولى لا تضمن للفرد

التمتع بحقوقه ولا تؤمن ما يلزم له من استقرار في الحياة .

فعدم الجنسية اجنبى حيثما يكون ، لا يتمتع بالحمايات القانونية والسياسية والدبلوماسية لاية دولة . ولا يستطيع ان يركن الى القضاء الدولى متظلما من ضرر الحقته احدى الدول فيه . كما ليس لعدم الجنسية حرية الحل والترحال بل لن يطمئن الى مستقر له فى الارض اذ لا يستطيع ان يلزم دولة ما باقامته فيها .

ونظرا لهذه النتائج الخطيرة وجب على الدولة ان تعين حالات اسقاط الجنسية بمزيد من الحذر والروية ولضرورة ملحة تقتضيها المصلحة العامة . فلا يجوز ان تجعل منه سلاحا تستطيع ان تحارب به خصومها السياسيين .

هذه مبادئ تجد اصولها فى الاعلان الدولى لحقوق الانسان فى المادة الخامسة عشرة منه . ونظرا لقيمة هذا الاعلان الادبية اتجهت الدول لاحترام قواعد فكان حريا بالحكومة العراقية لذلك العهد احترام تلك القواعد وهذا ما لم تفعله فى اصدارها لهذا المرسوم وبه اعتدت على المواطن فى حقه كإنسان .

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ، فقد اشترطت الفقرة الثالثة من المادة السادسة والعشرين وجود ضرورة لاتخاذ تدابير مستعجلة لدرء خطر عام على التفصيل الذى بيناه ، فهل توافرت متطلبات هذه المادة فى مرسوم اسقاط الجنسية ؟

ان ميدان تطبيق هذا المرسوم هو فئة خاصة من المواطنين اغلب افرادها كانوا من نزلاء السجون لانها طبقة مثقفة وعلى نضج سياسى كاف لتفهم اعمال الحكومة وتقديرها بقدرها وهذا سبب فى نظر العهد البائد يبرر مكافحتها حتى لا تتكون منها نواة لمعارضة متينة تقف فى وجه الحكومة عند كل انتهاك لحرمة الدستور ، ولكن حتى فى هذا المنطق المفلوج لم يكن فى استطاعة السلطة التنفيذية ان تجد فيما ينص عليه القانون من عقوبات تغني عن اسقاط الجنسية بهذا الشكل التحكمى وتغني عن اللجوء الى هذا المرسوم ؟

اين صفة الاستعجال ، بل اين صفة الضرورة التى تبرر سلب المواطن الاعزل المقعد فى اغياهب السجون اعز شئ لديه : صلته بوطنه ؟ هل من هذه الطبقة الواعية يتوافد الخطر العام الحقيقى على الدولة ؟

ثمة ناحية أخرى ، هي ان مرسوم اسقاط الجنسية يخالف نص المادة السابعة من الدستور نفسه التي تنص على ان « نفى العراقيين الى خارج المملكة العراقية ممنوع بتاتا » . وهذا الاطلاق والتأكيد معناه ان المشرع التأسيسي لم يسمح اطلاقا بتشريد العراقي الى خارج العراق وقطع الصلة التي تربطه بوطنه حتى بقانون : اى منع ذلك حتى على السلطة الاصلية بينما جاء المرسوم - وهو تشريع فرعى - ببدعة يتحايل بها على نص المادة المذكورة ويوصل السلطة التنفيذية الى نفى العراقي الى خارج العراق وذلك عن طريق اسقاط الجنسية عن العراقي ثم ابعاده الى خارج حدود الدولة العراقية .

والروح التي طبعت على ضوئها نصوص هذا المرسوم اظهرت سوء النية بوضوح .

وعليه ، عندى ، ان مرسوم اسقاط الجنسية بهذه المخالفات قد خالف الشرط الثانى والشرط الثالث من شروط اصداره ونتيجة لذلك فهو يخالف الفقرة الثالثة من المادة السادسة والعشرين من الدستور القديم ولهذا فهو غير دستورى .

سيادة الرئيس :

أما ما يخص مرسوم الجمعيات رقم ١٩ لسنة ٩٥٤ ومرسوم المطبوعات رقم ٢٤ لسنة ٩٥٤ ومرسوم الاجتماعات العامة والمظاهرات رقم ٢٥ لسنة ٥٤ فقد أصدرت وفقا للسياسة العامة المرسومة فى سلب الشعب وسائل التعبير عن ارادته والحيلولة دون ترعرع الوعى السليم فيه ومن ثم مكافحة تكوين رأى عام متين يستند الى ثقافة اقتصادية واجتماعية وسياسية صحيحة . ذلك لان رأى العام يراقب اعمال الحكومة ونشاطها ، ورقابته الفعالة هي التي تجعل اشراك الشعب فى ادارة شؤون البلاد فعلا لا حكما .

والحكومات التي يهملها الصالح العام والتمثيل الحقيقى لارادة الافراد تبذل جهدها لتنمية رأى العام وتقويته وتسهر طويلا على تقويمه ومدته بعناصر الحياة والنضج فاذا ما اصبح قويا استمع رجال الحكم اليه وساروا وفقا لمراميه وبذلوا جهدهم لتحقيق اهدافه . فهو اذن الركن البارز فى الحياة الديمقراطية .

اما الموقف فى العراق فقد كان على عكس ذلك حيث كان هم السلطة

التنفيذية ان تضعف الرأى العام ومن ثم تخضعه لسياستها وتغذيه من روحها وتدفعه امامها ولذلك نهجت مسلكا تكافح به وسائل تكوينه والتعبير عنه فالجمعيات والاحزاب مقيدة باذن وزير الداخلية وابداء الرأى والتعبير عن الارادة العامة معلق على اذنه ايضا والاجتماعات العامة والمظاهرات تتوقف على رغبة الموظف الادارى . وكل ذلك رغم تأكيد الدستور القديم على هذه الحريات .

فقد نصت المادة الثانية عشرة منه على ان « للعراقيين حرية ابداء الرأى والنشر والاجتماع وتأليف الجمعيات والانضمام اليها ضمن حدود القانون » .

ويفهم من هذا النص ان الاصل هو حرية الرأى وحرية التعبير عنه والاستثناء هو امكانية تقييد الحريات بالقدر الذى يتطلبه تنظيمها وبهذا القدر فقط بينما جاءت هذه المراسيم وكلها قيود على هذه الحريات بحيث اتت على مبدأ حرية ابداء الرأى فليس لرأى ان يسمع بموجبها الا اذا ارتضته السلطات .

فمرسوم الجمعيات ويشمل الاحزاب السياسية ، جاء بشكل جعل تكوين هذه الجمعيات والاحزاب وقيامها ونشاطها ومصيرها بيد السلطة التنفيذية فقد اتبع المرسوم نظام الاجازة السابقة فى المادة السادسة ، الفقرة أ منه - وبمقتضاه ان موافقة السلطة التنفيذية - وزير الداخلية ، واجازتها ضرورية لقيام الحزب او الجمعية قانونا وهذا معناه ان يجعل بيد السلطة التنفيذية سلاحا نافذا للحيلولة دون ظهور معارضته فهى لا تسمح الا الى الجمعيات والاحزاب المؤيدة لسياسة الحكومات .

وفى هذا اعتداء صارخ على مبدأ المساواة امام القانون الذى تضمنته المادة السادسة من الدستور القديم .

ولم تكتف السلطة التنفيذية بهذا القدر من المخالفة بل أقرت فى مرسومها المذكور فى المادة الخامسة عشرة فقرة - أ - حق السلطة التنفيذية فى الاشراف والمراقبة على نشاط هذه الجمعيات والاحزاب فاذا ما لمست ترعرع وعى سياسى سليم او بداية ظهور سياسة معارضة لسياستها سارعت للالتجاء الى المادة السابعة عشرة من المرسوم والتي تعطيها حق حل هذه الجمعيات والاحزاب ومن ثم القضاء عليها .

فالمرسوم اذن يجمد نص المادة الثانية عشرة من الدستور القديم ويفقده معناه .

ولنفس الغرض اصدرت السلطة التنفيذية مرسوم المطبوعات رقم ٢٤ لسنة ١٩٥٤ والذي وقف من الصحافة موقفا كله ريبة وحذر .

ذلك لان الصحافة ليست وسيلة من وسائل التعبير عن الرأي العام فحسب وانما هي تشارك في تكوينه على اسس سليمة ولذلك قيل فيها بحق انها مدرسة الشعب . ولا أرانى بحاجة الى بيان اهميتها وكيفية انها احتلت دائما المكان المرموق من اهتمام الفقهاء والمؤتمرات الدولية .

وبديهي ، ان تقف الحكومة - في ذلك الاطار السياسى البائد - ذلك الموقف المريب ويظهر ذلك بوضوح من تنظيمها لها : فقد اتخذ مرسوم المطبوعات جميع التدابير كيما تصبح الصحافة تحت رحمة السلطة التنفيذية : فأخذ في المادة الرابعة منه بنظام الاجازة السابقة اى وجوب الحصول على موافقة السلطة التنفيذية - وزير الداخلية - بالسماح لشخص باصدار صحيفة او مطبوع دورى . وللوزير ان يسمح او لا يسمح . ولا يجوز الطعن بقرار السلطة التنفيذية هذا الا امامها بالذات - مجلس الوزراء - . كما تطلب المرسوم فى المادة السادسة منه من كل فرد يروم اصدار مطبوع دورى ضمانة نقدية قد تصل الى ٥٠٠ (خمسمائة دينار) .

والسلطة التنفيذية تتمكن بواسطة نظام الاجازة السابقة والضمانة النقدية من محاربة خصومها السياسيين ومقاومة من يخالفونها الرأي او العقيدة . بينما تعمل على تشجيع من يتكلم باسمها او من يمالئها الرأي وفى هذا التمييز بين الافراد بتوفير او عدم توفير الوسائل القانونية التى تمكنهم من التمتع بالحقوق التى ضمنها لهم الدستور ، اعتداء صارخ على مبدأ المساواة امام القانون الذى تضمنته المادة السادسة من القانون الاساسى فالمرسوم يخالفه اذن .

هذا وقد اخذ المرسوم بنظام الانذار (المادة ٢٧) والتعطيل الادارى (المادة ٣٤) والالغاء الادارى (المادة ١٤ ف ٤) كما اخذ المرسوم بجرائم الرأي فى المواد (٢٨ الى ٣٢) .

كل هذه تدابير اتخذت حتى لا تكون الصحيفة الا اداة طيعة بيد السلطة التنفيذية لا تعبر الا عن رأيها ولا تنشر الا مبادئها ولا تنتقد الا

عارضها • اما الدستور ونص المادة الثانية عشرة منه فكأنه غير موجود •

كذلك الحال مع مرسوم الاجتماعات العامة والمظاهرات رقم ٢٥ لسنة ١٩٥٤ فقد كان يبتغى الحيلولة دون ظهور معارضته للحكم بشكل شعبي صريح فأخضع الاجتماعات العامة والمظاهرات لرقابة السلطة التنفيذية وهذه تقرر فيما اذا كان من المناسب قيامها ام من غير المناسب - المادة التاسعة من المرسوم - وللسلطة التنفيذية ان ترسل ممثليها ليحضروا هذه الاجتماعات كما لها ان تفض الاجتماعات أو تفرق المظاهرة متى تراءى لها ذلك (م ١٢ ب و م ١٩) •

ومعنى ذلك انها تجعل من هذه الوسيلة المباشرة التي يتمكن الافراد بها من التعبير عن ارادتهم دون تكاليف مالية او اداة غير فعالة لا تجدى الشعب فتىلا • فالمرسوم يحول اذن دون تطبيقه نص المادة الثانية عشرة من القانون الاساسى ••• فهو يخالفه •

وهذه المراسيم غير دستورية ايضا لعدم توافر شرط (الضرورة لاتخاذ تدابير مستعجلة في مسائل معينة) ، اذ من الواضح الذى لا يحتاج الى بيان ان تنظيم الجمعيات والصحافة والاجتماعات والمظاهرات لم يكن من الامور المستعجلة التي لا تحتمل التأخير والتي لا يمكن تأجيلها حتى اجتماع مجلس الامة خاصة وان هذه الامور كانت خاضعة في تنظيمها لقوانين سابقة لا تقل قساوة عن هذه المراسيم •

وخلاصة القول ان هذه المراسيم الثلاث تظافرت لاضعاف الارادة العامة التي هي صاحبة السلطان فى الدولة وتجانست فى مخالفتها لاحكام القانون الاساسى خاصة للمواد السادسة والثانية عشرة والسادسة والعشرين منه فهي اذن غير دستورية •

الدكتور اسماعيل مرز
عميد كلية التجارة - بغداد

نداء من لجنة الارتباط بين النقابات والجمعيات والاتحادات

الى جمال عبدالناصر

تمر الامة العربية هذه الايام فى مرحلة حاسمة من حركتها الوطنية ، فتعمق الوعي لدى الجماهير الواسعة من شعوبنا المكافحة وربط نضالها فى سبيل الديمقراطية لا يمكن فصل الواحد عن الآخر . وكل يوم يمر يزداد هذا الوعي عمقا ويزداد تمسك شعوب البلدان العربية بالحركة القومية المتحررة ، وليس هناك أى عذر لاية حكومة عربية فى عدم الاستجابة لمطالب الشعب فى اتباع سياسة حرة مستقلة واطلاق حرياته الديمقراطية الكاملة فى الوقت نفسه .

اننا ننظر بقلق متزايد لتطور الاحداث فى الجمهورية العربية المتحدة وكانت الخطوات التعسفية التى اتخذتها السلطات هناك فى حق اخواننا الوطنيين الديمقراطيين تثير استنكارنا ، ولم نتأخر عن شجبها فى مذكرتنا السابقة اليكم التى أرسلناها فى الشهر الماضى بواسطة سفارتكم فى بغداد وبدلا ان تستجيب السلطات لمطالب جماهير البلدان العربية فى الوطن العربى الكبير اقترفت أبشع جريمة لا انسانية فى الاقليم السورى اذ اغتالت المعلم الشهيد سعيد الدروبي مما اثار فينا بالغ الالم والاسى واعاد الى اذهاننا المآسى والجرائم التى خبرها الشعب العراقى قبل ١٤ تموز . ولا يسعنا الا ان نستنكر بشدة مع باقى فئات شعبنا ذلك العمل الوحشى ونطالب بمعاينة المسؤولين عن ذلك بحزم لردع كل من تسول له نفسه الاستهتار بحقوق المواطنين وفى الوقت نفسه نطالبكم مرة أخرى باطلاق سراح اخواننا الاحرار فى الجمهورية العربية فورا .

لجنة ارتباط المنظمات الشعبية

٢ آذار ١٩٥٩

فى الجمهورية العراقية

- ممثل نقابة المحامين - صالح الشالجى
- ممثل نقابة ذوى المهن الطبية - الدكتور احمد الجلبى
- ممثل نقابة المعلمين - الدكتور صفاء الحافظ
- ممثل نقابة المهندسين - عبدالرزاق مطر .
- ممثلة رابطة الدفاع عن حقوق المرأة - عفيفة رؤوف
- ممثل اتحاد الادباء - الدكتور صلاح خالص
- ممثل جمعية الاقتصاديين - حسن الحكاك
- ممثل جمعية الخريجين - الدكتور رحيم عجينة

نداء من لجنة الارتباط بين النقابات والجمعيات والاتحادات الى ابناء الشعب العراقي

القى الرئيس عبدالناصر مساء امس خطابا استفزازيا مشحونا بالوعيد والتهديد ضد الجمهورية العراقية وقد تضمن الخطاب ما يؤكد النيات العدوانية الشريرة لحكام العربية المتحدة وتصميمهم اليأس على الكيد للعراق . ومنذ ان سحقت مؤامرة الشواف ، عقدت دمشق حملة هوجاء من التضليل والتأليب والتحريض ضد الجمهورية العراقية وقواها الوطنية ، وقد رابط عبدالناصر طوال هذه الايام فى دمشق ووجه بخطبه الاستفزازية المتوالية حملة العداء ضد العراق وتعبئة الراى العام السورى والعربى ضد الجمهورية العراقية .

اننا وقد خرجنا بالامس القريب منتصرين من أشنع وأخس مؤامرة دامية دبرت ضد جمهوريتنا لا يمكن ان نأخذ خطب عبدالناصر بمظاهرها البسيطة او كرد فعل لشعوره بالخيبة والمرارة والافاق وانما نستنتج من هذا الوعيد السافر ، وبعد ان وضع حكام العربية المتحدة ايديهم بأيدى الاستعمار كل ما يدفعنا الى التهيؤ والاستعداد لمجابهة الخطر ومحقه . ليعلم الطفلة وليعلم اسيادهم المستعمرون ان جمهوريتنا - شعبا وجيشا - قد تمرست بأعلى فنون قهر الاعداء والمتآمرين وقلب حساباتهم الوحشية رأسا على عقب .

ستنقلب العراق جحيما ، يصل بسعيه كل من تسول له نفسه مس جمهوريتنا بسوء .

ولياخذ الطفلة والمتآمرون العبرة من الاندحار الشنيع الذى اصاب خططهم فى الموصل ، ومن بطولات الشعب والجيش فى الموصل الباسلة .

ان كل مدينة وكل قرية ، وكل سبر من أرض العراق ستلقن كل من يقدم على التجاوز على جمهوريتنا درسا أبلغ من دروس الموصل ، وستنزل بهم الهزيمة الماحقة والعار الابدى .

اننا ، ونحن مفعمون بالحزم والثقة من قدرة جمهوريتنا على سحق كل من يريد بها شرا لابد لنا ان نهيب بالمواطنين بان يبقوا على يقظتهم وتاهبهم الكامل وحذرهم ، ان يعززوا تعبئة صفوفهم ، ويواصلوا السهر على سلامة البلاد .

ان الذين ركبهم سعار الطيش ، لن يتورعوا عن ارتكاب الحماقات ، وانهم يطلقون اليوم تهديداتهم السافلة ضد الجمهورية وضد حياة زعيمنا البطل عبدالكريم قاسم وضد كافة المواطنين الاخيار .

فلنكن على اتم الاهبة واليقظة والاحتراس . . ولتبادر حكومتنا الى اتخاذ اجراءات
الوقاية على الفور تاميناً لسلامة جمهوريتنا وناهباً لرد الخطر ومحققه .

ان في مقدمة ما ينبغي على حكومتنا عمله ، هو البت على الفور باقصاء العناصر
الخبيثة والمشبوهة من جهاز الجيش والدولة ، ووضع السلاح في متناول يد المقاومة الشعبية
وسائر جماهير الشعب ، والخروج من حلف بغداد ، واستنفاد كل التدابير الدبلوماسية
الرادعة ضد حكام العربية المتحدة وتشديد سياسة الحزم ضد اعداء الثورة واتخاذ كل
التدابير الفورية لصيانة امن البلاد وسلامتها .

وعلى الذين طاشوا وفقدوا الرشاد ، ان يتدبروا امرهم من جديد ، والا فان
حساباتهم ستقلب على رؤوسهم وسيغامرون في القاء انفسهم هم واسيادهم المستعمرون
الاراذل الى هاوية الهلاك والخسران .

لجنة ارتباط المنظمات الشعبية في الجمهورية العراقية

حافظ تكهمجي

عن جمعية الاقتصاديين

محمود صبرى

رئيس جمعية الفنانين العراقيين

الدكتور احمد الجلبى

عن نقابة ذوى المهن الطبية

عبدالرزاق مطر

عن نقابة المهندسين

الدكتور رحيم عجينة

رئيس جمعية الخريجين

الدكتور صلاح خالص

عن اتحاد الادباء

الدكتور يوسف اسماعيل

عن انصار السلم

صالح الشالجى

عن لجنة الارتباط

على شكر

عن المكتب الدائم لاتحاد النقابات العراقية

الدكتورة نزيهة الدليمى

رئيسة رابطة الدفاع عن حقوق المرأة

الدكتور صفاء الحافظ

سكرتير نقابة المعلمين العراقية

عامر عبدالله

عن نقابة المحامين

نورى عبدالرزاق حسين

سكرتير اللجنة التنفيذية

لاتحاد الشبيبة العراقية

كاظم فرهود

عن جمعيات الفلاحين في الجمهورية العراقية

مهدي عبدالكريم

رئيس اتحاد الطلبة العام

نداء من لجنة الارتباط بين النقابات والجمعيات والاتحادات حول مؤامرة الشواف - عبدالناصر القذرة

ان انباء المؤامرة القذرة التي قام بها الخائن عبدالوهاب الشواف في مدينة الموصل
الباسلة ، قد اثار في نفوسنا حقدا متاججا لا ينطفىء على اعداء جمهوريتنا الفتية ايا كانوا
ان الخائن عبدالوهاب الشواف الذي أعلن بكل وقاحة تمسكه بميثاق بغداد ، يحاول العبث
بسلامة الوطن وأمن الشعب وكيان الجمهورية التي اقامها شعبنا بتضحيات غالية لا تحصى
وبالدماء الزكية الغالية . لقد انحط المتآمرون الى درك الخيانة والاجرام ولطخوا ايديهم بدماء
الابرياء والمواطنين الابرار في الموصل . فيا ايها المواطنون البواسل في الموصل وما جاورها :
ان الشعب العراقي البطل يضع كامل ثقته في قدرتكم على الحفاظ على شرف مدينتكم المجيدة ،
ومساندة ابن الشعب البار ، الزعيم عبدالكريم قاسم وتنفيذ نداءه بالقضاء القبض على الخائن
المتآمر عبدالوهاب الشواف وسائر أفراد عصابته العميلة للاستعمار والاجنبى . القوا
القبض على الخائن حيا او ميتا وسلموه الى حكومتنا الوطنية . دافعوا عن سلامة الوطن
وكيان الجمهورية وعن حكومتها الوطنية . ويا جماهير شعبنا العراقي عربا واكرادا ، كونوا
صفا واحدا ويدا واحدة ضد المتآمرين والمتربصين عملاء الاستعمار والخونة والرجعيين اعداء
الجمهورية العراقية الفتية ايا كانوا .

ايها المواطنون البواسل في كركوك واربيل والبصرة في شمال العراق وجنوبه في
المدن والقرى والارياف وفي كل مكان من عراقنا الحبيب . كونوا يقظين محترسين وعلى
اتم الاستعداد لقتل الخيانة في مهدها وسحق كل من تسول له نفسه العبث بكيان جمهوريتنا
الحبيبة او التصدى لزعامة ابن الشعب البار عبدالكريم قاسم .

اننا ندعو حكومتنا الوطنية وزعيمنا الامين الى اتخاذ أقصى التدابير لسحق الخونة
عملاء الاستعمار وتنفيذ احكام الاعدام بالخونة وتعبئة جماهير الشعب وتسليحها والخروج
فورا من حلف بغداد والمضى بجرأة في تطهير أجهزة الدولة من العملاء والمندسين .

عاشت جمهوريتنا البطلة
والموت للاستعمار وعملائه

لجنة ارتباط المنظمات الشعبية في الجمهورية العراقية

كاظم فرهود
عن الجمعيات الفلاحية
عامر عبدالله
عن نقابة المحامين
توفيق منير
عن المجلس الوطني لانصار السلام
مهدي عبدالكريم
عن اتحاد الطلبة العام
الدكتورة نزيهة الدليمي
عن رابطة الدفاع عن حقوق المرأة

صادق الفلاحى
عن المكتب التنفيذي لاتحاد نقابات العمال
نورى عبدالرزاق حسين
عن اتحاد الشبيبة الديمقراطية
رضا جليل
عن الهيئة المؤسسة لنقابة المهندسين
عزيز الشيخ
عن نقابة المعلمين
الدكتور رحيم عجينة
عن جمعية الخريجين

نداء من الكتاب والمثقفين السعوديين

اننا نحن الكتاب والمثقفون السعوديون الذين تعرضنا ولم نزل نتعرض للكبوت الفكرى والاضطهاد الكيفى والتشرد والزج فى السجون الرهيبة ، قاسينا ولم نزل نقاسى لوعة هذا الاضطهاد ومرارة هذا الحقد الاعمى ، الحقود على قداسة الفكر وشرف الكلمة ونزاهة القلم .

لقد كان للنداءات والبيانات التى تصدرها منظماتنا السياسية اثر فعال وتجاوب ايجابى بين الاوساط الادبية والصحفية فى وطننا العربى الكبير ، سيما فى سوريا البطلة التى (كانت) صحفها الوطنية تنشر بشجاعة كل ما يرددها من بيانات ونداءات حول ما يلاقيه شعبنا من ضروب البطش البربرى الشرس ، ومن تحكم وتدخل الاستعمار الامريكى - المتمثل فى شركاته الاحتكارية - فى شئوننا الداخلية ، والتلاعب المفضوح بمقدرات اقتصادنا الوطنى .

اننا نحن الكتاب والمثقفون السعوديون نرى لزاما علينا .. بل واجب وطنى تفرضه علينا وحدة الصف وشرف الكلمة والعرفان بالجميل نحو اخواننا الكتاب الشرفاء فى الاقليم السورى وخاصة كتاب رابطة العرب منهم ، ان نرفع اصواتنا مطالبين المسئولين فى الجمهورية العربية المتحدة بالافراج عنهم حالا .. لان هذه الطريقة التعسفية والاسلوب البوليسى الشرس الذى عوملوا به ، بمنع اهلهم واقاربهم الاتصال بهم بعد زجهم فى سجن المزة دون تهمة وبلا ذنب اقترفوه ، اللهم الا تعلقهم باهداف الديمقراطية وتعشقهم للحرية والسلام ، ونبذهم الدكتاتورية الرهيبة .. نقول ان هذا الاسلوب هو نفس الاسلوب .. الذى نعانيه نحن الكتاب والادباء فى السعودية .. وهو نفس الاسلوب ايضا الذى تعرضت له فئة الكتاب الشريفة فى عراق نورى السعيد قبل ١٤ تموز الخالدة .. وهو ايضا نفس طابع موجات الارهاب الاسود فى الاردن والجزائر وسائر البلدان الراحة تحت نير الذل الاستعمارى المقيت .

اننا اذ نناشد المسئولين فى الجمهورية العربية المتحدة ، نهيب بذوى العقول الرزينة وجهابذة السياسة الوطنيين ، ان يتدبروا الامر عن كثب ، وينظروا لموجة الارهاب هذه بعين الاعتبار ، فسوف لن يجدوا فى اعتقال هؤلاء الكتاب والشعراء والادباء الا خدمة للاستعمار والصهيونية والرجعية .

الحرية للكتاب السوريين الشرفاء .

المجد لرابطة الكتاب العرب فى دمشق .

عاش تضامن واتحاد الكتاب العرب ضد الاستعمار والرجعية .

الكتاب والمثقفون فى السعودية

توصيات المؤتمر الصناعي المنعقد في بغداد مؤخراً

- ١ انعقد مؤتمر التعليم الصناعي في قاعة الشعب في يوم الاثنين المصادف ٢-٣-١٩٥٩ واستمر لمدة ثلاثة أيام اعتباراً من الساعة الخامسة حتى الساعة الثامنة مساءً تحت رعاية سيادة وزير التربية والتعليم . وبعد ان القى سيادته كلمة الافتتاح باشر اعضاء المؤتمر باستعراض مشاكل التعليم الصناعي ومناقشتها والادلاء باقتراحاتهم وتوصياتهم التي من شأنها النهوض بهذا التعليم . اما التوصيات والاقتراحات التي تم الاتفاق عليها فهي :-
- (١) القيام بدراسات علمية احصائية للصناعات المحلية الموجودة فعلاً والصناعات التي يمكن ان تنشأ في العراق في المستقبل وتحديد نوع المهن والمستويات اللازمة لتهيئة الايدي العاملة التي تحتاج اليها البلاد . وذلك عن طريق تشكيل لجنة ذات اختصاص مهمتها دراسة المسح الصناعي العمالي لجميع مناطق العراق المختلفة .
- (٢) العمل على تكوين مجلس اعلى للتعليم الصناعي لتنظيم التعاون الوثيق بين المدارس الصناعية والمصالح الحكومية والشركات واصحاب المعامل الاهلية ونقابات العمال واتحاد الصناعات وغرف التجارة وممثلى الوزارات المختلفة ذات العلاقة .
- (٣) العمل على فتح صفوف مسائية في المدارس الصناعية لرفع المستوى الثقافي والفني للعمال وذلك عن طريق مطالبة اصحاب العمل السماح لعمالهم بالتناوب بالحضور في الصفوف على ان يسمح لهم بفترة لا تقل عن ساعتين عن بداية الصفوف المسائية ولمدة ثلاثة ايام في الاسبوع على الاقل مع استمرار دفع اجورهم .
- (٤) العمل على فتح معهد صناعي عالى (صباحي أو مسائي) لاعداد المعلمين للدراسة العلمية والعملية لسد حاجة المدارس الصناعية وتكون مهمته أيضاً تثقيف المعلمين الموجودين فعلياً بما يجد في مواضيع اختصاصهم يقبل فيه خريجو المدارس الصناعية .
- (٥) العمل على فتح دورات تدريبية لمدرسي ومدربي المدارس الصناعية خلال العطل الصيفية كل حسب اختصاصه .
- (٦) العمل على تأسيس مخزن مركزي خاص لتجهيز المدارس الصناعية بجميع ما تحتاج اليه من مكائن وآلات وعدد ومواد .
- (٧) العمل على تأسيس مكتب للرسم والتصميم للتمارين ووسائل الايضاح الخاصة بالتدريب العملي بالإضافة الى المكاتب الفرعية الموجودة في المدارس المختلفة .
- (٨) وضع مسابقات ثقافية للمختصين الذين يقومون بتأليف الكتب ونشر الابحاث والترجمة وكتابة المقالات التي من شأنها رفع مستوى التعليم الصناعي في جميع الفروع .
- (٩) جعل المناهج محتوية على دروس ثقافية عامة من شأنها زيادة ثقافة الطلاب اجتماعياً وافهامهم حقوقهم وواجباتهم كمواطنين ومن شأنها أيضاً تشجيعهم على العمل والرغبة على تعاطيه خارج نطاق الوظيفة الحكومية . ويدخل ضمن هذا أيضاً تدريس النقابات واهميتها في المجتمع الحديث وكذلك تدريس علم النفس الصناعي .
- (١٠) اتاحة الفرصة لمدرسي المدارس الصناعية لتهمضية مدة للتدريب من آن لآخر ضمن اختصاصاتهم في المصانع المحلية أو في البلاد المتقدمة صناعياً .
- (١١) منح المدرسين المهنيين امتيازات تحول دون اغراء الشركات لهم .
- (١٢) العمل على تأسيس معرض دوري عام سنوي لعرض منتجات الطلاب والمدرسين على ان

- يقام في ثلاث مراكز تشترك فيه عدة مدارس حسب المنطقة يكون حافزا للقائمين بالعمل من المدرسين والطلاب لخلق جو من المنافسة بينهم وتقديم احسن منتجاتهم .
- على ان تدفع الارباح الناتجة عن بيع المنتجات للطلاب .
- (١٣) العمل على فتح معامل انتاجية في المراكز التي توجد فيها مدارس صناعية مرتبطة بديوان الوزارة الغرض منها تجهيز وزارة التربية والتعليم بالاثاث المدرسي وغيره ولغرض تشغيل الطلاب المتخرجين فيها قبل التحاقهم بالاعمال الحرة الاخرى لمدة سنة .
- (١٤) العمل على سن تشريعات قانونية تحفظ حقوق المتخرجين من المدارس الصناعية وتمنحهم بعض الامتيازات الخاصة .
- (١٥) العمل على تعزيز التفقيش الفني للمدارس الصناعية وتقوية جهازه حسب الاختصاصات المختلفة .
- (١٦) تكوين مكاتب في المدارس المختلفة تحتوى على كتب مهنية وكتب في الثقافة العامة .
- (١٧) تهيئة الامكانيات المادية للطلاب والمدرسين للقيام بسفريات داخل القطر وخارجه لغرض التدريب وخاصة في العطل الصيفية .
- (١٨) جعل نسبة الدروس مساوية للدروس العملية النظرية في الصف الاول وتقليل الدروس النظرية تدريجيا على ان تخصص السنة الاخيرة للجانب العملي التطبيقي .
- (١٩) التأمين على حياة المشتغلين بمعامل المدارس الصناعية ضد الحوادث التي قد تصيبهم أثناء الدراسة .
- (٢٠) العمل على زيادة مخصصات الطعام للطلاب وجعلها ٢٥٠ فلس للطالب الواحد يوميا .
- (٢١) التوسط لدى المصرف الصناعي لتخصيص سلف للمتخرجين لمعاونتهم في فتح مراكز عمل تسدد بأقساط يتفق عليها .
- (٢٢) القيام باضافة فروع جديدة مثل الانشاءات الصحية والبناء وتكييف الهواء والغزل والنسيج وصنع الزجاج وصناعة النفط وأدوات الطبخ .
- (٢٣) وجوب رعاية المستخدمين وبخاصة الذين يشتغلون في الاقسام الداخلية وزيادة رواتبهم .
- (٢٤) بناء دور حكومية للمدرسين والمستخدمين ملحقة ببنية المدارس الصناعية لتقوية الرابطة بين المدرسين وطلابهم او منحهم مخصصات بدل سكن حين انشاء تلك الدور .
- (٢٥) العمل على الغاء الكفالة التي تؤخذ من الطالب عند دخوله المدرسة والغاء التأمينات .
- (٢٦) العمل على منح صلاحيات مالية لمديرى المدارس الصناعية لا تتجاوز الخمسين دينار كسلفة دائمية لمعالجة الحالات الطارئة .
- (٢٧) العمل على منح الطلاب مخصصات جيب شهرية لا تقل عن الدينار .
- (٢٨) تهيئة البنايات المناسبة للمدارس الصناعية تتوفر فيها الشروط التربوية ومجهزة بقاعات لمختلف أنواع النشاط المدرسي ونوادي وحدائق ومستوصفات ووردهات خاصة بالمرضى مع تجهيزها بالاثاث اللازم .
- (٢٩) العمل على اختيار المدرسين للمدارس الصناعية في المستقبل ممن قد اتموا مرحلة دراسية فنية لا تقل عن أربع سنوات اعلا من مستوى الصف الذى سيقوم بالتدريس فيه ويفضل ممن تكون لهم خدمة سابقة في المصانع الحكومية أو الاهلية .
- (٣٠) العمل على تجهيز مختبرات المدارس الصناعية باحدث الآلات المختبرية ومعاملها باحدث المكنائن والآلات والادوات والعدد بحيث تضمن تطبيق تنفيذ مفردات مناهج التعليم الصناعى الحديثة .

١٦ نيسان

يوم مهرجان الشاعر العراقي الخالد

معروف الرصافي

يحتفل اتحاد الادباء العراقيين بذكرى شاعر العراق
الكبير معروف الرصافي في أيام ١٦ و ١٨ و ١٩ نيسان اعترافا
بخدماته الجليلة للادب ومواقفه الصلبة في خدمة الشعب .

ان ثورة ١٤ تموز الخالدة تكرم الشعر والادب والفن
والوطنية في هذا المهرجان ، فنحن نعلم ان الرصافي الشاعر
مات وهو يدافع بشعره ولسانه وقلبه عن الحق والعدالة ويكافح
الحكام المستبدين والخونة والرجعيين الذين كانوا يتلاعبون
بمقدرات الشعب ويهدرون حقه ويسلبون كرامته .

واليوم وقد أشرقت شمس الحرية والعدالة والسلام على
ربوع وطننا الحبيب ، تعود ذكرى الرصافي المناضل مضمخة
بأطيب الذكر وأعطره ، تعود ذكراه وقد انهارت السدود والقيود
وأنتار ذلك الليل الطويل الذي اناخ بكلـكـله على بلادنا ...

فألى الرصافي الخالد ألف تحية وسلام والمجد للشعراء
والكتاب الذين وقفوا ويقفون اليوم وسيقفون في المستقبل في
صفوف شعبهم ، مدافعين عن الحرية والسلام .

الثقافة الجديدة

مكتبة المتن - قاسم محمد الرجب

بغداد - شارع المتنبي - تلفون ٨٣٥٨٨

أوسع مؤسسة ثقافية لنشر الكتب في البلاد العربية

وكلاء دار النشر التالية :

- ★ دار بيروت - بيروت
 - ★ دار صادر - بيروت
 - ★ دار اليقظة العربية - دمشق
 - ★ مكتبة النهضة المصرية - القاهرة
 - ★ دار المعارف - بيروت
 - ★ مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة
 - ★ المكتبة الهاشمية - دمشق
 - ★ دار الفكر - القاهرة
 - ★ المكتب التجاري - بيروت
 - ★ دار الكتب الحديثة - القاهرة
 - ★ مكتبة الخانجي - القاهرة
 - ★ مؤسسة المطبوعات الحديثة - القاهرة
 - ★ وغيرها من دور النشر والمكتبات
- هذا بالإضافة الى انها المكتبة العربية الوحيدة التي لها
عملاء ووكلاء لنشر الكتب العربية في مختلف الاقطار الاوربية
والامريكية .

رياض الفكر في مكتبة النهضة ببغداد

شارع المتنبي - تلفون ٨٧٨٦٤

منذ ان اقتحمت مكتبتنا ميدان العمل بالمساهمة الفعالة في دعم الحركة الثقافية في عراق ١٤ تموز ، حرصت ، ولم تزل تحرص على طبع ونشر واستيراد خير ما انتجته عقول المفكرين مسترشدة ومستندة بذلك على اخلاص ومؤازرة الجمهور الفقير من اصدقائها وروادها . والجدير بالذكر ان هذه المكتبة الفتية ، رغم قصر المدة التي بدأت فيها اعمالها . أصبحت تحتل مكانة مرموقة في نفوس جمهور المثقفين ودور النشر والمكتبات في داخل العراق وخارجه ، الامر الذي دفع كبريات دور النشر في الخارج ان تعتمد عليها في توزيع كتبها القيمة لما لمسته من همة ونشاط وخلق صاحبها السيد عبدالرحمن حسن حياوى .

وبهذه المناسبة ، يسرنا ان نعلن الى القراء عن وصول الكتب التالية الى مكتبتنا وهي :

- ١ - الاكراد - تاليف باسيل نيكتين قنصل روسيا السابق في ايران .
- ٢ - ابن الرومي - فنه ونفسيته من خلال شعره - ايليا سليم الحاوى .
- ٣ - العاقر - تاليف الكاتب الاميريكي الشهير شتاينبك - تعريب منير البعلبكي .
- ٤ - كارل ماركس - تاليف هنرى لوفافر - ترجمة محمد عتيانى .
- ٥ - المشردون - تاليف مكسيم غوركى - ترجمة جورج جرداق .
- ٦ - من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام - تاليف بندلى جوزى .
- ٧ - دراسة في الفكر الصينى الجديد - تاليف كوموجو ولوتينغ - بى .
- ٨ - الديمقراطية الجديدة - مؤلف ماوتسى تونغ الشهير .
- ٩ - مذكرات اغا خان - اصدار دار العلم للملايين .
- ١٠ - معنى القومية العربية - تاليف الدكتور جورج حنا .
- ١١ - بين المادية الجدلية والمثالية البورجوازية - تعريب يوسف عبدالمسيح ثروت .

رسائل من الهند

للمحامي ناجي جواد

تستمد روحها من الواقع المحسوس

اطلبه من جميع الباعة

« دار التعارف »

اقرأ واشترك في :

المثقف

مجلة الطليعة الواعية • المجلة التي تقدم لك خيرة ما
ينتجه الفكر الانساني الحر • المجلة التي تتظافر جهود كبيرة
لاخراجها وتقديمها لك •

صدر العدد الاخير منها قبل ايام قلائل •

متعهد التوزيع - دار الاهالي - بغداد

منشورات الثقافة الجديدة

صدر منها

- ١ - انطون تشيخوف (دراسة ، مسرحيات ، قصص) . تعريب الدكتور شاكِر خصباك
- ٢ - أياريق مهشمة (ديوان شعر) للشاعر عبدالوهاب البياتي
- ٣ - نشيد الارض (اقاصيص) عبدالملك نوري
- ٤ - تشريح الماكارية ابراهيم كبه
- ٥ - صور شتى ذو النون ايوب
- ٦ - راس الشليلة (مسرحيات شعبية) يوسف العاني
- ٧ - أشعار في المنفى (ديوان شعر) للشاعر عبدالوهاب البياتي
- ٨ - سياسة الاعمار الاقتصادي في العراق تأليف : الدكتور توماس بالوك
ترجمة : الدكتور محمد سلمان حسن
- ٩ - الكرد والمسألة الكردية الدكتور شاكِر خصباك
- ١٠ - بالحياة المنفى من مهنة شاقة (شعر) تأليف : الشاعر ناظم حكمت
ترجمة : الدكتور أكرم فاضل

تحت الطبع

- ١ - الجمجمة (مسرحية) تأليف : الشاعر ناظم حكمت
ترجمة : ابراهيم وصفي رفيق
- ٢ - لتفتح الازهار تأليف : لوتينغ - يي
- ٣ - أقاصيص ذو النون ايوب
- ٤ - نشيد الارض (أقاصيص) عبدالملك نوري

الثقافة الجديدة

مجلة شهرية ثقافية عامة

مدير الادارة : عدنان الحافظ * المحاسب : الفريد سمعان

العنوان : عمارة شاشا - شارع المتنبي - بغداد - العراق

تلفون : ٨٨٢٦٠

مسجلة بدائرة البريد برقم (٧٠)

الاعلانات : الصحيفة الكاملة خمسة دنائير

نصف الصحيفة ثلاثة دنائير

طبعت بمطبعة العاني - بغداد

AL-THAKAFA AL-JADIDA

REVUE MENSUELLE DE
CULTURE GENERALE

ADRESSE :

Rue AL-Moutanabi.,
Baghdad,
IRAK.



Mars - April, 1959